الإرشاد الرسولي

فرح الإنجيل

من البابا فرنسيس

إلى الأساقفة والكهنة والشمامسة الإنجيليِّين
والمكرَّسين
وإلى جميع المؤمنين العلمانيّين
حول **البشارة بالإنجيل**
في عالم اليوم

EXHORTATION APOSTOLIQUE

EVANGELII GAUDIUM

DU PAPE
FRANÇOIS
AUX ÉVÊQUES
AUX PRÊTRES ET AUX DIACRES
AUX PERSONNES CONSACRÉES
ET À TOUS LES FIDÈLES LAÏCS
SUR L'ANNONCE DE L'ÉVANGILE
DANS LE MONDE D'AUJOURD'HUI

حاضرة الفاتيكان
2013

منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام
جل الديب – لبنان

1- فرحُ الإنجيل يملأُ قلبَ وكلّ حياة جميعِ الذين يلتقون يسوعَ. أولئك الذين ينقادون له يحرّرهم من الخطيئة والحزن والفراغ الداخليّ والعزلة. مع يسوعَ المسيح يولد الفرح ويولد دائماً من جديد. في هذا الإرشاد، أودّ أن أتوجّه إلى المؤمنين المسيحيّين، كي أدعوَهم إلى مرحلةٍ جديدةٍ من التبشير بالإنجيل موسومةٍ بهذا الفرح، ولكي أدلَّ على طرقٍ لمسيرة الكنيسة في السنوات المقبلة.

أولاً: فرحٌ يتجدّد ويبلِّغ

2- إن مجازفة عالم اليوم الكبيرة، بما يقدّم من استهلاكٍ عديدٍ وساحق، هو حزنٌ فردانيٌّ نابعٌ من قلبٍ متربّع جيّداً وبخيل، نابعٌ من البحثِ السقيم عن ملاذٍ سطحيّة، من ضميرٍ منعزل. عندما تنغلق الحياةُ الداخليّة على مصالحها الذاتيّة، يُفقَدُ محلُّ الآخرين، فلا الفقراءُ يدخلون، ولا يُسمعُ صوتُ الله، ولا يُتمتَّع بفرح حبّه العذب، ولا يعودُ ينبضُ حماسُ فعل الخير. حتى المؤمنون يتعرّضون لهذه المجازفة الأكيدة والدائمة. كثيرون يرزحون تحت عبئها ويتحوّلون إلى أناسٍ منكّدين، مستائين، لا حياة فيهم. ليس في ذلك اختيارُ حياةٍ كريمةٍ وملأى، ولا هذا ما يرغبه الله لنا، وليست هذه الحياة في الروح النابع من قلب المسيح القائم من بين الأموات.

3- أدعو كلّ مسيحيّ، في أيّ مكانٍ ووضع كان، إلى أن يجدّد اليوم بالذات لقاءَه الشخصيّ مع يسوعَ المسيح، أو، على الأقل، أن يقصُد بأن يدعَ المسيحَ يلقاه، بأن يبحثَ عنه كلَّ يوم باستمرار. لا داعيَ بأن يفكّر أحدٌ أن هذه الدعوة ليست موجّهةً إليه، لأن «لا أحدَ يُقصى عن الفرح الذي يجلبه لنا الربّ» [1]. من يخاطر لا يخذلُه الله، ومن يخطو خطوةً صغيرة نحو يسوع، يكتشف أنه كان هو ينتظر مجيئه بذراعَين مفتوحتَين. هذا هو الوقت ليقول ليسوعَ المسيح: «يا ربّ، لقد خُدعتُ، وبألف طريقة هربتُ من حبّك، إلاّ أني أنا هنا مرّةً أخرى لتجديد عهدي معك. إني أحتاج إليك. إفتدِني مجدّداً، يا ربّ، واقبلني ثانيةً بين ذراعيك الفاديتين». كم تنفعنا العودةُ إليه عندما نضلّ! أشدّد على ذلك مرّةً أخرى: لا يتعبُ الله أبداً بأن يغفر، نحن الذين نتعبُ من طلب رحمته. الذي دعانا إلى أن نغفر «سبعين مرّة سبع مرّات» (متى 18: 22) يعطينا المثل: إنه يغفر سبعين مرّة سبع مرّات. إنه يعود ويحملنا على كتفيه المرّة تلوَ المرّة. لا أحدَ يستطيع أن ينزعَ منا الكرامةَ التي يهبُنا إيّاها ذاك الحبُّ اللامتناهي والذي لا يتزعزع. إنه يسمح لنا بأن نرفع رأسَنا ونعاود الكرّة، بحنان لا يخيّبنا أبداً ويستطيع دائماً أن يعيد إلينا الفرح. لا نهربنَّ من قيامة يسوع، لا

[1] بولس السادس: الإرشاد الرسوليّ «**إفرحوا في الربّ**»، (9 أيّار 1975)، الرقم 22:**أعمال الكرسيّ الرسوليّ** (أ ك ر = *AAS*) 76 (1975)، 297.

نعتبرنّ أبداً أنفسَنا مغلوبين، مهما حدَث. لا شيءَ أكثر من حياته يمكنه أن يدفع بنا إلى الأمام!

4- كانت كتبُ العهد القديم قد أعلنت فرحَ الخلاص الذي فاض في الأزمنة الماسيانيّة. يتوجّه النبيّ إشعيا إلى الماسيّا المنتظَر ويحيّيه بفرح: «كثّرتَ الأمّة، وفّرتَ لها الفرح» (9: 3). ويشجّع سكان صهيون لاستقباله بالأناشيد: «إهتفي ورنّمي، يا ساكنة صهيون» (12: 6). وإذ رأي النبيُّ صهيون في الأفق، دعاها إلى أن تتحوّل إلى مبشِّرة للآخرين: «إصعدي إلى جبلٍ، يا مبشِّرة صهيون؛ إرفعي صوتكِ بقوّة، يا مبشّرةَ أورشليم» (40 :9). الخليقة كلُّها تشترك في فرح الخلاص هذا: «رنّمي أيتها السماوات، وابتهجي أيتها الأرض، واندفعي بالترنيم أيتها الجبال، فإن الربَّ قد عزّى شعبه، ورحم بائسيه» (49: 13).

رأى زكريّا يومَ الربّ، فدعا إلى مناداة الملك القادم، «وديعاً، راكباً على جحش»: «إبتهجي جدّاً يا بنتَ صهيون! واهتفي فرحاً، يا بنتَ أورشليم! هوذا ملككِ يأتيكِ صدّيقاً مخلّصاً» (9: 9). إلاّ أن الدعوةَ الأكثر انتشاراً هي لربما دعوة النبيّ صفَنيا الذي يُظهر لنا الله نفسَه كمركزٍ يشعُّ عيداً وفرحاً ويريدُ أن يبلّغ شعبه هذا الهتاف الخلاصيّ. إعادة قراءة هذا النصّ يملأُني حياةً: «إنّ في وسطكِ الربَّ إلهُكِ المخلّصَ

الجبّار! فهو يُسَرُّ بكِ فرَحاً، ويرتعش في حبّكِ؛ سيتهلّلُ لكِ ويبتهجُ بكِ بترنيم» (3: 17).

إنه الفرحُ الذي يُعاش في صغار أمور الوجود اليوميّ، جواباً عن دعوة الله أبينا الودودة: «يا بُنيّ، أنفق على نفسك بحسب ما تملك [...] لا تخسَرْ يوماً صالحاً» (سي 14: 11، 14). كم من الحنان الأبويّ يُستشفُّ وراء هذه الكلمات!

5- إن الإنجيل، حيث يتألق ممجَّداً صليبُ المسيح يدعو بإلحاح إلى الفرح. تكفي بعض الأمثلة: « إفرحي» هو سلام الملاك لمرسيم (لو 1: 28). زيارة مريم لأليصابات جعلت يوحنا يرتكض فرحاً في بطن أمه (را لو 1: 41). ومريم تعلن في نشيدها: «وتبتهج روحي بالله مخلّصي» (لو 1: 47). وعندما بدأ يسوع خدمته، صرخ يوحنا قائلاً: «فهذا الفرح الذي هو فرحي قد تمّ» (يو 3: 29). يسوعُ نفسه «تهلّل فرحاً بفعل الروح القدس» (لو 10: 21). ورسالتُه ينبوعُ فرح: «قلتُ لكم هذا ليكونَ فرحي فيكم فيكونَ فرحُكم كاملاً» (يو 15: 11). فرحُنا المسيحيّ يتدفّق من ينبوع قلبه الفيّاض. إنه يعدُ التلاميذ: «إنكم ستحزنون ولكنَ حزنكم سينقلب فرحاً» (يو 16: 20). ويشدّد قائلاً: «ولكنّي سأعود فأراكم فتفرحُ قلوبكم، وفرحُكم هذا لا ينتزعُه منكم أحد» (يو 16: 22). في ما بعد، لمّا رآه التلاميذ قائماً من بين الأموات «امتلأوا فرحاً» (يو 20: 20).

يروي سفرُ أعمال الرسل أنه، في الجماعة الأولى، «كانوا يتناولون طعامهم بابتهاج» (2: 46). وحيثما مرَّ التلاميذ «كان يعمُّ فرحٌ عظيم» (8: 8)؛ والتلاميذ، في الاضطهادات «كانوا ممتلئين من الفرح» (13: 52). والخصيُّ «مضى في طريقه فرحاً» (8: 39)، بعد أن اعتمد للتوّ. وحارسُ السِّجن «ابتهج مع جميع أهل بيته لأنه قد آمن بالله» (16: 34).

فلماذا لا ندخل نحن أيضاً في هذا الفيض من الفرح؟

6- هناك مسيحيّون يبدون وكأنهم متلّبسون سيماءَ صيام بدون فصح. إلاّ أني أقرّ بأن الفرح لا يُعاشُ بالطريقة نفسها، في كلّ مراحلِ الحياة وظروفها، القاسية جدّاً أحياناً. إنه يتكيّف ويتبدّل ويتلبث دائماً، على الأقلّ، كشعاع نورٍ يولد من اليقين الشخصيّ، بأنّي محبوبٌ للغاية، فوق كلّ شيء. إني أتفهّم الأشخاص الذين يحزنون بسبب مصاعب ثقيلة عليهم تحمّلها. إلاّ أنه، شيئاً فشيئاً، يجب أن يُسمحَ لفرح الإيمان أن يبدأ فيستيقظ، مثل ثقة خفيّة لكن صامدة، حتى وسط أشنع الهموم: «بعُدت نفسي عن السلام ونسيتُ السعادة! [...] هذا ما أردّد في قلبي فلذلك أرجو: من رأفة الربّ أنّا لم نضمحلّ لأن مراحمه لا تزول؛ هي جديدةٌ في كلّ صباح وأمانتكَ عظيمة! [...] خيرٌ أن يُنتظر خلاص الربّ بسكوت» (مراثي إرميا 3: 7، 21-23، 26).

7- غالباً ما تظهر التجربةُ تحت شكلِ أعذارٍ أو تظلّمات، كما لو كانت هناك شروطٌ لا تُحصى كي يكون الفرحُ ممكناً. يحصل هذا «لأن المجتمع التقنيّ استطاع أن يكثّر من مناسبات اللذّة، لكنّه فشل في أن يبثَّ الفرح»[٢]. أستطيع القول إن الأفراح الأكثر جمالاً والأكثر عفويّةً التي رأيتُها مدّة حياتي، هي أفراحُ أشخاصٍ فقراءَ للغاية لا يملكون إلاّ القليل ليتمسّكوا به. أذكر أيضاً الفرحَ الحقيقيّ، فرحَ أولئك الذين، على الرغم من انخراطهم في التزاماتٍ مهنيّة كبيرة، عرفوا أن يحافظوا على قلب مؤمن، سخيّ وبسيط. هذه الأفراح، بطرقٍ مختلفة، تنهل من ينبوع حبّ الله الدائم التدفّق الذي ظهر في يسوع المسيح. لن أكلَّ أبداً عن ترداد كلمات بندكتوس السادس عشر هذه التي تقودنا إلى صُلب الإنجيل: «في بدءِ الكينونة المسيحيّة، ليس هناك من قرارٍ خلقيّ أو فكرة عظيمة، بل لقاءُ حدَث، لقاءُ شخصٍ يمنحُ الحياة أفقاً جديداً، ومن ثمَّ توجيهاً حاسماً»[٣].

8- فقط بفضل ذلك اللقَاء – أو اللقَاء الجديد – مع حبّ الله، الذي يتحوّل إلى صداقة سعيدة، نتحرّر من ضميرنا المنعزل والمرجعيّة الذاتيّة. ونتمكن من أن نكون إنسانيّين، كليّاً، عندما

[٢] **المرجع نفسه**، الرقم 8: أ ك ر (***AAS***) 67 (1975)، 292.

[٣] الرسالة العامة «**الله محبّة**» (25 كانون الأول 2005)، الرقم 1: أ ك ر (***AAS***) 98 (2006)، 217.

نكون أكثرَ أنسنةً، عندما نسمح لله بأن يقودنا إلى ما أبعدَ من ذواتنا، كي نبلغَ كياننا الأكثر حقيقةً. هنا يوجد ينبوعُ عمل التبشير بالإنجيل. لأنه، إذا كان المرءُ قد تقبّل هذا الحبَّ الذي يُعيد إليه معنى الحياة، فكيف يمكنه أن يلجم الرغبة في إطلاع الآخرين عليه؟

ثانياً: فرحُ التبشير بالإنجيل العذبُ والمنشّط

9- يتوق الخيرُ دائماً إلى أن ينتشر. كلُّ اختبار حقيقيّ للحقيقة والجمال يعمل ذاتيّاً على انتشاره، وكلُّ شخصٍ يعيش تحريراً عميقاً يحصل على أحساسٍ أكبر أمام حاجات الآخرين. الخيرُ، عندما يُنشر، يتأصّل وينمو. لذلك، كلُّ من يرغب في أن يحيا بكرامة وكمال، لا سبيل له إلاّ أن يعترف بالآخر ويعمل لخيره. فلا نعجبنَّ، إذاً، من بعض عبارات القديس بولس: «إن محبّة المسيح تحثّنا» (2 كو 5: 14)؛ «والويلُ لي إن لم أبشّر» (1 كو 9: 16).

10- يُعرض علينا أن نحيا على مستوّى رفيع، لكن هذا لا يعني أن نحيا بحدّةٍ أدنى: «الحياة تزداد عندما تُعطى، وتضعف في الانعزال والرفاهة. إن الذين ينتفعون الأكثرَ من الحياة هم أولئك الذين يضعون الأمان جانباً ويُشغَفون برسالة إيصال الحياة إلى

الآخرين»[٤]. عندما تدعو الكنيسة إلى الالتزام التبشيريّ، لا تفعل إلاّ أن تدلّ المسيحيّين على ديناميّة الإنجاز الشخصيّ الحقّة: «نكتشف هكذا شريعةً أخرى للواقع عميقة: أن الحياة يُحصل عليها وتنضج بقدر ما تُبذل لمنح الآخرين الحياة. تلك هي، بالنهاية، الرسالة»[٥]. بالتالي، يجب على المبشّر ألاّ يتلبّس على الدوام رأساً كئيباً. لنعدْ ونكتشفْ ونضاعفِ النخوة، «وفرحَ التبشير بالإنجيل العذبَ والمشجِّع، حتى عندما علينا أن نبذرَ في الدموع [...]. ليتمكنَنّ عالمُ اليوم الذي يبحث، حيناً في القلق، وحيناً آخر في الرجاء، من أن يقبل البشرى الحسنة، لا عن يد مبشّرين حزانى ويائسين، نافدي الصبر قلقين، بل عن يد خدّام للإنجيل، تشعُّ حياتهم حماساً، ونالوا هم أولاً فرحَ المسيح»[٦].

حداثةٌ أزليّة

11- يمنح الإعلانُ المتجدّد للمؤمنين، حتى للفاترين أو غير الممارسين، فرحاً جديداً في الإيمان وخصباً تبشيريّاً. في الواقع،

[٤] الندوة العامّة الخامسة لأساقفة القارّة اللاتينيّة – الأميركيّة والكاراييب: **وثيقة أباريسيدا** (29 حزيران 2007)، الرقم 360.

[٥] **المرجع نفسه**.

[٦] بولس السادس: الإرشاد الرسوليّ «**التبشير بالإنجيل**» (8 كانون الأول 1975)، الرقم 8: أ ك ر (*AAS*) 68 (1976)، 74-75.

مركزُ ذاك الفرح وجوهرُه هما دائماً ذاتهما: الله الذي أعلن حبَّه العظيم في المسيح الذي مات وقام من بين الأموات. إنه يجعل مؤمنيه دائماً جدُداً مع أنهم قدامى: «...فيتجدّدون قوّة، ويبسطون أجنحتهم كالنسور، يَعدون ولا يُعيُون، يسيرون ولا يتعبون» (إش 40: 31). المسيح هو «البشرى الحسنة الأزليّة» (رؤ 14: 6)، وهو «هو أمسِ واليومَ وإلى الدهور» (عب 13: 8)، لكن غناه وجمالَه لا يَنفَدان. إنه على الدوام شابٌّ ومنبعُ حداثة مستمرّ. ولا تني الكنيسة تعجب من «عمق غنى الله وحكمته وعلمه!» (رو 11: 33). كان يوحنا الصليب يقول: «هذه الكثافة من الحكمة وعلم الله هي عميقة وعظيمة إلى حدّ أنه، وإن كانت النفس تعرف شيئاً، يمكن أن تنفذ فيها دائماً أكثر» [٧]. أو أيضاً، على حدّ ما أكّده القديس إيريناوس: «جلب [المسيح] معه، في مجيئه، كلّ جديد» [٨]. يمكنه دائماً، بجدّته، أن يجدّد حياتنا وجماعتنا، وحتى إذا كان الاقتراح المسيحيّ يمرّ بحقبات ظلمة وضعف كنسيَّين، فإنه لا يشيخُ أبداً. يمكن يسوعَ المسيحَ أن يحطّم المخططاتِ المملّة التي ندّعي حصرَه فيها، فيفاجئنا بإبداعه الإلهيّ المستمرّ. كلَّ مرّة نسعى فيها للعودة إلى الينبوع كي نستعيد رونق الإنجيل الأصيل، تظهر سبلٌ جديدة، أساليبُ

[٧] **النشيد الروحيّ**، 36، 10.

[٨] **ضدّ الهراطقة**، 4، 34، الرقم 1: **الآباء اليونان** (PG) 7، 1083.

خلاّقة، أشكالُ تعبير أخرى، علاماتٌ أفصح، كلماتٌ محمّلةٌ معنىً متجدّداً لعالم اليوم. في الواقع، كلّ عمل تبشير بالإنجيل أصيل هو دائماً «جديد».

12– مع أن هذه الرسالة تتطلّب منا التزاماً سخيّاً، إنه لخطأ أن نعتبرها كمهمّة شخصيّة بطوليّة، بما أن العمل هو، قبلَ كلّ شيء، عملُه، وأسمى مما يمكننا اكتشافه وفهمه. يسوعُ هو «أول وأعظم مبشّر بالإنجيل»[٩]. في كل شكل تبشير بالإنجيل، الأولويّة تعود دائماً إلى الله، الذي أراد أن يدعونا إلى التعاون معه وحثّنا على العمل بقوّة روحه. الحداثة الجديدة هي تلك التي يريد الله أن يولّدها بطريقة عجيبة، تلك التي يوحي بها، تلك التي يثيرها، تلك التي يوجّهها ويرافقها بطرق لا حدّ لها. في حياة الكنيسة كلّها، يجب أن نظهر دائماً أن المبادرة تأتي من الله، أنه «هو الذي أحبّنا أولاً» (1 يو 4: 9)، وأن «اللهَ وحدَه هو الذي ينمّي» (1 كو 3: 7). يسمح لنا هذا الاقتناع بالمحافظة على الفرح إزاءَ رسالةٍ متطلّبةٍ هي تحدٍّ يتملك حياتنا بأكملها. تطلب منّا الكلّ، لكن في الوقت عينه تمنحنا الكلّ.

[٩] بولس السادس: الإرشاد الرسوليّ «**التبشير بالإنجيل**» (8 كانون الأول 1975) الرقم 7: أ ك ر (*AAS*) 68 (1976)، 9.

13- علينا ألاّ نفهم حداثة هذه الرسالة كاقتلاعٍ من الجذور، كنسيانٍ للتاريخ الحيّ الذي يتقبّلنا ويدفع بنا إلى الأمام. الذاكرة بعدٌ لإيماننا يمكن أن نسميّه «تشريعاً ثانياً»، على غرار ذاكرة إسرائيل. يعطينا يسوعُ الإفخارستيّا كذاكرةٍ يوميّة للكنيسة، تُدخلنا دائماً أكثر في الفصح (را لو 22: 19). فرحُ التبشير بالإنجيل يلمع دائماً في صميم الذاكرة الشاكرة: إنها نعمةٌ علينا أن نستجديَها. لم ينسَ الرسولان أبداً اللحظةَ التي أثّر فيها يسوعُ على قلبيهما: «وكانت الساعةُ نحو العاشرة» (يو 1: 39). مع يسوع، تُظهر الذاكرةُ لنا «جمعاً حقيقيّاً من الشهود» (عب 12: 1). من بينهم تميّز أشخاصاً أثّروا بطريقة خاصّة كي يُنبتوا فرح إيماننا: «أذكروا مدبّريكم، الذين كلّموكم بكلمة الله» (عب 13: 7). أحياناً، يكونون أناساً بسطاءَ قريبين نشّأونا على حياة الإيمان: «وأُحيّي على الخصوص ذكر إيمانك الذي لا رئاء فيه، الذي استقرّ أولاً في جدتك لوئيس وفي أمك إفنيكي» (2 تي 1: 5). المؤمن هو بالأساس «شخصٌ يتذكّر».

ثالثاً: التبشير الجديدُ بالإنجيل لنقل الإيمان

14- بالإصغاء إلى الروح، الذي يساعدنا على التعرّف، جماعيّاً، على علامات الأزمنة، احتُفل، من 7 إلى 28 تشرين الأول 2012، بالجمعيّة العامّة العاديّة الثالثة عشرة لسينودس الأساقفة، حول موضوع «**التبشير الجديد بالإنجيل لنقل الإيمان**

المسيحيّ». لقد ذُكّر في أثنائها أن التبشير الجديد بالإنجيل يدعو كل واحد، ويتحقّق أساساً في ثلاثة ميادين [10]. بادئَ الأمر، نذكر ميدان **الراعويّة العاديّة**، «التي تذكيها نارُ الروح، كي تُشعلَ قلوبَ المؤمنين الذين يؤمّون الجماعة بانتظام والذين يجتمعون في يوم الربّ كي يتغذّوا من كلمته ومن خبز الحياة الأبديّة» [11]. يجب أن نضمّن أيضاً في هذا الميدان المؤمنين المحافظين على إيمان كاثوليكي شديد وصادق، يعبّرون عنه بطرقٍ مختلفة، مع أنهم غالباً ما لا يشاركون في الطقوس. تتوجّه هذه الراعويّة نحو نموّ المؤمنين، بحيث يستجيبون لحبّ الله، دائماً أفضل وبكلّ حياتهم. في مقام ثانٍ، نذكر ميدان «**المعمَّدين الذين مع ذلك لا يحيَون متطلّبات عمادهم**»[12]، لا ينتمون قلبيّاً إلى الكنيسة ولا يختبرون من ثمّ تعزية الإيمان. فالكنيسة، بصفتها أمّاً ساهرةً على الدوام، تلتزم كي يعيش أولئك الأشخاص ارتداداً يُعيد إليهم فرحَ الإيمان والرغبة في أن يلتزموا الإنجيل.

[10] را **الاقتراح** 7.

[11] بندكتوس السادس عشر: عظة قداس ختام الجمعيّة العامة العاديّة الثالثة عشرة لسينودس الأساقفة (28 تشرين الأول 2012): أ ك ر (*AAS*) 104 (2012)، 890.

[12] **المرجع نفسه**.

أخيراً، لنلاحظنَّ أن التبشير بالإنجيل مرتبط جوهريّاً بإعلان الإنجيل **لأولئك الذين لا يعرفون يسوعَ المسيح أو رفضوه دائماً**. كثيرون منهم يبحثون عن الله سرّاً، يدفعهم الحنينُ إلى وجهه، حتى في البلدان ذات التقليد القديم المسيحيّ. يحقّ للجميع تقبّل الإنجيل. ومن واجب المسيحيّين إعلانه دون إقصاء أحد، لا كمن يفرض واجباً جديداً، بل كمن يتقاسم فرحاً، كمن يدلّ على أفقٍ جميل، كمن يقدّم وليمة مشتهاة. الكنيسة لا تنمو بالاقتناص (*prosélytisme*) بل بـــ «الجذب»[١٣].

15– لقد دعانا يوحنا بولس الثاني إلى الإقرار بأنه «من الضروري أن يشدّنا تبشير» البعيدين عن المسيح، لأن «تلك هي **مهمّة** الكنيسة **الأولى**»[١٤]. النشاط الإرساليّ «يشكّل، اليومَ أيضاً، **أعظمَ تحدٍّ** للكنيسة» [١٥]. و«القضيّة الإرساليّة يجب أن **تحتلَّ المقام الأول**»[١٦]. ماذا يمكن أن يحدث لو أخذنا هذه الكلمات على

[١٣] بندكتوس السادس عشر: عظة إفخارستيّا افتتاح المؤتمر الخامس العام لأساقفة القارة اللاتينيّة – الأميركيّة والكاراييب (13 أيّار 2007) أباريسيدا، البرازيل: أ ك ر (*AAS*) 99 (2007)، 437.

[١٤] الرسالة العامة «**رسالة الفادي**» (7 كانون الأول 1990)، الرقم 34: أ ك ر (*AAS*) 83 (1991)، 280.

[١٥] **المرجع نفسه**، الرقم 40: **المرجع نفسه**، 287.

[١٦] **المرجع نفسه**، الرقم 86: **المرجع نفسه**، 333.

محمل الجدّ؟ لكُنّا اعترفنا ببساطة أن العمل الإرساليّ **هو المثال لكلّ مهمّة في الكنيسة** . على هذا الخط، أعلن أساقفة القارّة اللاتينيّة الأميركيّة «أنّا لا نستطيع من بعدُ أن نبقى لامبالين، في انتظار سلبيّ، داخل كنائسنا» [١٧]، وأنه من الضروريّ العبور «من راعويّةٍ محادثةٍ بسيطة إلى راعويّةٍ إرساليّةٍ بالحقيقة» [١٨]. ما زالت هذه المهمّة مصدرَ أعظم الأفراح للكنيسة: «على هذا النحو، يكون الفرحُ في السماء بخاطىءٍ واحد يتوب أكثرَ من الفرح بتسعةٍ وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة» (لو 15: 7).

اقتراحات هذا الإرشاد وحدوده

16- لقد قبلتُ بفرحٍ دعوَة آباء السينودس بأن أحرّر هذا الإرشاد[١٩]. بفعلي هذا، أقتطفُ ثروةَ أعمالِ السينودس. لقد استشرتُ أيضاً عدّة أشخاص، وأقصد، علاوةً على ذلك، أن أعبّر عن الشواغل التي تلازمني في هذا الوقت بالذات، وقتِ عمل الكنيسة للتبشير بالإنجيل. إنّ المواضيعَ المرتبطة بالتبشير بالإنجيل في العالم الحاضر، التي يمكن أن يُتوسَّعَ بها هنا، لا

[١٧] الندوة العامة الخامسة لأساقفة القارة اللاتينيّ – الأميركيّة والكاراييب: **وثيقة أباريسيدا** (29 حزيران 2007)، الرقم 548.

[١٨] **المرجع نفسه**، الرقم 370.

[١٩] را **الاقتراح** 1.

تُحصى. لقد عزفتُ عن أن أعالج بالتفصيل، هذه القضايا العديدة التي يجب أن تكون موضوعَ درسٍ وتعمّقٍ رصين. ولا أظنّ أيضاً أنه يُنتظر من السلطة التعليميّة البابويّة كلامٌ فصلٌ أو نهائيٌّ حول جميع القضايا التي تَعني الكنيسة والعالم. ولا يجدر بالبابا أن ينوب مناب الأسقفيّة المحليّة في تمييز جميع الإشكاليّات التي تظهر في مناطقهم. بهذا المعنى، أشعر بضرورة التقدّم نحو «لامركزيّة» ناجعة.

17- هنا، اخترتُ أن أقترح بعض المواضيع التي يمكنها أن تشجّع وتوجّه في الكنيسة كلّها مرحلةً جديدة للتبشير بالإنجيل، ملأى حماسةً وديناميّة. في هذا الإطار، ووفقاً لتعليم الدستور العقيديّ «**نور الأمم**» ، قرّرتُ، من بين المواضيع، أن أتوقّف مطوّلاً عند القضايا التالية:

أ) إصلاح الكنيسة من "المنطلقة" إلى الرسالة.

ب) تجارب العاملين الراعويّين.

ج) الكنيسة بمفهوم جماعة شعب الله المبشّر بالإنجيل.

د) العظة وتحضيرها.

ه) إدماج الفقراء الاجتماعيّ.

و) السلام والحوار الاجتماعيّ.

ز) الحوافز الروحيّة للمهمّة الإرساليّة.

18- توسّعتُ حول هذه المواضيع بإسهابٍ يمكن لربّما أن يَظهر مفرطاً. لم أفعل مع نيّةٍ أن أقدّمَ بحثاً، بل فقط كي أُظهرَ تأثيرَ تلك المواضيع المهمّ والعمليّ على رسالة الكنيسة الحاليّة. في الواقع، إنها تساعد كلُّها على رسم جوانب أسلوبٍ تبشيريٍّ محدَّد أدعو إلى الاضطلاع به **في إنجاز كلّ نشاط.** وبهذه الطريقة، يمكن أن نتقبّل، في عملنا اليوميّ، تحريضَ كلمة الله: «إفرحوا في الربّ على الدوام، وأقول أيضاً افرحوا» **(في 4: 4)**.

الفصل الأوّل

تحوّل الكنيسة الإرسالي

19- التبشيرُ بالإنجيل يخضعُ لأمر يسوعَ الإرساليّ: «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميعَ الأمم، وعمّدوهم باسم الآبِ والابنِ والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميعَ ما أوصيتكم به» (متى 28: 19-20 أ). في هذه الآيات يُتحدَّث عن الوقتِ الذي أرسل فيه القائمُ من بين الأموات أخصّاءَه ليبشّروا بالإنجيل في كلّ وقتٍ وكلّ مكان، حتى ينتشر الإيمانُ به في كل بقعةٍ من الأرض.

أولاً: كنيسة "في انطلاق" / "على أهبة الإقلاع"

20- تظهر دوماً في كلام الله تلك الديناميّة «للخروج» الذي يريد الله أن يستحثّه عند المؤمنين. فإبراهيم لبّى النداءَ بأن يذهب إلى أرضٍ جديدة (را تك 12: 1-3). وموسى سمع صوت الله: «تعال أبعثْكَ» (خر 3: 10) فأخرج الشعب نحو أرض الميعاد (را خر 3: 17). ولإرميا قال: «فإنك لكلِّ ما أُرسلكَ له تنطلق» (إر 1: 7). واليوم، في أمر يسوع هذا «إذهبوا»، حاضرةٌ السيناريوهاتُ والتحدّياتُ الدائمة التجدّد الخاصّة برسالة الكنيسة للتبشير بالإنجيل، ونحن جميعاً مدعوّون إلى هذا «الخروج»

الجديد الإرساليّ. على كلِّ مسيحيّ – وكلّ جماعة – أن يميّز الطريق الذي يطلبه الربّ، لكنّا جميعاً مدعوّون إلى أن نلّبي هذه الدعوة: الخروج من رفاهنا الخاصّ والتحلّي بالشجاعة للبلوغ إلى جميع المناطق المحتاجة إلى نور الإنجيل.

21– فرح الإنجيل الذي يملأُ حياةَ جماعة التلاميذ هو فرح إرساليّ. ولقد اختبر ذلك التلاميذُ السبعون، إذ رجعوا من الرسالة مملؤين فرحاً (را لو 10: 17). ويسوعُ يعيش هذا الفرح، هو الذي تهلّل فرَحاً بفعل الروح القدس وحمَد الآب لأنّ وحيَه بلغ الفقراء والأصاغر (را لو 10: 21). وشعر بالفرح أيضاً أولُ المرتدّين، وقد امتلأوا دهشة، إذ سمعوا عظة الرسل، يومَ العنصرة، «كلٌّ واحدٍ منهم بلغته» (أع 2: 6). هذا الفرح هو علامةٌ أن الإنجيل قد بُشّر به ويأتي بثمار. لكنَّ هذا الفرح يتّسم دائماً بديناميّة الخروج والعطاء، بمجرّد الخروج من الذات، والسَّير ومعاودة البذر دائماً، وإلى ما هو أبعد. قال الربّ: «هلّموا إلى مكانٍ آخر، إلى القرى المجاورة لأبشّر فيها أيضاً. فإني لهذا خرجتُ» (مر 1: 38). عندما يُبذرُ البذارُ في مكان ما، لا يتأخر يسوعُ فيه لمزيدٍ من الشرح أو لإجراءِ آياتٍ أخرى، على العكس يقوده الروحُ فيذهب إلى قرًى أخرى.

22– تمتلك الكلمةُ بحدِّ ذاتها طاقةً لا يمكننا توقُّعها. يتحدّث الإنجيل عن بذارٍ ينمو من ذاته، بعدما يُبذر، حتى ولو نام

الزارع (را مر 4: 26–29). على الكنيسة أن ترضى بحريّةِ الكلمة هذه التي لا يمكن حصرُها، الفعّالةُ على طريقتها، وتحت أشكالٍ مختلفةٍ للغاية، بحيث إنها عندما تُفلت منّا، غالباً ما تفوق توقّعاتِنا وتقلب مخطّطاتنا، رأساً على عقب.

23– إن أُلفةَ الكنيسة مع يسوع هي أُلفةٌ سيّارة، والشراكة «تبدو جوهريّاً كشراكةٍ إرساليّة» [٢٠]. أمانةً لمثال المعلّم، من الحيويّ اليوم أن تخرج الكنيسة لتبشّر الجميع بالإنجيل، في كل مكان، وفي كلّ المناسبات، بدون تردّد ولا اشمئزاز ولا خوف. فرحُ الإنجيل يخصُّ الشعبَ كلَّه، ولا يمكن أن يُقصى أحدٌ عنه. هذا ما أعلنه الملاك لرعاةِ بيت لحم: «لا تخافوا. فها أنا أبشّركم بفرحٍ يكون **للشعب كلّه**» (لو 2: 10). وسفر الرؤيا يتحدّث عن «بشرى حسنة (إنجيل) أبديّة، ليُبَشَّرَ بها القاطنون في الأرض، من كلّ أمّةٍ وقبيلةٍ ولسانٍ وشعب» (رؤ 14: 6).

أخذُ المبادرة، الالتزام، المرافقة، حمل الثمار والتعييد

24– الكنيسة «المنطلقة» هي جماعة التلاميذ المرسلين الذين يأخذون المبادرة، ويلتزمون ويرافقون ويأتون بالثمار ويعيّدون.

[٢٠] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**العلمانيون المؤمنون بالمسيح**» (30 كانون الأول 1988)، الرقم 32: أ ك ر (*AAS*)81 (1989)، 451.

«*Primerear* = **يأخذون المبادرة** »: أرجو المعذرة عن استعمال هذا التعبير الجديد. الجماعة المبشِّرة بالإنجيل تَختبرُ أن السيّد أخذ المبادرة، أنه استبقها في الحبّ (را يو 4: 10). ولهذا السبب، إنها تعرف أن تذهب إلى الأمام، إنها تعرف أن تأخذ المبادرة غير هيّابة، أن تذهب إلى اللقاء، أن تبحث عن البعيدين وتصل إلى تصالب الطرق كي تدعوَ المستبعَدين. ولأنها اختبرت رحمة الآب وقدرة انتشارها، فهي ترغب رغبةً لا تنضب في أن تقدّم الرحمة. لنجرؤنَّ، أكثر قليلاً، على أن نأخذ المبادرة!

وبالتالي، فإن الكنيسة تعرف أن «**تلتزم**». غسل يسوع أرجل تلاميذه. السيّد يلتزم ويُلزم أخصّاءَه، بالجثوّ على ركبتيه أمام الآخرين ليغسلهم. لكن، حالاً بعد ذلك، يقول لتلاميذه: «طوبى لكم إذا عملتم به» (يو 13: 17). إن الجماعة المبشِّرة بالإنجيل، بأفعالها وحركاتها، تدخل في حياة الآخرين اليوميّة، إنها تقلّص الأبعاد، وتتدنّى حتى الإذلال إذا لزم الأمر، وتضطلع بالحياة الإنسانيّة، لامسةً جسدَ المسيح المتألم في الشعب. وهكذا، فالمبشّرون بالإنجيل تفوح منهم «رائحة النعاج»، وهذه تسمعُ صوتهم.

من ثمَّ، فالجماعة المبشِّرة بالإنجيل تتأهب «**للمرافقة**». إنها ترافق البشريّة في كلّ مساراتها، مهما كانت قاسيةً وطويلة.

إنها تعرف أن تنتظر طويلاً وأن تصبرَ الصبر الرسوليّ. البشارةُ بالإنجيل صبورةٌ جدّاً، وتتحاشى عدمَ الأخذ بعين الاعتبار الحدود.

وهي تعرف أيضاً، بأمانتها لنعمة السيّد، أن «**تأتي ثماراً**». الجماعة المبشّرة بالإنجيل تتنبّه دائماً للثمار، لأن السيّد يريدها خصبة. إنه يعتني بالبذار ولا يهتمّ بالزؤان. فالزارع، عندما يرى الزؤان ينبت بين الحَبّ لا تبدو منه انفعالاتٌ تفجّعية ولا مخوّفة. إنه يتدبّرُ الأمر بحيث تتجسّدُ الكلمة في وضع واقعيّ، فتؤتي ثمارَ حياةٍ جديدة، مع أن تلك الثمار هي، ظاهريّاً، معيوبة وناقصة. يعرف التلميذ أن يقدّم حياتَه كلَّها و«يلعبها» حتى الاستشهاد، شهادةً ليسوع المسيح؛ حُلمُه ليس أن يؤلّب حوله أعداءً كثيرين، بل بالأحرى أن تُقبَلَ الكلمة فتُظهرَ قدرتها المحرِّرة والمجدِّدة.

أخيراً، الجماعة المبشِّرة بالإنجيل، تعرف دائماً أن «تعيّد»، فرحةً. إنها تحتفل بكلّ انتصار صغير وتعيّد له بكل خطوةٍ إلى الأمام على طريق البشارة بالإنجيل. البشارةُ بالإنجيل الفرِحة تتألق في الليترجيّا، في الالتزام اليوميّ بجعل الخيرِ يتقدّم. تبشّر الكنيسةُ بالإنجيل وتبشّر ذاتها بجمال الليترجيّا التي هي أيضاً احتفالٌ بنشاط التبشير بالإنجيل وينبوعُ اندفاعٍ متجدّدٍ للعطاء.

ثانياً: راعويّة في تحوّل

25- لا يخفى عليّ أن الوثائق اليوم لا تثير الاهتمامَ نفسه، كما في عصورٍ أخرى، وأنها حالاً ما تُنسى. مع ذلك، أشير إلى أن ما أريد التعبيرَ عنه هنا، يتّسم بمعنىً مبَرمج وله عواقبُ هامّة. آمل بأنّ الجماعات كلَّها تبذل الوسائل الضروريّة للتقدّم على طريق تحوّلٍ راعويّ وإرساليّ، لا يمكنه أن يدعَ الأمورَ على ما هي. لسنا بحاجة إلى «مجرَّد إدارة» [٢١]. لننتظمنّ في كلّ أصقاع الأرض في «حالة رسالة دائمة»[٢٢].

26- دعا بولسُ السادس إلى توسيع النداء للتجدّد، كي يعبّر بشدّة عن أنه لم يكن يتوجّه فقط إلى الأفراد، بل إلى الكنيسة جمعاء. لنتذكّرنَّ ذاك النصَّ المأثور الذي لم يفقد قوّته المنادية: «لقد دقّت الساعة للكنيسة كي تعمّق وعيَ حالتها، وتتأمّل في السرّ الذي هو سرّها [...]. من وعي الضمير هذا المستنيرِ والفاعلِ تنجم رغبةٌ عفويّة في أن نقارن مع صورةِ الكنيسة المثاليّة، مثلما عاشها المسيحُ وأرادها وأحبّها، كعروسٍ له مقدّسة ولا عيب فيها (را أف 5: 27)، الوجهَ الحقيقيَّ الذي تقدّمه الكنيسةُ اليوم [...]. من هنا تتولّد رغبةٌ سخيّةٌ، وكأنها على أحرّ

[٢١] **وثيقة أباريسيدا، المرجع المذكور**، الرقم 201.

[٢٢] **المرجع نفسه**، الرقم 551.

من الجمر، في التجدّد، أي في إصلاح العيوب التي يندّد بها ويرفضها ذاك الضميرُ الفاحصُ ذاته على ضوء المثال الذي تركه لنا المسيح»[٢٣].

قدّم المجمع الفاتيكانيّ الثاني الارتداد (التحوّل) الكنسيّ وكأنه انفتاحٌ على إصلاحٍ للذات مستمرّ، أمانةً ليسوعَ المسيح: «ولمّا كان كلّ تجدّدٍ في الكنيسة يقومُ جوهريّاً على أمانتها المتزايدة لدعوتها [...] فإنّ الكنيسة، طالما استمرّت في مسيرتها، يدعوها المسيحُ الإله إلى هذا الإصلاح المستمرّ، لأنها على الدوام بحاجةٍ إليه، من حيث هي مؤسَّسةٌ بشريّةٌ وأرضيّة»[٢٤].

هناك بنًى كنسيّةٌ تتمكن من تفعيل ديناميّة مبشِّرةٍ بالإنجيل؛ وكذلك، البنى الجيّدة نافعةٌ عندما تنعشها حياةٌ وتساندها وتقودها. بدون حياةٍ جديدة وروحٍ إنجيليّة أصيلة، بدون «أمانةِ الكنيسة لدعوتها الخاصّة»، كلُّ بنية جديدة سريعاً ما تفسد.

[٢٣] الرسالة العامة «**كنيسة المسيح**» (16 آب 1964)، الرقم 10-12: أ ك ر (*AAS*) 56 (1964)، 611-612.

[٢٤] القرار المجمعيّ «**الحركة المسكونيّة**»، الرقم 6.

تجديد كنسيّ لا يمكن إرجاؤه

27- أتخيّل اختباراً إرساليّاً قادراً على تحويل كلّ شيء، كي تصبح العاداتُ والأنماطُ والتوقيتُ واللسان وكلُّ بنيةٍ كنسيّة، قناةً صالحةً لتبشير عالم اليوم بالإنجيل، أكثر من السعي لحمايته الذاتيّة. إن إصلاح البنى، الذي يفرض الارتداد الراعويّ، لا يمكن أن يُفهم إلاّ بهذا المعنى: العمل على أن تصبح كلّها مرسلةً أكثر، على أن تصبح الراعويّة العاديّة، بكلّ مقوّماتها، أكثر إشعاعاً وانفتاحاً، أن تؤهّب العملة الرعائيّين فيكونوا في وضع «انطلاق» دائم، فتسهّل هكذا الاستجابة الإيجابيّة لجميع الذين يقدّم لهم المسيحُ صداقته. وكما قال يوحنا بولس الثاني لأساقفة أوقيانيا «كلُّ تجدّد في الكنيسة ينبغي أن يهدف إلى الرسالة، لتحاشي السقوط في مجازفة كنيسة متقوقعةٍ على ذاتها»[٢٥].

28- الرعية ليست بنيةً عفّى عليها الزمن؛ ولأنها بالطبع تتّسم بمرونةٍ كبيرة، يمكنها أن تتلبّس أشكالاً مختلفةً للغاية، تتطلّب من الراعي ومن الجماعة طواعيّةً وإبداعاً إرساليّاً. ولئن لم تكن، بالتأكيد، المؤسَّسةَ الوحيدةَ المبشِّرةَ بالإنجيل، لكنها إذا استطاعت أن تُصلحَ ذاتها وتتكيّفَ على الدوام، تستمرُّ في أن تكون

[٢٥] الإرشاد الرسولي «**الكنيسة في أوقيانيا**» (22 تشرين الثاني 2001)، الرقم 19: أ ك ر (*AAS*) 94 (2002)، 390.

«الكنيسة ذاتها التي تعيش وسَط منازلِ أبنائها وبناتها» [٢٦]. يفترض ذلك حقّاً أنها على تواصلٍ مع الأُسر ومع حياة الشعب، ولا تصبحُ بنيةً متفرّعةَ الجوانب منفصلةً عن الناس، أو جماعةَ مختارين يتبادلون الأنظار. الرعيّة هي حضورٌ كنسيٌّ في المنطقة، مكانُ إصغاءٍ للكلمة، لنموٍّ الحياة المسيحيّة، للحوار، للبشارة، للمحبّة السخيّة، للعبادة والاحتفال [٢٧]. من خلال تلك النشاطات، تشجِّع الرعيّةُ أعضاءَها وتنشّئهم كي يكونوا عَمَلَةَ تبشير بالإنجيل [٢٨]. إنها مجموعةُ جماعات، إنها معبدٌ يقصده العطاش ليُرووا غليلهم فيتابعوا مسيرتهم، ومراكزَ إرسالٍ دائم لمرسلين. لكن علينا الإقرارُ بأن النداءَ لإعادة النظر في الرعايا وتجديدها لم يؤتِ بعدُ ثماراً وافية فتكونَ أقربَ إلى الناس، وتكونَ أمكنةَ شراكةٍ حيّة وتقاسُم، وأن تتوجّه كليّاً نحو الرسالة.

29- المؤسّساتُ الكنسيّة الأخرى، الجماعاتُ الأساسيّة والجماعاتُ الصغرى، الحركاتُ، وأصناف الجمعيّات الأخرى، تشكّل ثروةً للكنيسة، يثيرها الروحُ كي يُبشَّرَ بالإنجيل جميعُ

[٢٦] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**العلمانيّون المؤمنون بالمسيح**» (30 كانون الأول 1988)، الرقم 26:أ ك ر (*AAS*) 81 (1989)، 438.

[٢٧] را **الاقتراح** 26.

[٢٨] را **الاقتراح** 44.

الأوساط والقطاعات. فهي غالباً ما تأتي بحماسٍ تبشيريّ بالإنجيل جديدٍ، وقدرةٍ على الحوار مع العالم يجدّدان الكنيسة. لكن من النافع جدّاً ألاّ تفقد تلك الجماعاتُ التواصلَ مع ذاك الواقع الثريّ جدّاً الذي هو رعيّة المنطقة، وأن تنخرط باختبارها في راعويّة الكنيسة الخاصّة التنظيميّة [٢٩]. هذا الانخراطُ يجنّبها أن تلبث فقط مع قسم من الإنجيل والكنيسة، أو أن تتحوّل إلى رُحَّلٍ بدون جذور.

30- كلُّ كنيسة خاصّة، وهي جزءٌ من الكنيسة الكاثوليكيّة بقيادة أسقفها، مدعوّةٌ هي ايضاً إلى التحوّل الإرساليّ. إنها الموضوع الأول للتبشير بالإنجيل [٣٠]، باعتبارها الظاهرةَ الحسيّةَ للكنيسة الواحدة، في مكانٍ ما من العالم، وأن فيها «حاضرةٌ حقّاً وعاملةٌ كنيسةُ المسيح الواحدة، المقدّسة، الجامعة، الرسوليّة» [٣١]. إنها الكنيسة المتجسّدة في محيطٍ محدّد، مزوّدٍ بكلّ وسائل الخلاص التي يمنحها المسيح، لكن مع وجهٍ محلّي. فرحُ الكنيسة الخاصّة بأن يسوعَ المسيح يعبَّر عنه أكان باهتمامها بإعلانه في أماكنَ أخرى هي بأمسِّ الحاجة إليه، أم بانطلاقٍ دائم نحو المناطق

[٢٩] را **الاقتراح** 26.

[٣٠] را **الاقتراح** 41.

[٣١] القرار المجمعيّ «**مهمّة الأساقفة الراعويّة**»، الرقم 11.

الملاصقة لمنطقتها الخاصّة أو نحو أوساطٍ جديدة اجتماعيّة – ثقافيّة[٣٢]. إنها تسعى لأن تكون دوماً حيث ينقص بالأكثر نورُ القائم من بين الأموات وحياتُه [٣٣]. إني أحرّض أيضاً كلَّ كنيسة خاصّة على الدخول في مسيرةِ تمييزٍ وتطهيرٍ وإصلاح ثابتةِ العزم، كي يكون ذلك الاندفاعُ الإرساليُّ دائماً أشدَّ وأسخى وأكثر خصباً.

31– على الأسقف أن يعزّز دائماً الشراكة الإرساليّة في كنيسته الأبرشيّة بملاحقته المثال الأعلى في الجماعات المسيحيّة الأولى، التي كان فيها للمؤمنين قلبٌ واحدٌ ونفسٌ واحدة (را أع 4: 32). بناءً عليه، يجب أحياناً أن يتصدَّر في الأمام ليدلّ على الطريق ويساند رجاء الشعب؛ مرّةً أخرى يكتفي بأن يكون وسط الجماعة في تقاربٍ بسيطٍ رحيم وفي ظروفٍ أخرى، عليه أن يسير خلفَ الشعب، ليساعدَ المتخلّفين – وبالأخص – لأنَّ القطيعَ نفسه يملك حاسّةَ الشمّ للبحث عن سبلٍ جديدة. وفي مهمّته بأن يعزّزَ شراكةً ديناميكيّة، منفتحةً وإرساليّة، عليه أن يستحثَّ ويَنشُدَ إنضاجَ أنظمةِ المشاركة التي تقترحها **مجموعةُ**

[٣٢] را بندكتوس السادس عشر: خطاب أمام المشاركين في المؤتمر الدوليّ بمناسبة الذكرى الأربعين للقرار المجمعي «**نشاط الكنيسة الإرساليّ**» (11 آذار 2006): أ ك ر (*AAS*) 98 (2006)، 337.

[٣٣] **الاقتراح** 42.

الحقّ القانونيّ اللاتينيّ [٣٤] وأساليبَ حوارٍ راعويّ أخرى، مع الرغبة في سماع كلّ الناس، وليس فقط أفراداً هم دائماً على أهبة الاستعداد ليكيلوا له المدائح. لكن هدف تلك المسارات المشاركة لن يكون، في الأساس، تنظيماً كنسيّاً، بل حلمٌ إرساليّ بالبلوغ إلى الجميع.

32- بما أني مدعوٌّ إلى أن أعيش ما أطلب من الآخرين، عليَّ أيضاً أن أفكّر في تحوّل في البابويّة. يعود إليّ، بصفتي أسقفَ رومة، أن ألبث منفتحاً على الاقتراحات الموجّهة نحو ممارسةٍ لخدمتي تجعلها أكثر أمانةً للمعنى الذي يريد يسوعُ المسيح أن يُعطيَها، وللضرورات الحاليّة المتعلّقة بالتبشير بالإنجيل. طلب البابا يوحنا بولس الثاني أن يُساعَد كي يجد «طريقة ممارسةٍ للأولويّة منفتحة على وضع جديد، لكن دون أيّ تخلٍّ عن جوهر رسالته»[٣٥]. قلّما تقدّمنا في هذا الاتجاه. البابويّة ايضاً وبنى الكنيسة الجامعة المركزيّة بحاجة إلى أن يُصغوا إلى نداء تحوّل راعويّ. لقد أكدّ المجمعُ الفاتيكانيُّ الثاني أن المجالس الأسقفيّة، على غرار الكنائس البطريركيّة العريقة في القدم، تستطيع «أن تُسهم، بوجوهٍ متعدّدة ومثمرة، في أن يتحقّق الشعورُ الجماعيُّ

[٣٤] را ق 460-468؛ 492-502؛ 511-514؛ 536-537.

[٣٥] الرسالة العامّة «**ليكونوا واحداً**» (25 أيّار 1995)، الرقم 95: أ ك ر (*AAS*) 87 (1995)، 977-978.

بصورة محسوسة»[٣٦]. لكن هذا التمنّي لم يتحقّق كليّاً، لأنه لم يوضّح بعدُ كفايةً نظامٌ للمجالس الأسقفيّة يتصوّرها صاحبةَ صلاحيّاتٍ محسوسة، بما في ذلك بعضٌ من سلطةٍ عقيديّة أصيلة[٣٧]. إن مركزيّةً مفرطة، بدلاً من أن تساعد، تعقّد حياةَ الكنيسة وديناميّتها الإرساليّة.

33- الراعويّة، بالمعنى الإرسالي، تتطلّب التخلّي عن المعيار الراعويّ المريح القائل: «هكذا عُمل على الدوام!». أدعو كلَّ واحد إلى أن يكون جريئاً وخلاّقاً بصدد واجب إعادة التفكير في الأهداف والبنى والنمط وأساليب التبشير بالإنجيل، في الجماعات الخاصّة. إن توضيحَ الأهداف، بدون بحثٍ جماعيّ مناسب عن الوسائل للبلوغ إليها، محكومٌ عليه بأن يُفضيَ إلى تخيّل محض. أحرّض كلَّ واحد على أن يطبّق بسخاءٍ وشجاعة توجيهات هذه الوثيقة، بدون حظر أو خوف. المهمُّ عدمُ السير في عزلة، لكن الاتكالُ دائماً على الإخوة وبالأخصّ على قيادة الأساقفة، في تمييز راعويٍّ حكيم وواقعيّ.

[٣٦] الدستور العقيديّ المجمعيّ، الكنيسة «**نور الأمم**»، الرقم 23.

[٣٧] را يوحنا بولس الثاني: Motu Proprio *Apostolos suos* (21 أيّار 1998): أ ك ر (*AAS*)90 (1988)، 641-658.

ثالثاً: إنطلاقاً من قلب الإنجيل

34- إذا كنا نودُّ ان نحدّد كلَّ شيءٍ إرساليّاً، فهذا يصلح ايضاً لطريقة إبلاغ الرسالة. في عالم اليوم، مع سرعة التواصل والانتقاء، وفقاً لمصلحة المحتويات التي تجريها وسائلُ الإعلام، تتعرّض الرسالةُ التي نعلنها، أكثر من أيّ وقتٍ مضى، لخطر أن تظهر مشوّهةً ومقتصرةً على بعض من جوانبها الثانويّة. ينجم عن ذلك أن قضايا تشكل جزءًا من تعليم الكنيسة الأدبيّ تبقى خارج الإطار الذي يُضفي عليها معنىً. والمعضلة الكبرى تتأكد عندما الرسالة التي نعلنها تبدو حينئذٍ متماثلة مع تلك الجوانب الثانويّة التي، على الرغم من أهمّيتها، لا يَظهرُ فيها وحدَها قلبَ رسالة يسوعَ المسيح. من الجدير، إذاً، أن نكون واقعيّين ولا نعتبرنَّ كسباً بأن محاورينا قد تبلّغوا عمقَ ما نقول، أو أنهم يتسطيعون ربطَ خطابنا بصلب جوهر الإنجيل الذي يمنحها معنىً وجمالاً وجاذبيّة.

35- إن راعويّةً بالمعنى الإرساليّ لا يتسلّط عليها نقلٌ مقطّعُ الأوصال لمجموعة من العقائد يُسعى لفرضها بقوّة اللجاجة. عندما يُضطلعُ بهدفٍ راعويٍّ وبخطٍ إرساليّ يبلغان حقاً إلى الجميع بدون استثناءات ولا تهميش، حينئذٍ تتركّز البشارة على ما هو جوهريّ، على ما هو أجمل وأعظمُ وأكثرَ جاذبيّة، وفي الوقت عينه، أكثر ضرورةً. يُختزلُ العرضُ، دون أن يفقد لذلك من عمقه وحقيقته، ويُصبحُ هكذا أكثرَ إقناعاً وإشعاعاً.

36- جميعُ الحقائق الموحى بها تصدر عن الينبوع الإلهيّ الواحد، ويُؤمَنُ بها إيماناً واحداً. لكنّ بعضها يتّسمُ بأهميّة أعظم كي يعبِّر مباشرةً أكثر عن لبِّ الإنجيل. في هذا اللبِّ الأساسيّ يتألق **جمالُ حبّ الله الخلاصيّ المعلَن في يسوعَ المسيح الذي مات وقام من بين الأموات** . بهذا المعنى، أكّد المجمعُ الفاتيكانيّ الثاني «أن هناك ترتيباً أو تسلسلاً (إيررخيّا) في أهميّة حقائق المعتقد الكاثوليكيّ، نظراً لاختلاف صلتها بأصول الإيمان المسيحيّ»[٣٨]. وهذا ينطبق، أكان على عقائد الإيمان أم على مجموع تعاليم الكنيسة، بما فيها التعليم الأدبيّ.

37- كان القدّيس توما الأكوينيّ يعلّم أنه حتى في رسالة الكنيسة الأدبيّة (الخلقيّة) يوجد تسلسلٌ (إيررخيّا) في الفضائل وفي الأعمال الناجمة عنها [٣٩]. هنا، ما يُعتبر قبلَ كلّ شيء هو «الإيمانُ العاملُ بالمحبّة» (غل 5: 6). أعمالُ المحبّة نحو القريب هي التعبيرُ الخارجيُّ الأكملُ لنعمة الروح القدس، النعمةُ التي يعبِّر عنها، في الإيمان [٤٠]. بذلك يؤكد الأكوينيُّ أنه، في ما يخصُّ العمل الأخلاقي، الرحمة هي العظمى، بين كلّ الفضائل:

[٣٨] القرار المجمعيّ «**الحركة المسكونيّة**»، الرقم 11.

[٣٩] را توما الأكوينيّ: **الخلاصة اللاهوتيّة**، I-II, q. 66, a. 4-6

[٤٠] **المرجع نفسه**: I-II, q. 108, a. 1

«بحدّ ذاتها، الرحمةُ هي العظمى بين الفضائل، لأنّ إليها يعود العطاءُ للآخرين وأكثر من ذلك التخفيفُ من عوَزهم، وهذا هو منتهى السموّ. هكذا، يُنظر إلى التحلّي بالرحمة كأنما إلى خصائص الله، وبهذا، بالاخصّ، تظهر قدرته الإلهيّة»[٤١].

38– إنه لمن المهمّ أن نستخلص نتائجَ راعويّة من تعليم المجمع الذي يجمع اقتناعاً قديماً للكنيسة. يجب القولُ أولاً إنه، في إعلان الإنجيل، من الضروريّ الحفاظُ على نِسَبٍ موافقة. يتبيَّن ذلك من التكرار الذي تتردّد فيه بعضُ المواضيع وفي التشديد عليها المستخدَم في الوعظ. مثلاً، إذا تحدّث خوري رعيّة في أثناء سنة ليترجيّة، عشرَ مرات عن القناعة، وفقط مرّتين أو ثلاثة عن المحبّة أو عن العدالة حدَث عدَمُ تناسب يلقي بالطبع الظلال على هاتين الفضيلتين الواجب أن تحتلاّ مكانهما في الوعظ وفي التعليم المسيحيّ. ويحدثُ الأمرُ نفسُه عندما نتكلّم عن الشريعة أكثر منها عن النعمة، وعن الكنيسة أكثر منها عن يسوعَ المسيح، وعن البابا أكثر منه عن كلمة الله.

[٤١] القديس توما الأكوينيّ: **الخلاصة اللاهوتيّة:** II-II. Q. 30, a.4؛ را **المرجع نفسه** q. 40, a. 4, ad 1. «الذبائح والتقادمُ التي تشكّل جزءاً من العبادة الإلهيّة، ليست لله نفسه، بل لنا ولأقاربنا. هو نفسُه ليس بحاجة إليها، وإذا كان يريدها، فلكي نمارس عبادتنا ونخدمَ القريب. لذلك، إن الرحمة التي تُعيل الآخرين تُسرّه أكثر، بما أنها تعود بالنفع مباشرةً على القريب».

39- وهكذا، بما أن الطابعَ التنظيميَّ بين الفضائل يمنع من إقصاء إحداها من المثال الأعلى المسيحيّ، لا تُنكر أيّ فضيلة. يجب ألاّ يشوّه كمالُ رسالة الإنجيل، وفي هذا الإطار، جميع الحقائق لها أهمّيتُها ويوضّح بعضُها بعضاً. عندما يكون الوعظُ أميناً للإنجيل، يَظهر بوضوح استقطابُ بعض الحقائق، وينجمُ عنه بجلاء أن الوعظ الأدبي المسيحي ليس خُلقيّة رواقيّة المذهب (*stoïcienne*)، إنه أكثر من زهد، وهو ليسَ مجرّد فلسفة عمليّة ولا لائحة خطايا وهفوات. يدعو الإنجيلُ قبلَ كلِّ شيء إلى تلبية نداء الله الذي يحبّنا ويخلّصنا، متعرّفين عليه في الآخرين ومتخلّين عن أنفسنا، بحثاً عن خير الجميع. هذه الدعوة لا تُغشّى ولا في أيّ ظرف! جميعُ الفضائل هي في خدمة جواب الحبّ هذا. وإذا لم تتألق تلك الدعوةُ بقوةٍ وجاذبيّة يُخشى أن يصبحَ بناء الكنيسة الادبيّ أضغاثَ أحلام. لأنْ حينئذٍ لن يُعلنَ الإنجيل حقّاً، بل بعضُ النقاط العقيديّة أو الأدبيّة النابعة من خيارات إيديولوجيّة محدّدة. فتتعرّضُ الرسالةُ لفقدان نضارتها فلا تكونُ من بعدُ «عطرَ الإنجيل».

رابعاً: الرسالة التي تتجسّد في الحدود الإنسانيّة

40- إن الكنيسة، التلميذَ-المرسل، بحاجةٍ إلى أن تنمو في تفسيرها الكلمةَ الموحى بها وفي تفهّمها الحقيقة. مهمّةُ المفسّرين

واللاهوتيّين تساعد على «أن يأتي حكمُ الكنيسة ناضجاً» [٤٢]. بطريقة أخرى، العلوم أيضاً تعمل ذلك. قال يوحنا بولس الثاني، في حديثه عن العلوم الاجتماعيّة، مثلاً، إنّ الكنيسة تتنبّه لمساهماتها، «كي تستخلصَ إشاراتٍ حسيّة تساعدها على القيام برسالتها التعليميّة» [٤٣]. علاوةً على ذلك في حضن الكنيسة، العديدُ من القضايا التي يدور حولها البحثُ والتفكير بحريّة كبرى. إن مساراتِ الفكر المختلفة، الفلسفيّة واللاهوتيّة والراعويّة، إذا ارتضت أن ينسّقها الروحُ في الاحترام والمحبّة، يمكنها أن تنمّي الكنيسة، بمساعدتها على تحسين إيضاح كنز الكلمة الثريّ للغاية. إن هذا يبدو تشتّتاً ناقصاً للذين يحلمون بعقيدة متحجّرة (أحاديّة الحجر *monolithique*) يدافع عنها الجميعُ بدون تباين. لكن الواقع هو أن ذاك التنوّع يساعد على إظهار وتطوير الجنبات المختلفة التي ينطوي عليها غنى الإنجيل الذي لا ينضب[٤٤].

[٤٢] الدستور المجمعيّ العقيديّ «**الوحي الإلهيّ**»، الرقم 12.

[٤٣] الإرادة الرسوليّة «**العلوم الاجتماعيّة**» (الأول من كانون الثاني 1994): أ ك ر (*AAS*) 86 (1994)، 209.

[٤٤] كان القديس توما الاكوينيّ يشير إلى أن التعدّد والتمييزَ «يصدران عن نيّة الفاعل الأول» الذي يريد أن «ما ينقصهُ شيٌ كي يمثّل الجودة الإلهية يكمّله آخر»، لأن «لا يمكن أن تكفي خليقةٌ واحدةٌ كي تمثّل

41- في الوقت عينه، تتطلّب التبدّلات الثقافية العظيمة والسريعة أن نتنبّه، على الدوام، للعمل على التعبير عن الحقيقة الأزليّة بكلامٍ يسمح بالتعرّف على حداثتها الدائمة، لأن، في وديعة العقيدة المسيحيّة، «شيءٌ هو الجوهر [...] وطريقة أخرى هي صياغةُ تعبيره»[٤٥]. أحياناً، بالإصغاء إلى كلامٍ مستقيمِ الرأي (أرثوذكسيّ) كليّاً، ذاك الذي يتقبّله المؤمنون، لأنه يشابه الكلام الذي يستخدمونه ويفهمونه، نرى أنه لا يتوافق البتّة وإنجيلَ يسوع المسيح الحقيقيّ. ورغبةً منّا مقدَّسةً في أن نبلّغهم الحقيقةَ حول الله والكائن البشريّ، نعطيهم في بعض المناسبات، إلهاً مزيّفاً ومثالاً أعلى مسيحيّاً ليس بالحقيقة مسيحيّاً. بذلك، نكون أمناءَ لصيغة ما، لكنّا لا ننقل الجوهر. إنها المجازفة الكبرى. لنتذكّرن أن «التعبير عن الحقيقة يتّخذ أشكالاً متعدّدة، وأن تجديد

جودته، كما يليق » (**الخلاصة اللاهوتيّة**، I, q. 47, a.1). إذاً، نحن بحاجة إلى ان نفهم تنوّع الاشياء في علاقاتها المختلفة (را توما الأكوينيّ: **الخلاصة اللاهوتيّة**، I, a. 47, a. 2,ad 1; q. 47, a.3. لأسبابٍ مماثلة، نحن بحاجة إلى أن يصغي بعضنا إلى بعض ونتعامل بتقبّلنا الجزئيّ للحقيقة وللإنجيل.

[٤٥] يوحنا الثالث والعشرون: **خطاب في أثناء الافتتاح الاحتفاليّ للمجمع الفاتيكاني الثاني** (11 تشرين الأول 1962) 6، الرقم 5: أ ك ر (*AAS*) 54 (1962)، 792: «في الواقع، شيءٌ آخرُ هو وديعة الإيمان أو الحقائق التي تحتويها عقيدتنا المقدّسة، وأخرى هي الطريقة التي بها نعبّر عنها».

أشكال التعبير يصبح ضرورياً، كي ننقل إلى إنسان اليوم رسالة الإنجيل في معناها الذي لا يتبدّل»[٤٦].

42- إن لهذا أهميّةً كبرى في إعلان الإنجيل، إذا كنا حقيقةً نرغب في أن نجعل الجميعَ يشعرون بجماله ويتقبّلونه. على كلّ حال، لن نستطيع أبداً أن نجعل تعاليمَ الكنيسة كشيءٍ سهلِ الفهم ويقدّره الجميعُ. يحافظ الإيمانُ دائماً على مظهر صليب، على شيءٍ من غموضٍ لا ينزع عنه الثباتَ في الانتماءِ إليه. هناك أشياءُ تُفهم وتقدَّرُ فقط، بدءاً من هذا الانتماء المرافق الحبّ، إلى ما أبعد من الوضوح الذي يمكن من فهم الأسباب والحجج. لذلك يجب التذكير بأن كلَّ تعليم عقيدة يجب أن يتركّز في موقف التبشير بالإنجيل الذي يذكي انتماءَ القلب مع التقارب والحبّ والشهادة.

43- تستطيع الكنيسة أيضاً، بتمييزها الدائم، أن تتوصّل إلى التعرّف على أساليب خاصّة لا ترتبط مباشرة بصلب الإنجيل. فاليوم، لم تعد بعضُ الأساليب المتأصّلة في مسار التاريخ، تفسَّر البتّة بالطريقة نفسها، ولم تعد رسالتها تُفهم كما يجب. من الممكن أن تكون جميلة، إلاّ أنها لا تؤدّي الآن الخدمة نفسها لنقل

[٤٦] يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامة **«ليكونوا واحداً»** (25 أيّار 1995)، الرقم 19: أ ك ر (*AAS*) 87 (1995)، 933.

الإنجيل. فلا نخافنَّ من إعادة النظر فيها. وبالطريقة نفسها، توجد أنظمةٌ وأحكامٌ كنسيّة كانت لربّما فعّالة في أزمنةٍ أخرى، لكنّها لم تعد تتمتّع بالقوّة التربويّة عينها كمساراتِ حياة. كان القديس توما الأكوينيّ يشيرُ إلى أن الأحكامَ التي أعطاها المسيحُ والرسلُ لشعب الله «كانت قليلةً جدّاً» [٤٧]. وينوّه، مستشهداً بالقديس أوغسطينس، أنه من الواجب المطالبةُ باعتدالٍ بالأحكام التي أضافتها الكنيسة لاحقاً «كي لا تثقّل حياةُ المؤمنين» وتحوّلَ ديانتُنا إلى عبوديّة، فيما «أرادت الرحمة الإلهيّة أن تكون حرّة»[٤٨]. هذا التنبيه الصادر منذ عدّة قرون، يبدو في غاية الواقعيّة. ويجب أن يُتّخذ بعين الاعتبار كأحد المعايير الممكنة عندما يُفكَّر في إصلاح الكنيسة وإعادة النظر في وعظها، للسماح بالبلوغ حقّاً إلى الجميع.

44- لا يمكن أن يغرُبَ عن بال أحد، أكان الرعاةُ أم المؤمنون المرافقون إخوتَهم في الإيمان أو في طريق الانفتاح على الله، ما يعلّم **التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة** : «قد تنقص أو تبطل تَبعةُ الفعل والمسؤوليّة عنه بسبب الجهل، والغَفلة والعنفِ

[٤٧] توما الأكوينيّ: **الخلاصة اللاهوتيّة**، I-II, q. 107, a. 4

[٤٨] **المرجع نفسه.**

والخوفِ والعاداتِ والتعلّق المفرط وعواملَ نفسيّةٍ أو اجتماعيّة أخرى»[٤٩].

بالتالي، بدون إنقاص المثال الأعلى الإنجيليّ، من الواجب مرافقةُ مراحل النموّ الممكنة، برحمةٍ وصبر، لدى الأشخاص الذين يبنون أنفسهم يوماً بعد يوم [٥٠]. أذكّر الكهنة بأن كرسيّ الاعتراف يجب ألاّ يكون قاعة تعذيب بل مكاناً لرحمة الربّ الذي يحثّنا على عمل الخير الممكن. إن خطوةً صغيرة، وسط حدود الإنسان الكبيرة، يمكن أن يقدّرها الربُّ أكثر من حياةٍ صالحةٍ خارجيّاً، يقضي أيامها الإنسانُ بدون التعرّض لصعوبات جسيمة. يجب أن تطال كلَّ شخصٍ تعزيةُ ومهمازُ حبِّ الله الخلاصيّ العامل سرّاً في كلّ إنسان.

45- نرى هكذا أن التزام التبشير بالإنجيل يتمركز في حدود الكلام والظروف. إنه يسعى على الدوام لتحسين إيصال حقيقة الإنجيل في إطار معيّن، دون التخلّي عن الحقيقة والخير والنور الذي يمكنه أن يقدّمها، عندما يتعسّر بلوغُ الكمال. القلبُ الإرساليّ يعي حدودَه ويكون «ضعيفاً مع الضعفاء [...] كلاًّ

[٤٩] الرقم 1735.

[٥٠] را يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**وظائف العائلة المسيحيّة في عالم اليوم**»، الرقم 34 ج: **أ ك ر** (*AAS*) 47 (1982)، 123-125.

للكلّ» (1 كو 9: 22). لا ينغلق البتّة على ذاته، ولا ينطوي على ما يؤمّنه شخصيّاً، ولا يختار أبداً الصلابة دفاعاً عن النفس. يعرف أنّ عليه هو نفسه أن ينمو في فهم الإنجيل، وفي تمييز سبُل الروح؛ وحينئذٍ لا يتخلّى عن الخير الممكن، حتى إذا تعرّض للتلوّث بوحل الطريق.

خامساً: أمٌّ ذات قلب منفتح

46- الكنيسة "المنطلقة" كنيسةٌ مشرَّعة الأبواب. الانطلاق نحو الآخرين للذهاب إلى الضواحي البشريّة لا يعني العَدوَ نحو العالم بدون اتجاه وإلى أيّ وجهة كانت. غالباً ما يكونُ من الأفضل تخفيف الخطى، ووضعُ التحوّف جانباً للتحديق في العيون والإصغاء، أو التخلّي عن الحالات الملحّة لمرافقة من توقّف عند جانب الطريق. وأحياناً يجب التشبّه بوالد الابن الضالّ الذي يترك الأبواب مشرّعةً كي يستطيع الدخولَ بدون صعوبات عندما يعود.

47- الكنيسةُ مدعوّةٌ إلى أن تكون دائماً بيتَ الآب المفتوح. إحدى العلاقات الحسيّة لذلك الانفتاح هي أن يكون في أيّ مكان كنائسُ أبوابها مفتوحة. بحيث إن من أراد أن يتّبعَ اقتراحاً من الروح ويتقرَّبَ للبحث عن الله لا يواجهنَّ برودة بابٍ مغلق. ولكن هناك أبوابٌ يجب ألاّ تُغلقَ البتّة. يستطيع الجميعُ أن يشاركوا، بطريقةٍ ما، في حياة الكنيسة، الجميعُ يمكنهم أن يكونوا

أعضاء في الجماعة، وحتى أبوابُ الأسرار يجب ألاّ تُغلق لأيّ سبب كان. وهذا يسري بالأخصّ على هذا السرّ الذي هو "الباب"، سرّ المعموديّة. والإفخارستيّا، حتى إذا كانت تشكّل كمال حياة الأسرار، ليست هي مكافأة مخصّصة للكاملين، بل إنها دواءٌ سخيٌّ وغذاءٌ للضعفاء[٥١]. ينجم عن تلك القناعات نتائجُ راعويّة علينا أن نمعن النظر فيها بفطنةٍ وجرأة. غالباً ما نتصرّف وكأنّنا مدقّقون في النعمة، لا كمبشّرين لها. فالكنيسة ليست جمركاً، إنها البيتُ الأبويّ، حيث يتوفّر مكانٌ لكل واحدٍ مع حياته الصعبة.

[٥١] را القديس أمبروسيوس: **في الأسرار**، 4، 6، 28: **الآباء اللاتين** (PL) 16، 464؛ **المصادر المسيحيّة** (SC) 25، 87: «عليّ دائماً أن أتناوله كي يغفر لي دائماً خطاياي. أنا الذي يخطأ دائماً، يجب أن يتوفّر لي دائماً **دواء**»؛ **المرجع نفسه**: 4، 5، 24: آ ل (PL) 16، 463؛ م م (SC) 25، 116: «الذي أكل المنّ مات؛ الذي يأكل من هذا الجسد يحصل على مغفرة خطاياه».

القديس كيرلس الإسكندريّ: **في إنجيل يوحنّا** ، 4، 2: **الآباء اليونان** (PG) 73، 583-585: «لقد فحصتُ ضميري فوجدْتني غيرَ مستحقّ. لمن يقولون ذلك، أعلن: ومتى تكونون مستحقّين؟ ومتى، إذاً، ستمثلون أمام المسيح؟ وإذا كانت خطاياكم تمنعكم من التقرّب وإذا كنتم تواظبون على السقوط – **من يعرف ذنوبه؟** ، يقول المزمور – فهل ستلبثون لا تشاركون في التقديس الذي يُحيي للأبديّة؟».

48- إذا كانت الكنيسة تلتزم هذه الديناميّة الإرساليّة، يجب أن تبلغ إلى الجميع، بدون استثناء. لكن من يجب عليها أن تفضّل؟ عندما يقرأ أحدُنا الإنجيل، يجد توجيهاً واضحاً للغاية: لا الأصدقاء والجيران الأثرياء، لكن بالأخصّ الفقراء والمرضى، أولئك الذين غالباً ما يُمتهنون ويُنسَون، أولئك «الذين ليس لهم ما يبادلونك به» (لو 14: 14). يجب ألاّ يثبتَ أيُّ شكٍّ أو أيُّ شرح يمكن أن يُضعف هذه الرسالة الواضحة. اليوم إلى الأبد «الفقراءُ هم المفضّلون الذين يوجّه إليهم الإنجيل» [٥٢]، والتبشيرُ بالإنجيل الموجَّه إليهم مجاناً هو علامة الملكوت الذي جاءَ به يسوع. علينا التأكيد، بدون مواربة، أنه يوجد رباط لا ينفصم بين إيماننا والفقراء. فلا نَدعنَّهم أبداً وحدهم.

49- لننطلقْ، لننطلقْ كي نقدّم للجميع حياةَ يسوعَ المسيح. أكرّر هنا للكنيسة جمعاء ما قلته مراراً لكهنة بونس أيرس وعلمانيّيها: افضّل كنيسةً مصابةً ومجرّحةً وملوّثةً لأنها سلكت الطرقات، على كنيسةٍ سقيمةٍ بسبب الانغلاق ورفاهة التمسّك بأمانها الخاصّ. لا أريد كنيسةً منشغلةً بأن تكون المحورَ فيؤولُ بها الأمر إلى الانغلاق في تشابكِ تحديداتٍ وإجراءات. إذا كان

[٥٢] بندكتوس السادس عشر: خطاب بمناسبة لقاء أساقفة البرازيل في كاتدرائية ساو باولو، البرازيل (11 أيّار 2007)، 3: أ ك ر (*AAS*) 99 (2007)، 428.

هناك شيءٌ مقدّسٌ يجب أن يشغلنا ويقلقَ ضميرَنا هو أن العديدَ من إخوتنا يعيشون محرومين من قوّة صداقة يسوعَ المسيح ونوره وتعزيته، محرومين من جماعة مؤمنة تتقبّلهم، من أفق معنىً وحياة. أرجو أن يستحثنا، أكثرَ من الخوف أن نخطأ، الخوفُ أن ننغلق على ذواتنا في هيكليّاتِ حمايةٍ وهميّة خاطئة، في أنظمةٍ تحوّلنا إلى قضاةٍ عديمي الرحمة، في عوائدَ نشعر من خلالها بالطمأنينة، بينما يعجُّ الخارج بجموع جائعة، ويسوعُ يردّد لنا بدون انقطاع: «أعطوهم أنتم ليأكلوا» (مر 6: 37).

الفصل الثاني

في أزمة الالتزام الجماعيّ

50– قبل طرح بعضِ القضايا الأساسيّة المتعلّقةِ بعملِ التبشير بالإنجيل، من اللائق التذكيرُ، باقتضاب، بالإطار الذي يجب أن نحيا ونعمل فيه. لقد اعتاد الناسُ اليوم الحديثَ عن "مبالغة التشخيص" الذي لا ترافقه دائماً اقتراحاتٌ مشفوعةٌ بحلولٍ قابلةٍ حقّاً للتطبيق. من جهة أخرى، إذا ما ألقينا نظرةً اجتماعيّة صِرف تدّعي الإلمامَ بالحقيقة كلّها، بواسطة منهجيّتها المحايدة والصافية، افتراضاً فقط، فذلك أيضاً لا نفع لنا منه. ما أودُّ أن أقدّمه يتّخذ بالأحرى خطَّ **التمييز الإنجيليّ** . إنه نظرةُ التلميذ المرسل الذي «ينيرُه ويثبّتُه الروحُ القدس»[٥٣].

51– ليست مهمّةُ البابا أن يقدّم تحليلاً مفصلاً للواقع المعاصر، لكنّي أحرّض الجماعاتِ كلَّها على «أن تتنبّه على الدوام كاملَ التنبّه لعلاماتِ الأزمنة» [٥٤]. يتعلّق الأمرُ بمسؤوليّةٍ خطيرة، بما

[٥٣] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**أعطيكم رعاة**» (25 آذار 1992)، الرقم 1: أ ك ر (*AAS*) 84 (1992)، 673.

[٥٤] بولس السادس: الرسالة العامة «**كنيسته**» (16 آب 1964)، الرقم 52: أ ك ر (*AAS*) 56 (1964)، 632.

أن بعضَ حقائق الزمن الراهن، إذا لم تجد لها حلولاً ناجعة، يمكنها أن تطلق مساراتِ تجريدٍ من الإنسانيّة تصعب، لاحقاً، العودةُ عنها. فمن الجدير توضيحُ ما يمكن أن يكون ثمرةَ الملكوت وما يمكن أن يسيءَ إلى التدبير الإلهيّ. يفترض ذلك ليس فقط أن نتعرّفَ على اقتراحاتِ الروح الصالح والروح الشرّير ونفسِّرَها، لكن – وهنا يكمن الأمرُ الحاسم – أن نختار اقتراحاتِ الروح الصالح وننبذَ اقتراحاتِ الروح الشرّير. أقدّم، وكأنها مفترضةً، الحلولَ المختلفة التي قدّمتْها وثائقُ السلطة التعليميّة الجامعة الأخرى، وكذلك تلك التي اقترحتْها المجالسُ الأسقفيّة الإقليميّة والوطنيّة. في الإرشاد، أودّ فقط أن أتوقّف، باقتضابٍ، مع نظرة راعويّة، عند بعض مظاهر الواقع التي يمكنها أن تصدَّ أو تضعفَ ديناميّات تجديد الكنيسة الإرساليّ، إمّا لأنها تعني حياةَ شعب الله وكرامتَه، وإمّا لأنها تؤثّر أيضاً على الأشخاص المنتمين مباشرةً إلى مؤسّساتٍ كنسيّة ويقومون بمهمّات التبشير بالإنجيل.

أولاً: بعض تحدّيات العالم الحاضر

52– تعيشُ البشريّة، في هذا الوقت، منعطفاً تاريخيّاً يمكن أن نشاهده في التقدّم الحاصل في الميادين المختلفة. من الواجب مدحُ النجاحات التي تُسهم في رفاهة الأشخاص، في إطار الصحّة، مثلاً، والتربية والتواصل. إلاّ أنه لا يمكن أن يغرب

عن بالنا أنّ القسمَ الأكبرَ من رجال عصرنا ونسائه يعيشون عدمَ استقرارٍ يوميّاً، مشؤومَ العواقب. بعضُ الأمراض في تفاقم. الخوفُ واليأسُ يتملّكان من قلب العديد من الأشخاص، حتى في البلدان المدعوّة غنيّةً. وغالباً ما ينطفىءُ فرحُ الحياة، وتتفاقم قلّة الاحترام والعنف ويتّضح أكثرَ التمايزُ الاجتماعيّ. وأصبح من الواجب الصراعُ للحياة، وغالباً للحياة مع قلّةٍ من كرامة. تبدّلُ العصر هذا سبّبته قفزاتٌ هائلة تحقّقت، نوعاً وكمّاً وسرعةً وتراكماً، في التقدّم العلميّ، في التجديدات التقنيّة وفي سرعة تطبيقها على مختلف ميادين الطبيعة والحياة. نحن في عصر المعرفة والإعلام، مصدرَي أشكالِ سلطانٍ جديدة، غالباً ما هو غُفلٌ، عديمُ الاسم.

لا لاقتصادِ إقصاءٍ

53- كما أن الوصيّة «لا تقتُل» تضع حدّاً واضحاً يؤمّن قيمة الحياة الإنسانيّة، كذلك اليومَ علينا أن نقول: «لا لاقتصادِ إقصاءٍ وتفاوتٍ اجتماعيّ». إن مثل هذا الاقتصاد يقتل. ليس من الممكن أنّ حادثَ إنسانٍ اضطُرّ إلى الحياة في الشارع فماتَ برداً لا يشكّل نبأً، فيما هبوط علامتين في البورصة يُعدُّ نبأً. هذا هو الإقصاء. لا يمكن من بعدُ أن نتغاضى عن أن الطعام يُرمى، فيما أشخاصٌ يتضوّرون جوعاً. هذا هو التفاوت الاجتماعيّ. اليوم كلُّ شيءٍ يخضع للعبة التنافس وشريعة الأقوى، حيث

المقتدر يأكل الأضعف. نتيجةً لهذا الوضع،جموعٌ غفيرةٌ من السكان يرون أنفسهم منبوذين ومهمَّشين: بدون عمل، ولا آفاقَ مستقبليّةٍ ولا سبلِ خلاص. يُعتبر الكائنُ البشريُّ بحدّ ذاته كسلعةِ استهلاك يمكن استخدامُها ثم إلقاؤها. لقد أطلقنا ثقافة "النفاية" وعزّزناها. فلم يعد الأمرُ يقتصر على ظاهرة الاستغلال والقمع بل على شيءٍ جديد: مع الإقصاء يُصاب الانتماءُ إلى المجتمع الذي يُعاش فيه، في جذوره نفسها، حيث إنّه بالإقصاء لا يتموضع المرءُ في الأحياء القذرة، في الضاحية أو بدون سلطان، بل في الخارج. المقصَون ليسوا اشخاصاً "مستغَلِّين"، بل نفاياتٍ، "بقايا".

54- في هذا الإطار، يدافع البعض أيضاً عن نظريّات "النكسة الملائمة"، التي تفترض أن كلَّ نموٍّ اقتصاديّ، عزّزه السوقُ الحرّ، ينجح في إنتاج إنصافٍ أعظم واندماجٍ اجتماعيّ في العالم. هذا الرأي، الذي لم تثبتْه أبداً الوقائعُ، يعبّر عن ثقةٍ فظةٍ وساذجةٍ بعطف أولئك الذين يسيطرون على السلطة الاقتصاديّة، وبآليّاتِ النظام الاقتصاديّ السائد «المقدَّسة». في الوقت عينه، يلبث المقصَون في الانتظار. لمساندة مثلِ هذا النمط من الحياة التي تُقصي الآخرين، أو للتمكّن من التحمّس لمثل هذا المثال الأعلى الأنانيّ، طُوِّرت عولمةُ اللامبالاة. دون أن نشعر تقريباً بذلك، أصبحنا غير قادرين على الإحساس بالشفقة أمام صراع وجع الآخرين، لم نعد نبكي أمام مأساة الآخرين؛ الاعتناءُ بهم لا

يهمُّنا، كما لو أن كلَّ شيء هو مسؤوليّةٌ غريبةٌ ليست من اختصاصنا. ثقافة الرفاهة تخدّرنا، ونفقد هدوءنا إذا ما عرَض السوقُ سلعةً لم نكن قد اشتريناها بعدُ، فيما كلُّ تلك الحيوات التي هشّمها انعدامُ الإمكانات تبدو لنا وكأنها مجرّدُ مشهد لا يقلقنا على الإطلاق.

لا لصنميّة المال الجديدة

55- أحدُ أسباب هذا الوضع يكمن في العلاقة التي أثبتناها مع المال، بما أنّا نقبل، بهدوءٍ، سيطرتَه علينا وعلى مجتمعاتنا. تُنسينا الأزمةُ الماليّةُ التي نمرُّ بها أنَّ مصدَرها هو أزمةٌ أنتروبولوجيّةٌ عميقة: نكرانُ أولويّة الكائن البشريّ! إنّا خلقنا أصناماً جديدة. لقد وجدت عبادةُ عجل الذهب القديم (را تك 32: 1-35) روايةً جديدة في صنميّة المال وفي دكتاتوريّة الاقتصاد الذي لا وجهَ إنسانيّاً حقيقيّاً له ولا هدف. الأزمةُ العالميّةُ التي تحاصر المال والاقتصاد تكشف عن اختلالاتِ توازنها الخاصّة، وفوقَ هذا كلّه، عن غيابٍ خطير لتوجيهٍ أنتروبولوجيّ. إنها تقلّصُ الكائنَ البشريّ إلى واحدٍ فقط من احتياجاته: الاستهلاك.

56- فيما أرباحُ عددٍ صغيرٍ من الناس تتزايد تصاعديّاً وغُفلاً، فأرباحُ الأكثريّة تتركّز بطريقة تتباعد أكثرَ فأكثر عن رفاهية تلك الأقليّة السعيدة. ينجم هذا الاختلال عن إيديولوجيّات تدافع عن استقلاليّة الأسواق والمضاربة الماليّة المطلقة. وبالتالي،

ينكرون الحقّ في المراقبة على الدول التي عُهدَ إليها بالسّهر على صيانة الخير العام. لقد سيطر استبدادٌ جديدٌ خفيٌّ، وأحياناً كامنٌ، يفرض شرائعه وأحكامه، بطريقة أحاديّة الجانب متصلّبة. فوق ذلك، يُبعد الدَّينُ وفوائدَه البلدان عن القدُرات القابلة التنفيذ بواسطة اقتصادها، والمواطنين عن قدرتهم الشرائيّة الحقيقيّة. يُضاف إلى ذلك كلّه فسادٌ مُتشعّب وتهرُّبٌ ضريبيٌّ أنانيّ بلغا أبعاداً عالميّة. ولا يعرفُ حدوداً التَّوقُ إلى السلطة والمال. في مثل هذا النظام الذي يسعى لازدراد كلّ شيء بغية تضخيم الأرباح، كلُّ ما هو هشٌّ، كالبيئة، يلبث بدون دفاع بالنسبة إلى مصالح السوق المؤلّه، المحوّلةِ إلى قاعدةٍ مطلقة.

لا للمال الحاكم بدلاً من أن يكون خادماً

57- يتخفىّ وراءَ هذا التصرّف رفضُ الأخلاق ورفضُ الله. عادةً ما يُنظر إلى الأخلاق ببعض الازدراء المتهكّم. فتُعتبر مضادّةً للإنتاج، كثيرةَ الإنسانيّة لأنّها تحدُّ من نسبة المال والسلطة. في النهاية، تُعيد الأخلاقُ إلى إلهٍ ينتظر جواباً جازماً يقع خارجَ تصنيفات السوق. وهذه، إذا أُخذت بمفهومها المطلق، فإنها تعتبر أن الله (سبحانه وتعالى) لا يمكن السيطرةُ عليه ولا التلاعبُ به، بل حتى إنه خطير، لأنه يدعو الكائنَ البشريّ إلى العمل على ملء اكتماله وإلى التحرّر من أيّ نوع عبوديّة. الأخلاق – أخلاقٌ غيرُ إيديولوجيّة – تسمح بخلق توازنٍ ونظام

اجتماعيّ أكثرَ إنسانيّة. في هذا الصدد، أحرّض الخبراءَ الماليّين وحكامَ البلدان المختلفة على الأخذ بعين الاعتبار أقوال حكيم قديم: «عدمُ إشراك الفقراء في خيراتنا الشخصيّة هو سرقتُهم وانتزاعُ حياتهم. ما نستحوذ عليه ليس ملكاً لنا، بل إنه ملكٌ لهم»[٥٥].

58- يتطلّب إصلاحٌ ماليٌّ، لا يتجاهل الأخلاقَ، تحوُّلَ موقفٍ صارماً من قبل المسؤولين السياسيّين، فأحرّضهم على مواجهة هذا التحدّي بحزم وبصيرة، دون أن تخفى عليهم، بالطبع، نوعيّةُ كلّ ظرفٍ. المالُ يجب أن يخدُمَ لا أن يَحكم! البابا يحبّ جميعَ الناس، الأغنياءَ والفقراء، لكن من واجبه، باسم المسيح، أن يذكّر بأن على الأغنياء أن يساعدوا الفقراء ويحترموهم ويُرقّوهم. أحرّضكم على تضامنٍ متجرّدٍ، وعلى عودة الاقتصاد والمال إلى الأخلاق لصالح الكائن البشريّ.

لا للتفاوت الاجتماعيّ الذي يولّد العنف

59- في ايامنا، يُطالب من كلّ النواحي بأكبر ما يمكن من أمان. لكن، طالما لا يُلغى الإقصاءُ الاجتماعيّ والتفاوتُ الاجتماعيّ، في المجتمع وبين الشعوب المختلفة، فمن غير

[٥٥] القديس يوحنا الذهبيّ الفم: **عظة لعازر**، 2، 6: **الآباء اليونان** (PG) 48، 992 د.

الممكن استئصالُ العنف. يُتّهم الفقراء والشعوب الأكثرُ فقراً بالعنف؛ لكن، من دون تساوٍ في الحظوظ، ستلاقي الأشكالُ المختلفة من العدوان والحرب أرضاً خصبة سوف تتسبّب، عاجلاً أم آجلاً، بالانفجار. عندما ينبذ المجتمع – المحليّ والدوليّ – في الضواحي جزءاً من ذاته، لا يمكنُ لا برامجَ سياسيّة، ولا قوّاتِ أمنٍ ولا دوائر استخباراتٍ سرّية أن تؤمن الهدوءَ إلى ما لا نهاية. فهذا لا يحدث فقط لأن التفاوتَ الاجتماعيَّ يؤجّج التفاعلَ العنيفَ لدى المنبوذين من سياق النظام، بل لأن النظام الاجتماعيّ والاقتصاديّ، من أساسه، لا عدالة فيه. وكما أن الخيرَ ينزع إلى التناقل، كذلك الشرُّ الذي يُرضى عنه، أي الظلم، ينزع إلى نشر قوّته المؤذية وإلى الهدم، سرًّا، أساساتِ كلّ نظام سياسيّ واجتماعيّ، مهما كانت صلابته. وإذا كانت لكلِّ عملٍ نتائجُ، فالشرُّ المعشّشُ في بنى مجتمع ينطوي دائماً على طاقة انحلالٍ وموت. هذا هو السرُّ المترسّخُ في البنى الاجتماعيّة الظالمة التي لا يُرتجى منها مستقبلٌ أفضل. إنّا بعيدون عمّا يُسمّى "نهايةَ التاريخ"، بما أن ظروفَ تطوّرٍ دائم ومسالم لم تتأصّلْ بعدُ ولم تتحقّق بما فيه الكفاية.

60– آليّاتُ الاقتصاد الحاليّ تعزّز مغالاةً في الاستهلاك. لكن ينجمُ عن ذلك أن روحَ الاستهلاك الجامعَ المرتبطَ بالتفاوت الاجتماعيّ يقوّض مضاعفاً النسيجَ الاجتماعيّ. بهذه الطريقة، يولّد التفاوتُ الاجتماعيُّ، عاجلاً أم آجلاً، عنفاً لا يحلُّه ولن يحلّه

أبداً السباقُ إلى التسلّح. وهذا السباقُ يخدم فقط البحثَ عن أساليب لخداع المطالبين بمزيدٍ من الأمان، كأنّا لا نعرف اليومَ أن السلاحَ والقمعَ العنيفَ يولّدان نزاعاتٍ جديدةً وأسوأ شرّاً، بدلاً من أن يقدّما حلولاً. ويكتفي البعضُ فقط باتّهام الفقراءِ والبلدانِ التي أفقرتها مصائبُها، وبترويج تعميماتٍ غيرِ مناسبة، ويدّعون أنهم وجدوا الحلّ بفرض "تربية" تطمئن الفقراء وتحوّلهم إلى كائناتٍ مروَّضة وغيرِ مؤذية. وما يزيدُ الأمرَ أيضاً إثارةً وهيجاناً أن يرى المنبوذون نموَّ ذاك السرطانِ الاجتماعيّ المتمثّلِ بالفساد يتأصّل عميقاً في العديد من البلدان، في الحكومات، في المصالح وفي المؤسّسات، مهما كانت إيديولوجيا الحكّام السياسيّة.

بعض التحدّيات الثقافيّة

61- نبشّر بالانجيل أيضاً عندما نسعى لمواجهة التحدّيات المختلفة الممكن أن تظهر [٥٦]. إنها تعتلن أحياناً في تهجّماتٍ حقيقيّة ضدّ الحريّة الدينيّة، أو في أوضاعٍ جديدة من اضطهاد المسيحيّين، بلغ في بعض البلدان، مستوياتٍ مقلقةً من الحقد والعنف. وفي أماكنَ عديدة، يتعلّق الأمر بالأحرى بلامبالاةٍ نسبيّة منتشرة، مرتبطةٍ بالإحباط وبأزمة الإيديولوجيات التي

[٥٦] را **الاقتراح** 13.

تدّعي أنها ردّة فعل إزاءَ كلِّ ما يبدو شموليّاً. وهذا لا يُلحق ضرراً بالكنيسة فحسب، بل أيضاً بالحياة الاجتماعيّة، عامّةً. إنّا نعترف بأن ثقافةً يريد فيها كلُّ واحد أن يكون داعيةً لحقيقته الذاتيّة الشخصيّة تجعل من الصعب على المواطنين أن يرغبوا في المساهمة في مشروع مشترك يتجاوز المصالحَ والرغائبَ الشخصيّة.

62- في الثقافة المتسلّطة، يحتلُّ المقامَ الأول ما هو خارجيّ، مباشر، مرئيّ، سريع، سطحيّ، موقت. الواقعيّ يُفسح المجالَ للظاهر. في العديد من البلدان تسبّبت العولمة بإفسادٍ متسارع للجذور الثقافيّة، مع اجتياح ميولٍ تخصُّ ثقافاتٍ أخرى، متطوّرة اقتصاديّاً لكن هزيلة أخلاقيّاً. هذا ما عبّرت عنه سينودساتُ أساقفة قارّاتٍ مختلفة. فأساقفة أفريقيا، مثلاً، في إعادتهم قراءَة الرسالة العامة «**الاهتمامُ بالشأن الاجتماعيّ**» ، منذ سنوات، أشاروا إلى أنه غالباً ما يُرادُ تحويلُ بلدان أفريقيا إلى مجرّد «قِطع آليّة، إلى أجزاءٍ مسنَّنةٍ ضخمة. وغالباً ما يتحقّق هذا أيضاً في ميدان وسائل التواصل الاجتماعيّ التي، إذ إنها في معظم الأوقات تقع تحت إدارةِ مراكزَ قائمةٍ في القسم الشماليّ من العالم، لا تأخذ دائماً بالحسبان العادل أولويّات تلك البلدان

الأفريقيّة ومعضلاتها الخاصّة، ولا تحترم سيماءَها الثقافيّة» [٥٧].
وبالطريقة عينها، أشار أساقفة آسية «إلى التأثيرات الخارجيّة التي تُثقل كاهلَ الثقافات الآسيويّة. ولقد ظهرت أساليبُ تصرّفٍ جديدة، من جراء عرضٍ مفرطٍ في وسائل الإعلام [...] فكانت النتيجة أن مظاهر وسائل الإعلام السلبيّة وصناعاتِ عالم المسرح والسينما تهدّد القيمَ التقليديّة»[٥٨].

63- اليومَ يواجهُ الإيمانُ الكاثوليكيّ لدى عدّة شعوبٍ تحدّيَ تكاثر حركاتٍ دينيّة جديدة، بعضُها ينزع إلى الأصوليّة وغيرها يبدو أنه يعرضُ روحانيّةً بدون الله. تلك هي، من جهة، نتيجةُ ردّةِ فعلٍ إنسانيّة أمام مجتمع الاستهلاك الماديّ، الفردانيّ، ومن جهة أخرى واقع انتهازِ فرصةِ فاقة الشعبِ العائشِ في الضواحي والمناطق المفقّرة، والباقي على قيد الحياة وسَط آلام بشريّة هائلة، والباحثِ عن حلولٍ مباشرةٍ لاحتياجاته الخاصّة. تلك الحركات الدينيّة، التي تتميّز باختراقها الماكر الخدّاع، تأتي

[٥٧] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**الكنيسة في أفريقيا**» (14 أيلول 1995)، الرقم 52: أ ك ر (*AAS*) 88 (1996)، 32-33؛ الرسالة العامة «**الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ**» (30 كانون الأول 1987)، الرقم 22: أ ك ر (*AAS*) 80 (1988)، 539.

[٥٨] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**الكنيسة في آسية**» (6 تشرين الثاني 1999)، الرقم 7: أ ك ر (*AAS*)92 (2000)، 458.

لتملأ، في الفردانيّة السائدة، فراغاً خلّفته العقلانيّة المعلمنة. علاوةً على ذلك، يجب الإقرار بأنه إذا كان قسمٌ من الأشخاص المعمَّدين لا يختبرون انتماءَهم الخاصّ إلى الكنيسة، فذالك لربّما يُعزى ايضاً إلى بعض الهيكليّات وإلى جوٍّ عدمِ حسنِ الاستقبال السائد في بعضٍ من رعايانا وجماعاتنا، أو إلى موقفٍ بيروقراطيّ يُتخَذ للإجابة عن معضلاتِ حياة شعوبنا، البسيط منها والمعقّد. في العديد من الأمكنة نلاحظ سيطرةَ المظهر الإداريّ على المظهر الراعويّ، وأيضاً مغالاةً في ممارسة الأسرار، دون اللجوء إلى أيّ شكلٍ من أشكال التبشير بالإنجيل.

64- ينزع مسارُ العلمنة إلى تقليص الإيمان والكنيسة وحصرهما في الميدان الخاصّ الحميم. علاوةً على ذلك، بإنكاره كلَّ تسامٍ، أنتج انحرافاً أخلاقيّاً متنامياً، وإضعافاً لمعنى الخطيئة الشخصيّة والاجتماعيّة، وتزايداً مطّرداً للنسبيّة، تؤدّي إلى تضليلٍ شامل، بالأخصّ في طور المراهقة والشباب، السريعة التأثّر بالتبدّلات. أحسنَ الإشارةَ إلى ذلك أساقفةُ الولايات المتحدة: ففيما الكنيسة تشدّد على وجودِ أنظمةٍ خلقيّةٍ موضوعيّةٍ صالحةٍ للجميع، «ينادي أشخاصٌ أنَّ هذا التعليمَ ظالمٌ، بل يناقض الحقوق الإنسانيّة الأساسيّة. تنجم تلك البراهينُ إجمالاً عن نوعٍ من النسبيّة الخلقيّة، يرتبط عمداً بثقةٍ بحقوق الأفراد المطلقة. من هذا المنظور، يُتطلَّع إلى الكنيسة وكأنها تسبّب إجحافاً خاصّاً

وكأنها تتداخل مع الحريّة الفرديّة»[٥٩]. إنّا نعيش في مجتمع إعلام إعلام يشبّعنا معلوماتٍ، بدون تمييز، جميعُها على مستوى واحد، تؤدّي بنا في النهاية إلى سطحيّة هائلة عندما نقارب القضايا الأدبيّة الخلقيّة. بالنتيجة، بات من الضروريّ أن نوفّر تربيةً تعلّم كيف نفكّر بطريقة ناقدة، وتقدّمُ مسارَ نضوج في القيَم.

65- على الرغم من كلّ التيّار المعلن الذي يجتاح المجتمعَ في العديد من البلدان – حتى حيث تُعتبرُ المسيحيّة أقليّة – الكنيسة الكاثوليكيّة هي مؤسَّسةٌ يوثق بها أمام الرأي العام ويعوّل عليها في كلِّ ما يتعلّق بميدان التضامن والاهتمام بالأكثر عوزاً. في العديد من المناسبات، توسّطت الكنيسة لتوفير حلٍّ معضلاتٍ ترتبط بالسلام والوفاق والبيئةِ والدفاعِ عن الحياة والحقوق الإنسانيّة والمدنيّة إلخ. ولكم هي عظيمةٌ مساهمةُ المدارس والجامعات الكاثوليكيّة في العالم أجمع! إذا كان الأمر هكذا، فهذا إيجابيّ جدّاً. لكن عندما نطرح قضايا أخرى تثير إقبالاً شعبيّاً أدنى، يصعب علينا أن نبيّن أنّا نعمل، أمانةً منّا، من أجل القناعاتِ نفسِها حول كرامة الشخص البشريّ والخير العام.

[٥٩] مؤتمر الأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة الأميركيّة: *Ministry to Persons with a homosexual inclination: Guidelines for Pastoral care.* (14 تشرين الثاني 2006)، الرقم 17.

66- تمرّ الأسرة بأزمةٍ ثقافيّة عميقة، مثلُها مثلُ كلّ الجماعاتِ والربط الاجتماعية. في وضع الأسرة، تصبحُ هشاشةُ الربُط في غاية الخطورة لأن الأمرَ يتعلّق بخليّة المجتمع الأساسيّة، بالمكان حيث يتعلّم المرءُ العيشَ معاً في الاختلاف، والانتماءَ إلى آخرين، وحيث ينقل الأهلُ الإيمان إلى أولادهم. ينزع الزواجُ إلى أن يُنظر إليه وكأنه مجرّدُ شكلٍ من المكافأة العاطفيّة يُمكنُ أن تركّب بأيّ طريقة ما وتتبدّل وفقاً لإحساس كلٍّ واحد. أما مساهمةُ الزواج التي لا يمكنُ الاستغناءُ عنها في المجتمع فتفوق مستوى التأثريّة وضرورات الزوجَين الممكنة. وتلك المساهمة، كما يعلّم أساقفة فرنسا، لا تولد «من شعور الحبّ، السريع الزوال تحديداً، لكن من عمق التعهّد الذي يرتبط به الزوجان اللذان يرضيان بالتزام وحدةِ حياةٍ كاملةٍ»[٦٠].

67- انفراديّةُ ما بعدَ -الحداثة المعولمة تعزّز أسلوبَ حياةٍ يُضعف تطوّرَ الربُط بين الأشخاص ورسوخَها، ويشدّه الربط العيليّة. على العمل الراعويّ أن يُظهر أيضاً بطريقةٍ فضلى أن العلاقة مع الله أبينا تتطلّب وتشجّع شراكةً تشفي وتطوّر وتساند الربط ما بين الأشخاص. وفيما تعاود الظهورَ في العالم، وبالأخصّ في بعض البلدان، أشكالُ حروب مختلفة ونزاعاتٌ،

[٦٠] مؤتمر أساقفة فرنسا: مذكرة مجلس «عائلة ومجتمع» **شمول الزواج أشخاصاً من جنس واحد؟ لنفتحنّ النقاش!»** (28 أيلول 2012).

نشدّد، نحن المسيحيّين، على الاقتراح القاضي بالاعترافِ بالآخر، وعلاجِ الجراح، وبناء الجسور، وتمتينِ العلاقات والمساندةِ «في حمل بعضنا أثقالَ بعض» (غل 6: 2). من جهة أخرى، تظهر اليومَ عدّةُ أنواع منظماتٍ للدفاع عن الحقوق وبلوغ أهدافٍ نبيلة. بهذه الطريقة، يعتلن عطشُ مشاركة العديد من المواطنين الراغبين في أن يكونوا صانعي تقدّم اجتماعيّ وثقافيّ.

تحدّيات انثقاف الإيمان

68- الأساسُ المسيحيُّ لبعض الشعوب – الغربيّةِ منها بالأخصّ – هو واقعٌ حيٌّ. نجد في ذلك، بالأخصّ لدى الأشخاص المحتاجين، مخزوناً خلقيّاً يحافظ على قيَم أنسنةٍ مسيحيّة حقيقيّة. لا يمكن نظرةَ إيمانٍ على الواقع أن تنسى التعرّفَ على ما يبذرُ الروحُ القدس. فهذا يعني أنّا لا نثق في عمله الحرّ والسخيّ، عندما نفكّر أنه لا وجودَ لقيَم مسيحيّةٍ أصيلةٍ حيث قسمٌ كبيرٌ من الشعب نال المعموديّة ويعبّر عن إيمانه وتضامنه الأخويّ بعدّة أساليب. يجب أن نتعرّف على مزيد من «بذار الكلمة»، بما أن الأمرَ هو إيمانٌ كاثوليكيٌّ أصيلٌ يتّسم بأساليب خاصّة في التعابير والانتماءِ إلى الكنيسة. لا يليق بنا تجاهلُ الأهميّة الحاسمة التي تتّخذها ثقافةٌ يسِمُها الإيمان، لأن تلك الثقافة المطبوعة ببشارة الإنجيل، تمتلك، أبعدَ من حدودها، مواردَ أكثر

من مجرّد مجموعةٍ من المؤمنين يواجهون هجماتِ العلمنة الراهنة. تحتوي ثقافةٌ شعبيّةٌ مطبوعةٌ ببشارة الإنجيل قيمَ إيمان وتضامن يمكنها أن تدفع إلى تطوّر جماعةٍ أكثرَ عدلاً وإيماناً، وتملك حكمةً خاصّة يجب التعرّفُ عليها بنظرةٍ مملوءةٍ عرفان جميل.

69- الحاجةُ إلى تبشير الثقافاتِ بالإنجيل لانثقاف الإنجيل فيها حاجةٌ ماسّة. في البلدانِ ذاتِ التقليد الكاثوليكيّ، يقوم الأمرُ بمرافقة الثروة الموجودة قبلاً والاعتناءِ بها ومساندتها؛ وفي البلدان ذاتِ التقاليد الدينيّة الأخرى أو المتأصّلة فيها العلمنةُ بعمق، يقومُ العملُ على توفير مساراتٍ جديدة لتبشير الثقافة بالإنجيل، ولئن يفترض ذلك مشاريعَ بعيدةَ المدى. لا يمكننا، مع ذلك، أن يغفل عن بالنا أنّ هناك دائماً دعوةً إلى النموّ. كلُّ ثقافة وكلُّ فئة اجتماعيّة بحاجة إلى تنقية ونضج. في حال ثقافة الجماعات الكاثوليكيّة الشعبيّة، يمكن الإقرارُ بوجود بعض الأوهان الواجب أيضاً أن يبرئَها الإنجيل: الإدمان على الكحول، العنف المنزليّ، قلّة الاشتراك في الإفخارستيّا، العقائد القدَريّة أو الخرافيّة المتطيّرة التي تُلجىءُ إلى الشعوذة السحريّة إلخ. لكن، نجد حقّاً في التقوى الشعبيّة نقطة الانطلاق الفضلى لشفائها وتحريرها.

70- ومن الحقيقيّ أيضاً، في بعض الأحيان، أنه، بدلاً من التركيز على اندفاع التقوى المسيحيّة، يركّز على أشكالٍ خارجيّة مقتبسة من تقاليدِ بعض الفئات، أو على إيحاءاتٍ شخصيّة مشكوكٍ فيها وتعتبرُ نفسها غيرَ قابلةٍ للجدَل. يوجد شكلٌ من المسيحيّة يتألّف من عباداتٍ، تقوم، تحديداً، على طريقة فرديّة وعاطفيّة لعيش الإيمان، لا تتوافق في الواقع مع "تقوى شعبيّة" أصيلة. يشجّع البعضُ هذه التعابير الإيمانيّة، دون الاهتمام بترقية المؤمنين الاجتماعيّة وتنشئتهم؛ وفي بعض الحالات، يقومون بذلك سعياً وراءَ منافعَ اقتصاديّة أو بعضِ السلطان على الآخرين. ولا يمكننا فوق ذلك أن نتجاهل أنه، في العقود الأخيرة، حصل انقطاعٌ في تناقل الإيمان المسيحيّ بين أجيال الشعب الكاثوليكيّ. ومن المسلَّم به أنَّ كثيرين يشعرون بالخيبة وينقطعون عن التماثل بالتقليد الكاثوليكيّ، وأنه يزدادُ عددُ الوالدين الذين لا يعمّدون أولادهم ولا يعلّمونهم أن يصلّوا، وأنه يحصل بعضُ النزوح نحو جماعاتٍ إيمانيّة أخرى. بعضُ أسباب ذلك الانقطاع هي: انعدامُ فسحات الحوار في الأسرة، تأثيرُ وسائل التواصل الاجتماعيّ، مذهبُ الذاتيّة النسبيّ، روحُ الاستهلاك الجامح الذي يستحثّه السوق، نقصانُ المرافقة الراعويّة إلى جانب الأكثر فقراً، إنعدامُ الاستقبال الودّيّ في مؤسّساتنا والصعوبةُ في إعادة خلق انتماءٍ إيمانيّ روحانيّ صوفيّ، في إطار مشهدٍ دينيّ جامع.

تحدّياتُ ثقافات المدن

71- أورشليم الجديدة، المدينة المقدّسة (رؤ 21: 2-4) هي الهدف الذي نحوه تسير البشريّة جمعاء. من الشيّق أن يقول لنا الوحي أن ملءَ اكتمال البشريّة والتاريخ يتحقّق في مدينة. إنّا بحاجةٍ إلى التعرّف على المدينة، انطلاقاً من نظرة تأمليّة، اي نظرة إيمان تكتشف هذا الإلهَ الساكنَ في منازلها، في شوارعها وباحاتها. حضورُ الله يرافق البحث الصادق الذي يقوم به أشخاصٌ وجماعاتٌ كي يجدوا سنداً ومعنىً لحياتهم. الله يحيا بين سكان المدينة الذين يعزّزون التضامن والأخوّة والرغبة في الخير والحقيقة والعدالة. ذلك الحضورُ يجب ألاّ يصنّع بل أن يُكتشف، أن يُرفعَ الستارُ عنه. الله لا يتخفّى على الذين يبحثون عنه بقلبٍ صادق، ولئن كانوا يفعلون ذلك على غير هدى، بطريقة غير واضحة ومسهبة.

72- في المدينة، يجد المظهر الدينيّ وساطةً من خلال أنماط حياة مختلفة، وعاداتٍ مرتبطةٍ بمعنًى للوقت والمنطقة والعلاقات يختلف عن نمط الشعوب القرويّة. في الحياة اليوميّة، غالباً جدّاً ما يجاهد سكان المدن كي يبقوا على قيد الحياة، وفي هذا الجهاد، يختبىءُ معنىً عميقٌ للوجود يتطلّب عادةً أيضاً معنىً دينيّاً عميقاً. فمن الواجب أخذه بعين الاعتبار للحصول على

حوار مثل الذي بادر به الربُّ السامريّة، عند البئر حيث كانت تبحث عن إرواء عطشها (را يو 4: 7-26).

73- ما زالت تتولّد ثقافاتٌ جديدةٌ في هذه المساحات الجغرافيّة الشاسعة من البشر، حيث لم يعد المسيحيُّ كالعادة باعثاً وخلاّقَ إحساسات. بل أخذ يتقبّل منها لغاتٍ أخرى ورموزاً ورسائلَ وأمثلة تعطي توجيهاتٍ جديدةً للحياة، غالباً ما تعاكسُ إنجيلَ يسوع. ها إن ثقافةً غيرَ مألوفة تختلج وترتمي في المدينة. لقد لاحظ السينودسُ أن تحوّلاتِ تلك المساحات الشاسعة اليوم، والثقافةَ التي تعبّر عنها هي مكانٌ مفضّل لتبشيرٍ جديدٍ بالإنجيل[٦١]. يتطلّب ذلك أن نتصوّر فسحاتِ صلاةٍ وشراكة مع ميزاتٍ مجدّدة، تجتذب أكصرَ سكانِ المدن وتؤثّر فيهم. والأوساطُ القرويّة، بتأثيرٍ من وسائل التواصل الاجتماعيّ، ليست غريبةً هي أيضاً عن تلك التحوّلات الثقافيّة التي تولّد أيضاً تبدّلاتٍ بليغةً في أساليب عيشهم.

74- لقد أصبح من الضروريّ تبشيرٌ بالإنجيل ينيرُ الطرقَ الجديدة لإجراء علاقةٍ مع الله والآخرين والبيئة ويستحثُّ القيمَ الأساسيّة. لا بدَّ أن نبلغ إلى حيث تتألف الرواياتُ والمثلُ الجديدة، وأن نصلَ مع كلام يسوع إلى العناصر المركزيّة

[٦١] را **الاقتراح** 25.

الأكثرِ عمقاً التي تشكّل نفسَ المدينة وروحَها. يجب ألاّ يغرب عن بالنا أن المدينةَ وسطٌ متعدّدُ الثقافات. في المدن الكبرى، يلاحظ نسيجٌ ضامٌ موحّدٌ حيث يتقاسم جموعٌ من الناس الأساليبَ نفسَها في تخيّل الحياة، وتوهّماتٍ شبيهة، ويتكوّنون في قطاعاتٍ بشريّة جديدة، وفي مناطقَ ثقافيّة، وفي مدنٍ خفيّة. في الواقع، تتعايش أشكالٌ ثقافيّة متنوّعة، لكنها غالباً ما تمارس أعمالَ تمييزٍ عنصريّ وعنف. فالكنيسة مدعوّةٌ إلى أن تتكرّس لحوارٍ صعب. من جهة أخرى، هناك سكانُ مدنٍ يحصلون على وسائل مناسبةٍ لتنمية حياتهم الشخصيّة والعيليّة، لكن، في المقابل هناك عددٌ كبير من «اللاسكان مدن»، ومن «نصف سكان مدن» أو من «رواسبَ مُدنيّة». تولّد المدينةُ على الدوام نوعاً من اجتماع الضدّين الدائم، لأنها فيما توفّر لسكانها إمكاناتٍ لا تُحصى، تظهر أمام الكثيرين عقباتٌ عديدة تمنع ملءَ تطوّر الحياة. تُثير تلك التناقضاتُ آلاماً مبرّحة. وفي الكثير من مناطق العالم، تشهد المدنُ أعمالَ احتجاج جماعيّة حيث آلاف السكان يطالبون بالحريّة والمشاركة والعدالة، وبمطالبَ متنوّعة إذا لم يحسن تأويلُها، فمن غير الممكن أن تُرغم على الصمت بالقوّة.

75- لا يمكن أن يغفلَ عن بالنا أنّ في المدن يتزايدُ بسهولةٍ الاتّجارُ بالمخدّرات والأشخاص، والعبثُ بالقاصرين واستغلالهم، وإهمالُ المسنّين والمرضى، وأشكالُ مختلفة من الفساد والإجرام. في الوقت عينه، ما يمكن أن يكون فسحةً ثمينةً

للتلاقي والتضامن غالباً ما يتحوّل إلى مكان هروب وحذر وريبة متبادلة. المنازل والأحياءُ تشادُ للعزلة والحماية أكثر منها للتواصل والاندماج. وسيشكّل إعلانُ الإنجيل قاعدةً لإعادة إرساء كرامة الحياة البشريّة في تلك الظروف، لأن يسوع يريد أن ينشر في المدن الحياة بوفرة (را يو 10: 10). معنى الحياة البشريّة الوحدويّ والكامل الذي يقترحه الإنجيل هو أفضل دواءٍ لأوجاع المدينة، مع أنه يجب علينا اعتبارُ منهاجٍ وأسلوبٍ للتبشير بالإنجيل موحّدٍ وصارم لا يتوافق وهذا الواقع. لكنَّ عيشَ ما هو إنسانيٌّ حتى النهاية والتوغّلَ إلى صلب التحدّيات كخميرةِ شهادة، في أيّ ثقافة كانت، وفي أيّ مدينة كانت، يحسّنان المسيحيّ ويُخصبان المدينة.

ثانياً: تجاربُ العاملين الراعويّين

76- أشعر بعرفانٍ جميلٍ عظيم لما يلتزمه جميعُ الأشخاص الذين يعملون في الكنيسة. لا أريد التوقّف الآن لعرض نشاطات مختلف العاملين الراعويّين، بدءاً من الأساقفة حتى أوضع الخدَمات الكنسيّة وأكثرها خفاءً. أفضّل بالأحرى أن أفكّر في التحدّيات التي عليهم، جميعاً، أن يواجهوها، في الوقت الحاضر، في إطار الثقافة المعولمة. إلاّ أنه عليّ أن أصرّح، بدايةً وبكل إنصافٍ أن مساهمة الكنيسة في عالم اليوم عظيمة. ألمنا وخجلنا من خطايا بعض أعضاء الكنيسة، وخطايانا أيضاً، يجب ألاّ

ينسيانا جميع المسيحيّين الذين يبذلون حياتهم بحبّ: إنهم يساعدون العديدَ من الأشخاص في معالجة أنفسهم أو في أن يرقدوا بسلام في مشافي واهية، ويرافقون أشخاصاً أصبحوا عبيداً لتبعيّاتٍ مختلفة في الأماكن الأكثر فقراً من الأرض، ويتفانون في تربية الأولاد والشباب، ويُعنَون بالمسنّين الذين رذلهم الجميع، ويعملون على إبلاغ القيَمَ إلى الأوساط المعادية، ويضحّون بطرقٍ مختلفة تُظهر الحبَّ العظيم للبشريّة الذي أوحى به إلينا اللهُ المتجسّد. أرفع الشكر للمثَل الصالح الذي يُعطينيه العديدُ من المسيحيّين الذين يبذلون حياتَهم ووقتَهم بفرح. هذه الشهادة تنفعني جدّاً وتساندني في تَوقي الشخصيّ إلى تجاوزِ الأنانيّة فأزدادَ عطاءً.

77- على الرغم من ذلك، بصفتنا أبناءَ هذا العصر، إنّا جميعاً بطريقةٍ ما نخضع لتأثير الثقافة الحاضرة المعولمة التي، وإن كانت تقدّم لنا قيَماً وإمكاناتٍ جديدة، يمكنها أيضاً أن تحدَّ من عزائمنا وتكيّفنا حتى تبلينا بالمرض. إني أقرُّ أنّا بحاجةٍ إلى خلق فسحاتٍ مؤاتيةً كي نحفّز ونخلق من جديد العاملين الراعويّين، إلى خلق «أماكنَ حيث يعود فيها المرءُ إلى ينابيع إيمانه بيسوعَ المسيح المصلوبِ والقائم من بين الأموات، حيث تُتقاسم فيها القضايا الأكثر عمقاً والاهتماماتُ اليوميّة، حيث يُتعمَّق، وبمعايير إنجيليّة، التمييزُ الخاصُّ بوجود الإنسان واختباره،

فيوجّه نحو الخير والجمال خياراتِه الفرديّةَ والاجتماعيّة»[٦٢]. في الوقت عينه، أودّ أن ألفت الانتباه إلى بعض التجارب التي تلاحق اليوم بالأخصّ العملَةَ الراعويّين.

نعم لتحدّي روحانيّة إرساليّة

78- يمكن أن نصادف اليوم عند الكثيرين من العملَة الراعويّين، بما فيهم المكرّسين، اهتماماً مبالغاً لتأمين فسحاتٍ خاصّة من الاستقلاليّة والاسترخاء تقودهم إلى عيش مهمّاتهم وكأنها مجرّد ملحقٍ للحياة، لا تشكّل جزءاً لا يتجزّأ من هويّتهم. في الوقت عينه، تتمازج الحياةُ الروحيّة مع أوقاتٍ دينيّة توفّر بعض الارتياح، لكنها لا تغذّي اللقاء مع الآخرين، والالتزام في العالم، وشغف التبشير بالإنجيل، وهكذا يمكن أن نلاقي عند الكثيرين من عملَة التبشير بالإنجيل، مع أنهم يصلّون، تركيزاً على **الفرديّة**، و **أزمة هويّة** و **انخفاضاً في الورع** . إنها ثلاثة أضرار يغذّي بعضُها بعضاً.

79- الثقافة الإعلاميّة وبعض الأوساط الفكريّة تنقل أحياناً ارتياباً ملحوظاً وبعض خيبة أمل، بالنسبة إلى رسالة الكنيسة. وكانت النتيجة أن العديد من العملة الراعويّين ينمّون، حتى إذا

[٦٢] العمل الكاثوليكيّ الإيطالي: *Messagio della XIV Assemblea nazionale alla Chiesa ed al Paese* (18 أيّار 2011).

صلّوا، نوعاً من عقدة النقص تقودهم إلى النسبويّة وإلى إخفاء هويّتهم المسيحيّة وقناعاتهم. فتتألف حينئذٍ حلقةٌ مفرغةٌ لأنهم هكذا ليسوا سعداءَ ممّا هم عليه وممّا يفعلون، ولا يشعرون أنهم تماهَوا ورسالةَ التبشير بالإنجيل، فيُضعفُ ذلك التزامَهم. وينتهي بهم الأمرُ إلى إخماد فرح الرسالة بنوعٍ من هاجسٍ بأن يكونوا مثل الآخرين ويحصلوا على مثل ما يمتلك الآخرون. وهكذا تصبح مهمّة التبشير بالإنجيل اضطراريّة ويكرّسون لها جهداً قليلاً ووقتاً محدوداً للغاية.

80- وتتطوّر عند العَملة الراعويّين، ما وراءَ نمطٍ روحانيّ يملكونه أو خطةِ تفكيرٍ خاصّة، مذهبُ نسبويّةٍ أخطرُ بعدُ من النسبويّة العقيديّة. إنها تتعلّق بخياراتٍ أعمقَ وأصدقَ تحدّد شكلَ الحياة. تلك النسبويّة العملانيّة تقوم على التصرّف وكأن الله غيرُ موجود، على أخذ القرارات وكأن لا وجودَ للفقراء، على الحُلم وكأن لا وجودَ للآخرين، على العمل وكأنّ جميعَ الذين لم يتلقّوا البشرى غيرُ موجودين. من الواجب الإشارةُ إلى أنّ حتى الذي تتوفّر له ظاهريّاً قناعاتٌ عقيديّةٌ وروحيّةٌ راسخة، غالباً ما يقع في نمط حياة يضطرّه إلى التمسّك بضماناتٍ اقتصاديّة أو فسحاتِ سلطةٍ ومجدٍ بشريّ يستحصل عليها بأيّ طريقة كانت بدلاً من أن يبذل حياته في سبيل الآخرين في الرسالة. **لا ندعنّ أنفسَنا نُسلَبُ الحماسَ الإرساليّ!**

لا للمبالاة الأنانيّة

81- عندما تتعاظم حاجاتُنا إلى ديناميّةٍ إرساليّةٍ تحملُ الملحَ والنورَ إلى العالم، يخشى العديدُ من العلمانيّين من أن يدعوَهم أحدٌ إلى تحقيق مهمّةٍ رسوليّة، فيحاولون الهربَ من كلّ التزام يمكن أن يحرمهم وقتهم الحرّ. فلقد أصبح من الصعب جدّاً، اليوم مثلاً، أن نجد معلّمي تعليم مسيحيّ منشّئين للرعايا، يواظبون على وظيفتهم، مدى عدّة سنوات. لكن، كم يحصلُ شبهُ ذلك أيضاً مع الكهنة الذين يتسلّط عليهم هوَسُ الانشغال بوقتهم الشخصيّ. غالباً ما يعود ذلك إلى أنّ الأشخاصَ يشعرون بالحاجة الماسّة إلى صَون فسحاتِ استقلاليّتهم، وكأن التزام التبشير بالإنجيل سمٌّ فتّاك بدلاً من أن يكون جواباً فرِحاً عن حبّ الله الذي يدعونا إلى الرسالة ويجعلنا كاملين وفائضين خصباً. بعضُ الأشخاص يقاومون حتى النهاية قبل أن يتذوّقوا طعم الرسالة، ويتغلّفون بلامبالاةٍ مُشِلّة.

82- المعضلة لا تنجم دائماً عن إفراطٍ في النشاط، بل بالأخصّ عن نشاطاتٍ فاشلة، لا مبرّراتٍ مناسبةً لها، تفتقدُ إلى روحانيّة تطبعُ العملَ وتجعلُه مرغوباً فيه. من هنا أن الواجبات تُتعب إلى أقصى حدّ فيستولي علينا المرض. وليس هذا إرهاقاً هنيئاً، بل متوتّراً، صعباً ولا شيءَ يرضيه، وفي النهاية مرفوض. يمكن أن تنجم هذه اللامبالاةُ عن عدّة أسباب. يقع البعض فيها لأنهم

يخططون لمشاريعَ غيرِ قابلةٍ التحقيق، ولا يعيشون برضًى المشروعَ الذي يمكنهم أن ينفذّوه بسهولةٍ وأمان. وغيرُهم لأنهم يرفضون تطوّرَ المسارات الصعبَ، ويريدون أن يهبط عليهم كلُّ شيءٍ من السماء. وغيرُهم فقدوا الاتصال الحقيقيَّ مع الناس، وجرّدوا الراعويّة من الشخصانيّة، فأضفَوا اهتماماً أكبرَ للتنظيم منه للأشخاص، بحيث إنَّ «لوحة الطريق» تبعث فيهم حماساً أكثر من الطريق نفسها. وغيرُهم يقع في اللامبالاة لأنهم لا يعرفون الانتظار، ويريدون أن يتسلّطوا على إيقاع الحياة. إن عدمَ الصبر اليوم في البلوغ إلى نتائج مباشرة يحمل العملَة الراعويّين على ألاّ يقبلوا بسهولة معنى بعضِ المناقضاتِ والفشلِ الظاهر والانتقادِ والصليب.

83- هنا يتشكّل التهديدُ الأعظم، «ألا وهي العملانيّة التعيسة في حياة الكنيسة اليوميّة، فيبدو ظاهريّاً أن كلَّ شيءٍ يسير على أحسن ما يُرام، فيما، بالحقيقة، يضعفُ الإيمانُ ويتدنّى إلى خساسة»[٦٣]. وتتطوّر نفسانيّة الرمس التي تحوّل المسيحيّين، شيئاً

[٦٣] جوزف راتسنجر: **الوضع الراهن للإيمان واللاهوت** . محاضرة أُلقيت في أثناء لقاء رؤساء اللجان الأسقفيّة لعقيدة الإيمان في أميركا اللاتينيّة، في «وادي الحجارة» – المكسيك، 1996: **الأوسرفاتوري رومانو**، 1996/11/1؛ را الندوة الخامسة العامة لأساقفة أميركا اللاتينيّة والكاريبي: **وثيقة أباراسيدا** (2007/6/29)، الرقم 12.

فشيئاً، إلى مومياءات متحف. وإذ خيَّبهم الواقعُ والكنيسة وأنفسهم، فإنهم يعيشون التجربة الدائمة بأن يتعلّقوا بحزنٍ مائلٍ إلى الحلاوة، لا رجاءَ فيه، يجتاح قلبهم «كأثمن إكسير الشيطان»[٦٤]. وفيما هم مدعوّون إلى التنوير ومنح الحياة، ينقادون، في النهاية، فتستهويهم أشياءُ تولّد فقط ظلمةً وقنوطاً داخليّاً، يُضعفان الديناميّة الرسوليّة. لأجل ذلك كلّه أسمح لنفسي بأن أشدّد: **لا ندعنَّ أنفسنا نُسلب فرحَ التبشير بالإنجيل!**

لا للتشاؤم العقيم

84- فرحُ الإنجيل هو الفرحُ الذي لا يمكن أن ينزعَه أيُّ شيء أو شخص (را يو 16: 22). آلامُ العالم – وآلامُ الكنيسة – يجب ألاّ تشكّلا حجاً لتقليص التزامنا وورعنا. لنتّخذْها مثلَ تحدّيات للنموّ. علاوةً على ذلك، إن نظرة الإيمان لقادرةٌ على التعرّف على النور الذي يفيضه الروحُ القدس دائماً في الظلمة، غير ناسين أنه «حيث كثُرتِ الخطيئة طفحتِ النعمة» (روم 5: 20). إن إيماننا مدعوٌّ إلى أن يرى أنَّ الماءَ يمكن أن يتحوّل خمراً وإلى أن نكتشفَ البذارَ الذي ينمو وسط الزؤان. خمسون سنةً بعد المجمع الفاتيكانيّ الثانيّ، حتى إذا كنا نقاسي الألم من

[٦٤] جورج برنانوس: **مذكرات خوري رعيّة من الريف**، باريس، 1974، ص 135.

جراء شقاوات عصرنا، وحتى إذا كنّا بعيدين عن التفاؤلات الساذجة، الواقعيّةُ الكبرى يجب ألاّ تعني لا ثقةً أقلّ بالروح ولا سخاءً أقلّ. بهذا المعنى، يمكننا أن نُصغيَ مجدَّداً إلى كلمات الطوباويّ يوحنا الثالث والعشرين، في ذلك اليوم الخالد الذكر (11 تشرين الأول 1962): «غالباً ما يحدث أن (...) آذاننا تُخدش لسماعها ما يقوله البعضُ الذين تُعوزُهم دقّةُ الحكم والاتّزان في طريقة نظرتهم إلى الأشياء، مع أنهم يلتهبون غيرةً دينيّة. في وضع المجتمع الراهن، لا يرون إلاّ دماراً وويلات (...). يبدو لنا أنه من الضروريّ أن نعارض كليّاً أنبياءَ الشوءم هؤلاء، الذين يُنذرون دائماً بالكوارث، وكأنّ العالم قريبٌ من نهايته. في سياق الأحداث الراهن، فيما يبدو المجتمعُ البشريُّ عند منعطف، من الأفضل أن نتعرّف على تدابير العناية الإلهيّة الخفيّة، التي تبلغ غايتها، من خلال تداول الأوقات، وأعمال البشر، وفي غالب الأحيان خلافاً لما كان يُتوقَّع، وتدبّر كلَّ شيء بحكمةٍ لخير الكنيسة باستخدامها حتى الأحداثَ المضادّة»[٦٥].

85- إن إحدى أصعبِ التجارب التي تُخمد الورعَ والجرأةَ هي حالُ الفشل التي تحوّلنا إلى متشائمين مستائين وخائبين، متجهّمي الوجه. لا أحدَ يمكنه أن يخوضَ معركةً إذا لم يأمل قبلاً في

[٦٥] **خطاب افتتاح المجمع الفاتيكانيّ الثانيّ** (11 تشرين الأول 1962)، 4، 2-4: أ ك ر (*AAS*) 54 (1962)، 789.

النصر الكامل الناجز. من يباشر عملاً بدون ثقة، فقدَ مسبّقاً نصفَ المعركة وطمر وزناته. حتى إذا وعى المرءُ كاملَ الوعي حدودَه الشخصيّة، فعليه أن يسير قدُماً دون أن يعتبر نفسه مغلوباً ويتذكّر ما قال الربُّ للقديس بولس: «تكفيكَ نعمتي: لأن نعمتي يبدو كمالُها في الوهن» (2 كو 9: 20). الانتصارُ المسيحيُّ هو دائماً صليب، لكنه صليبٌ هو، في الوقت عينه، رايةُ ظفرٍ تُحمل بحنانٍ مجاهدٍ ضدّ حملات الشرّ. روحُ الفشل الشرّير هو أخو تجربة فصل البذار عن الزؤان قبل الأوان، نتيجةَ قلّةِ ثقةٍ قلقةٍ وأنانيّة.

86- من الواضح أنه تمّ في بعض المناطق، «تصحُّرٌ» روحيّ، هو ثمرةُ مشروع جماعات تريد أن تبني دونَ الله أو تحطّم جذورها المسيحيّة. هنا «يصبح العالمُ المسيحيُّ عقيماً وينضُب مثلَ أرضٍ استُغلّت بإفراط، فتحوّلت إلى رمل» [٦٦]. وفي بلدانٍ أخرى، تَضطرُّ مقاومةُ المسيحيّة العنيفة المسيحيّين إلى عيش إيمانهم، في الخفية تقريباً، في البلد الذي يحبّون. وهذا أنواعٌ أخرُ من الصحراء بليغُ الوجع. حتى أسرةُ المرءِ الخاصّة وبيئةُ عمله الخاصّ يمكن أن يكونا تلك البيئة القاحلة حيث يجب الحفاظُ على الإيمان والعملُ على نشره. لكن «بالحقيقة، انطلاقاً

[٦٦] جون هنري نيومن: **رسالة 26 كانون الثاني 1833**، في: **رسائل ويوميّات** جون هنري نيومن، المجلد 3، أوكسفورد 1979، 204.

من اختبار هذه الصحراء، هذا الفراغ، يمكننا أن نعيد اكتشافَ فرحِ الإيمان، وأهميّته الحيويّة بالنسبة إلينا، رجالاً ونساءً. في الصحراء، نعود ونكتشف قيمة ما هو جوهريٌّ للحياة؛ وهكذا، في العالم المعاصر، كثيرةٌ هي علاماتُ التعطش إلى الله والمعنى الأسمى للحياة، مع أنه غالباً ما يعبَّر عنهما بطريقةٍ ضمنيّة أو سلبيّة. وفي الصحراء، يُحتاج دائماً إلى أشخاص إيمان، يُرشدون بمثَل حياتهم، إلى الطريق المؤدّي إلى أرض الميعاد، وهكذا يحافظون على يقظة الرجاء»[٦٧]. في كل الأحوال وفي مثل هذه الظروف، نحن مدعوّون إلى أن نكون «أشخاصاً – قوارير» نروّي عطش الآخرين. أحياناً، تتحوّل القارورة إلى صليب ثقيل، لكن إنما على الصليب بالحقيقة قدّم لنا الربُّ المطعون بحربة ذاته كينبوع ماءٍ حيّ. **لا ندعنَّ أنفسَنا نُسلبُ الرجاء!**

نعم للعلاقات الجديدة التي أنشأها يسوعُ المسيح

87– في أيامنا، فيما شبكاتُ التواصل البشريّ وأدواتُه قد بلغت مستوًى من التطوّر فريداً، نشعر بضرورة اكتشاف ونقل «صوفيّة» العيش معاً، والتمازج والتلاقي والتعانق والمساندة،

[٦٧] بندكتوس السادس عشر: **عظة في أثناء قداس افتتاح سنة الإيمان** (11 تشرين 2012): أ ك ر (*AAS*) 104 (2012)، 881.

والمشاركة في ذلك المدّ الفوضويّ قليلاً الذي يمكن أن يتحوّل إلى اختيار أخوّة حقيقيّ، إلى قافلة متضامنة، إلى حجٍّ مقدّس. وهكذا تتحوّل أعظمُ إمكاناتِ التواصل إلى أعظم إمكاناتِ التلاقي والتضامن بين الجميع. إذا أمكننا سلوكُ هذا الطريق فلسوف يكون عملٌ جيّدٌ في غاية التجديد والإحياء، والتحرير، وإعادة بثّ الرجاء! الخروجُ من الذات للاتحاد مع الآخرين يولّد خيراً. الانغلاق على الذات يعني تذوّقَ سمّ الكمُون الباطنيّ المرّ، وكلُّ اختيار أنانيّ نتخذه، سوفَ تتغلب عليه الطبيعة.

88- المثال المسيحيُّ الأعلى يدعو دائماً إلى تجاوز الريبة، وقلة الثقة الدائمة، والخوف من السيطرة علينا، والتصرّفات الدفاعيّة التي يفرضها علينا عالم اليوم. يحاول الكثيرون الهروبَ من الآخرين، سعياً وراء حياة خاصّة هانئة، أو لتشكيل حلقة ضيّقة من الأصدقاء الحميمين، ويتخلّون عن واقع بُعد الإنجيل الاجتماعي. لأنه، كما أن البعض يريدون مسيحاً روحانيّاً صرفاً، لا لحمَ له ولا صليب، كذلك يهدفون إلى علائقَ شخصيّةٍ متبادلة من خلال آلاتٍ مصطنعة، وشاشاتٍ وأنماطٍ تُسيَّر وتُوقَّف عند الطلب. في هذه الأثناء، يدعونا الإنجيل دائماً إلى مجازفة اللقاء مع وجه الآخر، مع حضوره الجسديّ الذي ينادي، مع وجعه وطلباته، مع فرحه المعدي في تلاحمٍ جسديّ دائم. الإيمانُ الأصيلُ بابن الله المتجسّد لا ينفصل عن عطاء الذات، عن

الانتماء إلى جماعة، عن الخدمة، عن المصالحة مع جسد الآخرين. في تجسّده، دعانا ابنُ الله إلى ثورة الحنان.

89- العزلة التي هي شكلٌ من الكُمونيّة، يمكن أن تعبّر عن ذاتها باستقلاليّةٍ مزيّفةٍ تقصي الله، والتي مع ذلك يمكن أيضاً أن تجد في ما هو دينيٌّ شكلَ روحِ استهلاكٍ روحانيّ في متناول انفراديّتها المرَضيّة. العودةُ إلى ما هو مقدّس والبحثُ الروحانيُّ اللذان يميّزان عصرنا هما ظاهرتان ملتبستان، لكن، إنّا نواجه اليومَ أكثرَ من الإلحاد، نواجه تحدّيَ أن نُروي، بما هو مناسبٌ، عطشَ الكثيرين من الأشخاص إلى الله، كي لا يَسعَوا لإروائه بواسطة اقتراحاتٍ تُغرّب عن الذات، أو بواسطة يسوعَ مسيحٍ بدون لحم ولا التزام مع الآخر. هؤلاءِ الأشخاص إذا لم يجدوا في الكنيسة روحانيّةً تشفيهم وتحرّرهم وتملأُهم حياةً وسلاماً، وتدعوهم، في الوقت عينه، إلى الشراكة المتضامنة وإلى الخصب الإرساليّ، فإنه سينتهي بهم الأمر إلى أن تخدعهم مقترحاتٌ لا تؤنسنُ ولا ترفع مجداً لله.

90- الأشكال الخاصّة بالتديّن الشعبيّ تجسّدت، لأنها نشأت من تجسّد الإيمان المسيحيّ في ثقافة شعبيّة. لهذا بالذات، فإنها تتضمّن علاقةً شخصيّة لا مع طاقاتٍ تنسّق لكن مع الله، مع يسوعَ المسيح، مع مريم، مع أحد القدّيسين. إن لها جسداً، لها أوجه. الأشكالُ الخاصّة بالتديّن الشعبيّ كُيّفت كي تغذّي قدراتٍ

علائقيّة لا هروباً انفراديّاً. في قطاعاتٍ أخرى من مجتمعاتنا يعظم الافتتانُ بأشكالٍ مختلفة من "روحانيّة" الرفاهيّة" بدون جماعة، وبـــ "لاهوت الرخاء والازدهار" بدون التزامات أخويّة، وباختبارات ذاتيّة لا وجهَ لها، تقتصر على بحث داخليّ كُمونيّ.

91- يقوم التحدّي المهمُّ على إظهار أنَّ الحلّ لن يتوقّف أبداً على الهروب من علاقة شخصيّة وملتزمة مع الله، والتي تُلزمنا في الوقت عينه مع الآخرين. هذا ما يحدث اليوم عندما يعمل المؤمنون على التخفّي وعلى تحاشي نظر الآخرين، أو عندما يهربون خلسةً من مكانٍ إلى آخر أو من مهمّة إلى أخرى، دون أن يكوّنوا ربطاً عميقة وراسخة: «تخيّلُ الأماكن وتبدّلُه خدعا كثيرين»[٦٨]. إنه علاج خاطىء يعلُّ القلب وأحياناً الجسم. من الضروريّ أن نساعد على التعرّف بأن السبيل الأوحد يقوم على تعلّم لقاء الآخرين بتبنّي التصرّف الصحيح، بتقديرهم وبقبولهم كرفقاء طريق، بدون مقاوماتٍ داخليّة. والأفضل من ذلك، أن نتعلّم اكتشاف يسوع في وجه الآخرين، في صوتهم، في طلباتهم. وأيضاً أن نتعلّم التألّم بتقبيل يسوع المصلوب عندما

[٦٨] توما أكمبيس: **الاقتداء بالمسيح:** «كثيرون تخيّلوا أنهم يكونون أفضل في أمكنة أخرى، فخدعتهم فكرة التبديل».

نعاني تعدّياتٍ ظالمةً أو نكرانَ الجميل، دون أن نملَّ أبداً من اختيار الأخوّة[٦٩].

92- نجدُ هنا الشفاءَ الأكيد، من حيثُ إنَّ طريقةَ علاقتنا مع الآخرين، بمنحنا الشفاءَ حقّاً بدلاً من أن تبليَنا بالمرض، هي أخوّةٌ صوفيّة، تأمليّة، تعرف أن ترى عظمة القريب القدسيّة. وتكتشفَ اللهَ في كلّ كائنٍ بشريّ، تعرف أن تتحمّلَ متاعبَ العيش معاً بالتمسك بمحبّة الله، وتفتحَ القلبَ على الحبّ الإلهيّ، بحثاً عن سعادة الآخرين، كما يفعل الله الآبُ الصالح. في هذا العصر بالتحديد، وأيضاً حيث يوجد «قطيعٌ صغير» (لو 12: 32)، تلاميذُ الربِّ مدعوّون إلى أن يعيشوا كجماعةٍ تكون ملحاً

[٦٩] شهادةُ القديسة تيريز دوليزيو، في علاقتها مع راهبةٍ زميلةٍ سمجة معها للغاية، هي مثيرة للاهتمام؛ في هذه الشهادة، كان لاختبار داخليّ وقعٌ حاسم: «في مساءٍ من فصل الشتاء، كنت كالعادة أكمّل وظيفتي الصغيرة، وكان الطقس بارداً... سمعتُ فجأةً في البعيد صوتَ آلةٍ موسيقيّة رخيماً، فتخيّلتُ للحال صالوناً حسنَ الإضاءة، يتألّق بطلاءاته الذهبيّة، وفتياتٍ أنيقاتِ الملابس يتبادلنَ التهانيَ والمجاملاتِ العالميّة؛ ثم وقع نظري على المريضة المسكينة التي كنت أمسكُ بها؛ بدلاً من اللحن الرخيم، كنتُ أسمعُ من وقتٍ إلى آخر تنهّداتها النائحة [...] لا يمكن أن أعبّر عمّا اختلج في نفسي، ما أعرف هو أن الربَّ أنارها بشعاعاتِ الحقيقة التي فاقت إلى حدٍّ بعيدٍ وهجَ أعيادِ الأرض الحالكة، وأنه لم أتمكّن من تصديق سعادتي» (**المخطوط C**، 29 وجه – 30 قفا، في **الأعمال الكاملة**، باريس 1992، ص 274-275).

للأرض ونوراً للعالم (را متى 5: 13–16). إنهم مدعوّون إلى أن يشهدوا بانتمائهم إلى التبشير بالإنجيل، بطريقة دائماً جديدة[٧٠]. **لا ندعنّ أنفسَنا نُسلبُ الجماعة!**

لا للدنيويّة الروحيّة

93– الدنيويّة الروحيّة التي تختبىءُ وراءَ مظاهر تديّنٍ أو حتى حبّ الكنيسة، تقوم على البحث عن المجد البشري والرفاهيّة الشخصيّة، بدلاً من مجد الربّ. وهذا ما كان الربُّ يؤنب الفريسيّين عليه: «كيف لكم أن تؤمنوا وأنتم تطلبون المجدَ بعضُكم من بعض، ولا تطلبون المجدَ الذي من عند الله دونَ غيره» (يو 5: 44). وهكذا بالحيلة يُبحث عن «ما هو لأنفسهم، لا ما هو للمسيح يسوع» (في 2: 21). الدنيويّة الروحيّة تتلّبس عدّة أشكال، وفقَ نمط الشخص والظروفِ الذي فيه تتغلغل. وبما أنها مرتبطةٌ بالتماس المظهر، فلا ترافقها دائماً خطايا عامة، بل ظاهريّاً يبدو كلُّ شيء قويماً لائقاً. لكن إذا اجتاحت الكنيسة، «فلسوف توقع أهول الكوارث، أكثرَ من أيٍّ دنيويّة مجرّد أدبيّة»[٧١].

[٧٠] را **الاقتراح** 8.

[٧١] هنري دولوباك: **تأمل في الكنيسة**، باريس 1968، منشورات أوبييه – مونتين، 60، ص 321.

94- يمكن أن تتغذّى تلك الدنيويّة، بالأخصّ، بطريقتين مترابطتين ارتباطاً وثيقاً. الواحدة هي جاذبيّة الغنوصيّة، أي إيمانٍ تنغلق عليه النسبويّة فلا يُحسب فيه حسابٌ إلاّ لاختبارٍ معيّن، أو لمجموعةٍ من التفكير المنطقيّ أو لمعارفَ يُظنُّ أنه من الممكن أن تقوّي وتنير، لكن يجد المرءُ فيها نفسَه، بالنهاية، مغلقاً عليه في كُمونيّة عقله الشخصيّ أو عواطفه. الأخرى هي البلاجيّة – الحديثة الذاتيّة المرجع والبروميتيّة التي، بالنهاية، لا يثق أتباعها إلاّ بقواهم فقط، ويشعرون بالتفوّق على غيرهم، لأنهم يمارسون أنظمةً معيّنة أو لأنهم يلتزمون أمانةً لا تتزعزع لنوعٍ من النمط الكاثوليكيّ عفا عنه الزمن. إنه أمانٌ عقيديٌّ ونظاميٌّ مزعومٌ يُفضي إلى نُخبويّة نرجسيّة سلطويّة، حيث، بدلاً من التبشير بالإنجيل، يُحلَّل ويُصنَّف الآخرون، وبدلاً من تسهيل البلوغ إلى النعمة، تُهدر الطاقاتُ في المراقبة. في الحالتين، لا يسوعُ المسيح ولا الآخرون يُثيرون الاهتمام حقّاً. إنها مظاهرُ كُمونيّة تتركّز على الشخص البشريّ. لا يمكن أن يُتخيَّل أن من مثلِ هذه الأشكال التقليصيّة للمسيحيّة، يمكن أن تنبعث ديناميّةٌ أصيلةٌ للتبشير بالإنجيل.

95- هذه الدنيويّة الخفيّة تعتلن تحت عدّة مواقف متناقضةٍ ظاهريّاً، لكن تدّعي «السيطرة على فسحة الكنيسة». من بين تلك المواقف يلاحَظ اعتناءٌ متباهٍ بالليترجيّا والعقيدة وبجاهِ الكنيسة، لكن دون أن يشغل البالَ نفاذٌ حقيقيٌّ للإنجيل في شعب الله وفي

حاجات التاريخ الحسيّة. بهذه الطريقة، تتحوّل حياةُ الكنيسة إلى قاعة متحف أو تصبح مُلكَ قلّةٍ من الناس. في مواقفَ أخرى، تتخفّى الدنيويّة الروحيّة نفسُها وراءَ سحر القدرة على إظهار مكاسبَ اجتماعيّة وسياسيّة، أو في مجدٍ باطلٍ مرتبطٍ بإدارة شؤون عمليّة، أو في جاذبيّة نحو ديناميكيّات التقدير الذاتيّ أو التحقيق الذاتيّ المرجع. يمكن أيضاً أن تتّخذ عدّة أشكالٍ، منها التظاهرُ بالتزام حياةٍ اجتماعيّة حافلة، ملأى أسفاراً واجتماعاتٍ ومآدب وحفلات استقبال. أو إنها تمارس بذهنيّة مدير الأعمال الوظيفيّة، المسؤول عن إحصاءات وتخطيطاتٍ وتقديراتٍ، حيث المستفيدُ الأساسيّ ليس شعبَ الله بل الكنيسة كمنظمة. وهي، في كلِّ الأحوال، حُرمت ختمَ المسيح المتجسّد والمصلوب والقائم من بين الأموات، وانغلقت على ذاتها في جماعاتٍ نخبة، فلا تنطلق حقيقةً للبحث عن البعيدين ولا عن الجموع الهائلة المتعطشة إلى المسيح. فليس بعدُ من حماسٍ إنجيليّ، بل التلذّذ المزيّف الذي يولّده الرضى الشخصيّ المركّز على الذات.

96- في هذا السياق، يتغذّى المجدُ الباطل الذي يلوّح به أولئك الذين يكتفون ببعض السلطة ويفضّلون أن يكونوا قوّاد جيوش مهزومة أكثر من مجرّد جنودٍ في فيلقٍ يتابع المعركة. كم حلُمنا بخططٍ رسوليّة، توسيعيّة، دقيقةٍ وحسنةِ الرسم، على مثال خطط الجنرالات المهزومين! وهكذا ننكر تاريخنا الكنسيّ المجيد، باعتباره تاريخ تضحياتٍ ورجاءٍ وجهادٍ يوميّ، وحياةٍ مبذولةٍ في

الخدمة، ومثابرةٍ على العمل الشاقّ، لأن كلَّ عمل يُنجز "بعرق الجبين". على العكس من ذلك، نتباطأ كمغرورين يردّدون مقولة ما "يجب أن يُعمل" – خطيئة ما "يجب أن يُعمل" – كمعلّمين روحيّين وأخصائيّين في الراعويّة، يوزّعون تعليماتهم فيما هم باقون خارجاً. نغذّي مخيّلتنا، إلى ما لا نهاية، ونفقد التواصل مع الواقع الأليم الذي يتخبّط فيه شعبُنا الأمين.

97– مَن سقط في هذه الدنيويّة يتطلّع من علُ ومن بعيد؛ إنه يرفض نبوءَة الإخوة، ويقصي مَن يبادره بطلب، ويركّز باستمرارٍ على أخطاءِ الآخرين ويستحوذ عليه المظهر. ولقد قلّص مرجعيّة القلب إلى أُفق كُمونه المغلَق ومصالحه؛ بالتالي، فإنه لا يعرف شيئاً عن خطاياه الشخصيّة ولا ينفتح حقّاً على الغفران. إنه لفسادٌ هائلٌ تحت ظاهر الخير. فمن الواجب تحاشيه بوضع الكنيسة في حركة انطلاقٍ خارجاً عن الذات، وفي حركةٍ إرساليّةٍ مركّزةٍ على يسوعَ المسيح، والتزام نحو الفقراء. ليحرِّرْنا اللهُ من كنيسةٍ دنيويّة تتجلببُ روحانيّاتٍ وراعويّات! تلك الدنيويّة الخانقة تعالَج بتنشّق هواءِ الروح القدس النقيّ، الذي يحرّرنا من المكوث متقوقعين على ذواتنا، مختبئين وراءَ ظاهرٍ دينيٍّ خالٍ من الله. **لا ندعنَّ أنفسَنا نُسلبُ الإنجيل!**

لا للحرب ما بيننا

98- كم من حروبٍ داخل شعب الله وفي الجماعات المختلفة! كم من حروبٍ حسداً وغيرةً، في الحيّ ومكان العمل، وأيضاً بين مسيحيّين! الدنيويّة الروحيّة تحمل بعض المسيحيّين على محاربة مسيحيّين آخرين يصدّونهم عن السعي للسلطة والجاه واللذة أو الضمان الاقتصاديّ. علاوةً على ذلك، ينقطع البعضُ عن أن يعيشوا انتماءً ودّياً إلى الكنيسة، كي يغذّوا روح مجادلة. فبدلاً من أن يكونوا مُلكاً للكنيسة الجامعة، بتنوّعها الثريّ، ينتسبون إلى هذا الفريق أو ذاك الذي يشعر بأنه مختلف أو خاصّ.

99- تمزّق العالمَ حروبٌ وأعمالُ عنفٍ، أو تجرحه انفراديّةٌ منتشرةٌ تقسّم الكائناتِ البشريّة فيواجهون بعضُهم بعضاً في السعي وراء رفاهيتهم الشخصيّة. في العديد من البلدان، اندلعت من جديد نزاعاتٌ وانقساماتٌ قديمة ظُنَّ أنها قد سُوّيت جزئيّاً. أودّ أن أطلب بالأخصّ من مسيحيّي كلّ الجماعات في العالم شهادةَ شراكةٍ أخويّة تصبح جذّابة ومنيرة. وليتمكّن الجميع من أن ينظروا بإعجابٍ كيف تهتمّون بعضُكم ببعضٍ، وكيف تتبادلون التشجيعَ بعضُكم لبعضٍ، وكيف يرافق بعضكم بعضاً: «بهذا يعرفُ الجميعُ أنكم تلاميذي: إذا أحببتُم بعضُكم بعضاً» (يو 13: 35). وهذا ما طلبه يسوعُ من الآب في صلاةٍ حارّة: «فليكونوا كلُّهم واحداً... لكي يؤمن العالم بأنك أرسلتني» (يو

17: 21). حذارِ من تجربة الحسَد! إنّا جميعاً على مركب واحد، متوجّهين نحو المرفإ نفسه! لنطلبنَّ نعمة الفرح لثمار الآخرين، التي هي ثمارُ الجميع.

100– يبدو من الصعب على من جرحَتهم انقساماتٌ قديمة أن يقبلوا بأن نحرّضهم على الغفران والمصالحة، لظنّهم أنّا نجهل أوجاعهم أو أنّا ندّعي طمسَ ذاكراتهم ومُثُلهم العليا. لكن، إذا ما رأوا شهادةَ جماعاتٍ أخويّةٍ حقّاً ومتصالحة، فهذا دائماً نورٌ جذّاب. بالتالي، إنه يؤلمني جدّاً أن أرى كيف، في بعض الجماعات المسيحيّة وحتّى بين مكرّسين، يُفسح المجال لأشكالٍ مختلفة من الحقد والانقسام والنميمة والتشهير والثأر والحسَد والرغبة في فرض الآراء الخاصّة، بأيّ ثمن، حتى باضطهاداتٍ تشبه المطاردة اللدود للساحرات. فمن نريد أن نبشّر بالإنجيل بمثل هذه التصرّفات؟

101– لنسألنَّ الربَّ أن يُفهمنا شريعة الحبّ. ما ألذَّ أن نملك هذه الشريعة! كم من الخير يعود علينا أن نحبَّ بعضنا بعضاً فوق كل شيء! نعم، فوق كلِّ شيء! تحريضُ بولس موجَّهٌ إلى كلٍّ منا: «لا تنغلب للشرّ، بل اغلب الشرَّ بالخير» (رو 12: 21). وأيضاً: «لا نسأمنَّ من عمل الخير» (غل 6: 9). لدينا كلُّنا تعاطفٌ ونفور، ولربّما، في الوقت الحاضر، نحن غاضبون على أحد. لنقل على الأقلّ للربّ: «ربِّ، أنا غاضبٌ على فلانٍ

أو فلانة. فأصلّي لأجله ولأجلها». الصلاة لأجل الشخص الذي نحن ساخطون عليه هي خطوة جميلة باتّجاه المحبّة، وعملُ تبشيرٍ بالإنجيل. فلنقم بها اليوم! **ولا ندعنَّ أنفسَنا نُسلبُ المثالَ الأعلى للمحبّة الأخويّة!**

تحدّياتٌ كنسيّةٌ أخرى

102- العلمانيّون هم، بطلّ بساطة، الأكثريّةُ العظمى في شعب الله. وهناك، لخدمتهم، أقليّةٌ: الخدَمة المرسومون. لقد تنامى وعيُ هويّةِ العلمانيّ ورسالته في الكنيسة. إنّا نملك مصفّاً علمانيّاً وافرَ العدد، مع أنه غيرُ كافٍ، يتمتّع بحسٍّ جماعيٍّ متأصّلٍ جداً، وبأمانةٍ عظمى لالتزام المحبة، وتلقين التعليم المسيحيّ والاحتفال بالإيمان. لكنّ وعيَ مسؤوليّة العلمانيّ هذه الذي ينشأ بالمعموديّة والتثبيت لا يعتلن بالطريقة عينها عند الجميع: في بعض الأحوال، لأنهم لم ينشَّأوا على تحمّل المسؤوليّات الخطيرة، وفي أحوال أخرى، لأنهم لم يجدوا فسحاتٍ في كنائسهم الخاصّة ليتمكّنوا من التعبير والعمل، بسبب إكليروسيّة مفرطة تبقيهم على هامش القرارات. وهكذا، وإن لوحظت مشاركةٌ كبرى لكثيرين في الدوائر العلمانيّة، إلاّ أن هذا الالتزام لا ينعكس نفاذاً للقيَم المسيحيّة في عالم الاجتماع والسياسة والاقتصاد. وغالباً ما يقتصر العملُ على مهامّ داخليّة للكنيسة، دون أيّ التزام حقيقيّ

لتفعيل الإنجيل، بغية تحويل المجتمع. تنشئة العلمانيّين والتبشير بالإنجيل الفئات المهنيّة والفكريّة يشكّلان تحدّياً راعويّاً جسيماً.

103- تعترف الكنيسةُ بالمساهمة التي لا يمكن الاستغناءُ عنها التي تقدّمها المرأةُ للمجتمع بإحساسها وحدْسها وبعض القدرات الخاصّة التي تملكها النساءُ عادةً أكثر من الرجال. مثلاً، الاعتناءُ النسائيُّ المميَّز بالآخرين، الذي يعبَّر عنه بالأخصّ، لا حصراً، في الأمومة. إني أرى بفرح كم من النساءِ العديدات اللواتي يتقاسمنَ مسؤوليّاتٍ راعويّة مع الكهنة، ويُسهمنَ في مرافقة الأشخاص والأُسَر أو جماعاتٍ ويقدّمنَ إسهاماتٍ جديدةً في البحث اللاهوتيّ. لكن من الواجب أيضاً توسيعُ الفسحاتِ من أجل حضورٍ نسائيّ أكثرَ فعاليّةً في الكنيسة. لأن «العبقريّةَ النسائيّةَ ضروريّةٌ في كلّ تعابير الحياة الاجتماعيّة؛ وبالتالي، يجب أن يُضمنَ حضورُ النساءِ في قطاع العملِ أيضاً» [٧٢]، وفي الأوساط المختلفة التي تُتَّخذ فيها قراراتٌ هامّة، أكان في الكنيسة أم في البنى الاجتماعيّة.

104- إن المطالباتِ بحقوق النساءِ الشرعيّة، انطلاقاً من الاقتناع الثابت من أن الرجالَ والنساءَ يتمتّعون بالكرامة نفسِها،

[٧٢] المجلس الحبري «عدالة وسلام»: **مختصر عقيدة الكنيسة الاجتماعيّة**، الرقم 295.

تطرح على الكنيسة أسئلةً خطيرةً تتحدّاها، إنما من الممكن تحاشيها سطحيّاً. الكهنوتُ المحصورُ بالرجال، كعلامةٍ للمسيح العريس الذي يبذل نفسَه في الإفخارستيّا هو قضيّةٌ لا تُناقش، لكن يمكنها أن تصبح سببَ نزاعٍ خاصّ إذا عُمل كثيراً على تطابق قدرةِ السرّ مع السلطة. لا يغربنَّ عن بالنا أنه عندما نتحدّث عن السلطة الكهنوتيّة «نكون في مفهوم **الوظيفة**، لا **الكرامة والقداسة**»[٧٣]. كهنوتُ الخدمة هو أحدى الوسائل التي استخدمها يسوعُ لخدمة شعبه، لكن الكرامةَ العظمى تأتي من المعموديّة التي يمكن أن يبلغَ الجميعُ إليها. تشابهُ الكاهنِ مع المسيح – الرأس، اي كمصدرٍ أساسيّ للنعمة، لا يُفضي إلى الترفّع والتعالي فيتربَّعُ في أعلى كلّ ما تبقّى. في الكنيسة «لا تبرِّرُ الوظائفُ أي استعلاءٍ للبعض على الآخرين»[٧٤]. في الواقع، إن امرأةً، مريم، هي أهمُّ من الأساقفة. حتى عندما نعتبرُ وظيفةَ كهنوتِ الخدمة "تراتبيّةً" (إيرارخيّة)، يجدرُ بنا ألاّ يغرب

[٧٣] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**العلمانيّون المؤمنون بالمسيح**» (30 كانون الأول 1988)، الرقم 51 : أ ك ر (*AAS*) 81 (1989)، 493.

[٧٤] مجمع عقيدة الإيمان: **إعلان** «*Inter insignores*» **حول قضيّة قبول النساء في كهنوت الخدمة** (15 تشرين الأول 1976)، 6: أ ك ر (*AAS*) 68 (1977). ذكرها يوحنا بولس الثاني: **المرجع السابق نفسه**، الحاشية 190.

عن ذهننا أنها «خاضعةٌ كليّاً لقداسة أعضاء المسيح» [٧٥]. مفتاحُ تلك الوظيفة ونقطة ارتكازها ليسا السلطة بمفهوم التسلّط، بل القدرة على منح القدرة على منح سرّ الإفخارستيّا؛ من هنا تتأتّى سلطة الكهنوت الذي هو دائماً خدمة الشعب. إنه لتحدٍّ عظيم يواجه هنا الرعاةَ واللاهوتيّين الذين يمكنهم أن يساعدوا على تفهّم أفضل لما يستلزم ذلك بالنسبة إلى دور المرأة الممكن، وذلك حيثُ تُتّخذ القرارات العامّة في مختلف أوساط الكنيسة.

105- راعويّة الشباب، وفقاً لما تعوّدنا على تنميتها، قاست من صدمة التبدّلات الاجتماعيّة. في الهيكليّات العاديّة، غالباً ما لا يجد الشبابُ جواباً عن قلقهم وحاجاتهم وأسئلتهم وجراحهم. يعزُّ علينا، نحن البالغين، أن نصغي إليهم بصبر، أن نتفهّم قلقهم أو أسئلتهم، وأن نتعلّم التحدّث معهم باللغة التي يفهمون. لهذا السبب عينه، لا تؤتي الاقتراحاتُ التربويّة الثمارَ المرجوّة. إن تكاثر وتناميَ المنظمات والحركات الخاصّة جوهريّاً بالشباب يمكن أن يفسّرَ كعمل الروح الذي يشقّ سبلاً جديدة، تتناغم وتطلّعاتهم والبحثَ عن روحانيّة عميقة وعن معنى انتماءٍ أكثر واقعيّةً. إلاّ

[٧٥] يوحنا بولس الثاني: الرسالة «**كرامة المرأة**» (15 آب 1988)، الرقم 27: ا ك ر (*AAS*) 80 (1988)، 1718.

أنه من الضروريّ أن ترسِّخ مشاركة تلك المجموعات في الراعويّة الشاملة الخاصّة بالكنيسة[٧٦].

106- حتى إذا لم يكن دائماً من السهل الاقترابُ من الشباب، إلاّ أنه أُحرز تقدّمٌ في ميدانين: الوعي أن الجماعة كلَّها تبشّرهم بالإنجيل وتربيّهم، والإلحاح في أن يكونوا بالأكثر روّاداً. علينا أن نقرَّ بأنه في سياق أزمة الالتزام الراهن والربط الجماعيّة، عديدون هم الشباب الذين يقدّمون مساعدتهم المتضامنة إزاءَ آلام العالم ويتعهّدون أشكالاً مختلفة من النضال والتطوّع. ويشارك البعضُ في حياة الكنيسة، وينعشون فئاتِ خدمةٍ، ومبادراتٍ إرساليّةً مختلفةً في أبرشيّاتهم وفي أماكن أخرى. ما أجمل أن يكون الشبابُ "حجّاجَ إيمان"، سعداءَ بأن يحملوا يسوعَ في كلّ شارع، في كلّ ساحة، في كلّ زاوية من الأرض.

107- في العديد من الأماكن أصبحت الدعوات إلى الكهنوت والحياة المكرَّسة نادرة. غالباً ما ينجم ذلك في الجماعات عن فقدان حرارة رسوليّة مُعدية، فلا تُثير لهذا السبب جاذبيّةً ولا حماساً. حتى في الرعايا حيث الكهنة يفتقدون الالتزامَ والفرحَ، توقظ حياة الجماعة الأخويّة والحارّة الرغبةَ في التكرّس الكامل لله وللتبشير بالإنجيل، وبالأخصّ إذا كانت تلك الجماعة الحيّة

[٧٦] را **الاقتراح** 51.

تصلّي بإلحاح من أجل الدعوات، وتجرؤُ على أن تقترح على شبابها سبيلَ تكرّسٍ خاصّ. من جهة أخرى، على الرغم من نقصان الدعوات، نعي اليوم وعياً أوضحَ ضرورةَ اختيارٍ أفضلَ للمرشّحين للكهنوت. فلا يمكن أن نملأ الإكليريكيّات على أساس أيّ مبرّرات، بالأخصّ إذا كانت مرتبطةً بعدم اطمئنانٍ عاطفيّ، وبالسعي وراء اشكالِ سلطةٍ ومجدٍ بشريّ أو رفاهيّة اقتصاديّة.

108- كما سبقَ وقلتُ، لم أُرد أن أقدّم تحليلاً كاملاً، لكنني أدعو الجماعات إلى أن تكمّل وتُثريَ هذه التطلّعات، انطلاقاً من وعيها التحدّيات الخاصّة بها والقريبة منها. وعندما تقوم بذلك، آملُ في أنها ستأخذ بالحسبان أنه، كلَّ مرّة نسعى لقراءة علامات الأزمنة في الواقع الراهن، من الجدير أن نصغي إلى الشباب والمسنّين. إنهما كلاهما رجاءُ الشعوب. فالمسنّون يقدّمون ذاكرة الاختبار وحكمته اللتين تدعوان إلى عدم التكرار بغباوةٍ أخطاءَ الماضي نفسَها. والشباب يدعوننا إلى إيقاظ الرجاء وإنمائه، لأنهم يحملون في ذواتهم، نزوعاتِ البشريّة الجديدة، ويشرّعون أمامنا أبوابَ المستقبل، بحيث لا نبقى مرسّخين في الحنين إلى هيكليّاتٍ وعاداتٍ لا تحملُ من بعدُ حياةً في العالم الحاضر.

109- وُجدت التحدّيات كي تناهَض. لنكنْ واقعيّين، لكن بدون فقدان الفرحِ والجرأةِ والتفانيَ المملوءِ رجاءً! **لا ندعنَّ أنفسنا نُسلبُ القوّة الإرساليّة!**

الفصل الثالث

إعلانُ الإنجيل

110- بعد أن أخذتُ بعين الاعتبار بعضَ تحدّيات الواقع الراهن، أرغبُ في أن أذكّر الآن بالمهمّة التي تحثّنا، مهما كان الزمانُ والمكان، لأنه «لا يمكن أن يكون تبشيرٌ حقيقيٌّ بالإنجيل، بدون **إعلانٍ صريح** بأن يسوعَ هو الربّ»، وبدون أن تُعطى «أولويّةٌ لإعلان يسوعَ المسيحَ في كلّ نشاط تبشيرٍ بالإنجيل»[٧٧]. أكد يوحنا بولس الثاني، لدى تقبّله اهتماماتِ أساقفة آسية أنه، إذا كان على الكنيسة «أن تُتمَّ قدَرها الربّاني، حينئذٍ يجب أن يكون التبشيرُ بالإنجيل أولويّةً مطلقة، بشكل وعظٍ فرحٍ، صبورٍ، تدريجيّ عن موت يسوعَ المسيح الخلاصيّ وقيامته من بين الأموات»[٧٨]. وهذا ينطبق على الجميع.

[٧٧] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ: «**الكنيسة في آسية**» (6 تشرين الثاني 1999)، الرقم 19: أ ك ر (*AAS*) 92 (2000)، 478.

[٧٨] **المرجع نفسه**، الرقم 2: أ ك ر (*AAS*) 92 (2000)، 451.

أولاً: جميعُ شعب الله يُعلن الإنجيل

111- التبشيرُ بالإنجيل هو مهمّة الكنيسة. لكن موضوع التبشير بالإنجيل هذا هو أكثر من مؤسّسة عضويّة وتراتبيّة (إيررخيّة)، لأنه قبل كلّ شيء، لدينا شعبٌ سائرٌ نحو الله. إنه حقّاً **لسرٌّ** تغوصُ جذورُه في الثالوث، لكن له طابعٌ ملموسٌ تاريخيٌّ في شعبٍ حاجٍّ مبشّر بالإنجيل، يتسامى دائماً فوق كلِّ تعبيرٍ مؤسَّساتيّ حتى ولو كان ضروريّاً. أقترحُ أن أتوقّف قليلاً عند هذه الطريقة في فهم الكنيسة، التي أساسُها المطلق يكمن في مبادرة الله الحرّة المجانيّة.

شعبٌ للجميع

112- الخلاصُ الذي يقدّمه لنا الله هو فعلُ رحمة. ليس هناك أيُّ عمل إنسانيّ، مهما كان حسناً، يستحقُّ لنا مثل هذه العطيّة العظمى. إن الله، لمجرّد النعمة، يجذبُنا لنتّحد به [٧٩]. إنه يُرسل روحَه في قلوبنا ليجعل منّا أولادَه، كي يبدّلنا ويجعلَنا قادرين على أن نبذل حياتنا حبّاً له. أرسل يسوعُ المسيحُ الكنيسة، كسرِّ خلاص منحه الله [٨٠]. إنها تسهم، بأعمال التبشير بالإنجيل، كأداةٍ

[٧٩] را **الاقتراح** 4.

[٨٠] را المجمع الفاتيكاني الثاني: الدستور العقيديّ الكنيسة **«نور الأمم»**، الرقم 1.

للنعمة الإلهيّة التي تعمل بدون انقطاع، إلى ما أبعدَ من كلِّ مراقبةٍ ممكنة. ولقد عبّر عن ذلك أحسن تعبير بندكتوس السادسَ عشر لدى افتتاحه التأمل حول السينودس: «من (...) المهمِّ أن نعرف دائماً أن الكلمةَ الأولى، المبادرةَ الحقيقيّة، النشاطَ الفعّال هي من لدن الله، وأنه فقط باندماجنا في تلك المبادرة الإلهيّة، وفقط بتوسّلنا تلك المبادرة الإلهيّة نستطيع أن نصبح نحن أيضاً – معه وفيه – مبشّرين بالإنجيل» [٨١]. أن مبدأ **أولويّة النعمة** يجب أن يكون منارةً تضيءُ على الدوام تأملاتنا حول التبشير بالإنجيل.

113– هذا الخلاص الذي يحقّقه الله وتبشّر به الكنيسةُ، بفرح، موجّهٌ إلى الجميع[٨٢]، والله أبدعَ سبيلاً كي يتّحد بكلٍّ من الكائنات البشريّة في كلّ الأزمان. واختار أن يستدعيَهم كشعبٍ لا ككائناتٍ منفردة[٨٣]. لا أحدَ يخلصُ وحده، أي كفردٍ منعزل ولا

[٨١] **تأمل في أثناء الدورة العامة الأولى للجمعيّة الثالثة عشرة العامة العاديّة لسينودس الأساقفة** (8 تشرين الأول 2012): أ ك ر (*AAS*) 104 (2012)، 897.

[٨٢] را **الاقتراح** 6؛ المجمع الفاتيكانيّ الثاني: الدستور الراعويّ الكنيسة في عالم اليوم «**فرح ورجاء**»، الرقم 22.

[٨٣] را المجمع الفاتيكانيّ الثانيّ: الدستور العقيديّ الكنيسة «**نور الأمم**»، الرقم 9.

بقواهُ الخاصّة. يجذبنا الله، مع أخذه بعين الاعتبار، الحبكةَ المعقّدة للعلاقات ما بين الأشخاص التي تشكّلها الحياةُ في جماعةٍ بشريّة. هذا الشعبُ الذي اختاره الله واستدعاه هو الكنيسة. لا يقول يسوعُ للرسل أن يشكّلوا جماعةً حصريّة، جماعةَ **نخبة**. يسوعُ قال: «فاذهبوا إذاً وتلمذوا جميعَ الأمم» (متى 28: 19). والقديسُ بولسُ يؤكد أنه في حضن شعب الله، في الكنيسة، «ليس بعدُ يهوديٌّ ولا يونانيٌّ [...]: لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع» (غل 3: 28). أودُّ أن أقول للذين يشعرون بأنهم بعيدون عن الله والكنيسة، للخائفين واللامبالين: الربُّ يدعوك أنت أيضاً لتكون من شعبه، يدعوك بعظيم احترام ومحبّة!

114- أن تكون كنيسةً يعني أن تكون شعبَ الله، بالتوافق مع المشروع العظيم لحبّ الآب. هذا يدعو إلى أن تكون خميرةَ الله وسطَ البشريّة. هذا يعني أن نعلن ونحمل خلاص الله في عالمنا الذي غالباً ما يضيع، ويحتاج إلى أجوبة توفّر شجاعةً ورجاءً، وكذلك عزماً جديداً في المسيرة. على الكنيسة أن تكون مكانَ الرحمة المجانيّة، حيث يمكنُ أن يشعرَ الجميعُ بأنهم مرحَّبٌ بهم، محبوبون، مسامَحون ومشجَّعون على أن يحيَوا وفقَ حياة الإنجيل الطيّبة.

شعبٌ متعدّدُ الوجوه

115- شعبُ الله هذا يتجسّدُ في شعوب الأرض، وكلٌّ من أعضائه له ثقافتُه الخاصّة. فكرةُ الثقافة أداةٌ ثمينةٌ لفهم تعابير الحياة المسيحيّة المختلفة المتداوَلة في شعب الله. إنها نمطُ حياةِ مجتمع معيَّن، والطريقةُ الخاصّة التي بها ينسجُ أعضاؤها علاقاتٍ ما بينهم، ومع الخلائق الأخرى ومع الله. الثقافة المفهومةُ هكذا تشمل كاملَ حياة شعب[٨٤]. وكلُّ شعب، في تطوّره التاريخيّ، يعزّز ثقافته باستقلاليّة شرعيّة [٨٥]. ويمكننا ذلك لأنَّ الشخصَ البشريَّ «بطبيعته نفسِها، هو بأمسِّ الحاجة إلى حياة اجتماعيّة»[٨٦]، مرجعُها الدائم هو المجتمعُ الذي تعيش فيه، بطريقة ملموسة، اتصالها بالواقع. الكائنُ البشريُّ له دائماً موقعٌ ثقافيّ: «الطبيعة والثقافة مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بقدر الإمكان»[٨٧]. النعمة تفترض الثقافة، وموهبة الله تتجسّد في ثقافة الإنسان الذي يتقبّلها.

[٨٤] را المؤتمر العامّ الثالث لمجلس أساقفة أميركا اللاتينيّة والكاراييب: **وثيقة بويبلا** (23 آذار 1979)، الرقم 386-387.

[٨٥] المجمع الفاتيكانيّ الثانيّ: الدستور الراعويّ الكنيسة في عالم اليوم «**فرح ورجاء**»، الرقم 36.

[٨٦] **المرجع نفسه**، الرقم 25.

[٨٧] **المرجع نفسه**، الرقم 53.

116- على مدى الألفَي سنةً من المسيحيّة، تقبّلت شعوبٌ عديدةٌ نعمة الإيمان، وجعلتها تزهر في حياتها اليوميّة، ونقلتها بحسب أساليبها الثقافيّة الخاصّة. عندما تتقبّل جماعةٌ بشرى الخلاص، يخصّب الروحُ القدس ثقافتَها بقدرة الإنجيل المحوِّلة. بحيث إنَّ المسيحيّة، كما يمكن أن نشهد ذلك في تاريخ الكنيسة، ليس لها مثالٌ ثقافيٌّ واحد، لكنّها «فيما تحافظ كليّاً على ذاتها، في أمانةٍ مطلقةٍ لإعلان الإنجيل والتقليد الكنسيّ، تتّشمُ أيضاً بوجه الثقافات والشعوب العديدة حيث قُبلت وتأصّلت» [٨٨]. وتعبّر الكنيسةُ عن جامعيّتها (كاثوليكيّتها) الأصيلة وتُظهر «جمالَ هذا الوجه المتنوّع الأشكال» [٨٩]، لدى الشعوب المختلفة التي تختبر عطيّة الله وفقاً لثقافتها الخاصّة. في التعابير المسيحيّة لشعبٍ بُشِّر بالإنجيل، يجمِّل الروحُ القدسُ الكنيسة، إذ يدلُّها على مظاهر وحيٍ جديدة ويمنحها وجهاً جديداً. بواسطة الانثقاف «تُدخل الكنيسةُ الشعوبَ مع ثقافاتهم في جماعتها الخاصّة» [٩٠]،

[٨٨] يوحنا بولس الثاني: الرسالة «**نحو ألفيّة جديدة**» (6 كانون الثاني 2001)، الرقم 40: أ ك ر (*AAS*) 93 (2001)، 294-295.

[٨٩] المرجع **نفسه**.

[٩٠] يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامة «**رسالة الفادي**» (7 كانون الأول 1990)، الرقم 52: أ ك ر (*AAS*) 83 (1991)، 300؛ را الإرشاد الرسوليّ «**واجب تلقين التعليم المسيحي**» (16 تشرين الأول 1979)، الرقم 53: أ ك ر (*AAS*) 71 (1979)، 1321.

لأن «كلّ ثقافة تقدّم قيَماً وأمثلةً إيجابيّةً يمكن أن تُثريَ الطريقة التي نُعلن بها الإنجيل ونفهمه ونحياه»[٩١]. وهكذا، تصبح الكنيسةُ التي تتقبّل قيمَ الثقافاتِ المختلفةَ "**كالعروسِ التي تتحلّى بزينتها**" (را إش 61: 10)[٩٢].

117– التنوّع الثقافيّ، بمفهومه الجيّد لا يهدّد وحدة الكنيسة. هو الروحُ القدسُ المرسلُ من لدن الآب والابن الذي يبدّل قلوبَنا ويجعلُنا قادرين على الدخول في شراكة كاملة مع الثالوث الأقدس حيث الكلُّ يجد وحدته. إنه يبني شراكة شعب الله وتناغمه. الروحُ القدسُ نفسه هو التناغم، كما أنه رباط الحبّ بين الآب والابن [٩٣]. هو الذي يثير غنىً عظيماً متنوعاً من المواهب، وفي الوقت عينه يبني وحدةً ليست أبداً تشابهاً، بل تناغمٌ متعدّدُ الأشكال جذّاب. التبشيرُ بالإنجيل يعترف بفرح بتلك الثروات العديدة التي يولّدها الروحُ في الكنيسة. إنّا لا نُنصفُ

[٩١] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**الكنيسة في أوقيانيا**» (22 تشرين الثاني 2001)، الرقم 16: أ ك ر (*AAS*) 94 (2002)، 384.

[٩٢] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**الكنيسة في أفريقيا**» (14 أيلول 1995)، الرقم 61: أ ك ر (*AAS*) 88 (1996)، 39.

[٩٣] توما الأكويني: **الخلاصة اللاهوتيّة**، I, q.39, a. 8 cons.2: «إذا أُغفل الروحُ القدس، **الصلة بين الاثنين**، لا يعود بالإمكان تصوّر وحدة الرباط بين الآب والابن»: را ايضاً I, q. 37, a.1, ad 3.

منطقَ التجسّد عندما نفكر بمسيحيّةٍ وحيدةِ الثقافة وأحاديّةِ الوتر. وإذا كان صحيحاً أن بعضَ الثقافات كان مرتبطاً وثيقَ الارتباط مع التبشير بالإنجيل وتنامي فكرٍ مسيحيّ، إلاّ أن الرسالة الموحى بها لا تتماثل مع أيّ منها ومضمونُها عابرُ الثقافات. لذلك، عندما نبشّر بالإنجيل ثقافاتٍ جديدةً أو ثقافاتٍ لم تتقبّل بعدُ البشارة المسيحيّة، ليس من الضروريّ فرضُ شكلٍ ثقافيّ خاصّ، مهما كان جميلاً وقديماً، مع عرض الإنجيل. الرسالة التي نعلنها تتّشح دائماً بوشاحٍ ثقافيّ، لكن أحياناً في الكنيسة نقع في «تقديس» ينمُّ عن زهوٍ وغرور، لثقافة المبشِّر الخاصة التي يمكن أن نُظهر من خلالها تعصباً أكثر منه حرارةً تبشيريّةً بالإنجيل أصيلة.

118– وهكذا، طلب أساقفةُ أوقيانيا «أن تعمل الكنيسة عندهم على إفهام حقيقة المسيح وتقديمها مستوحيةً «تقاليدَ المنطقة وثقافاتها» وتمنّوا «أن يعمل المرسلون بالتناسق مع المسيحيّين أبناءِ البلد الأصيلين، بحيث يعبّر عن إيمان الكنيسة وحياتها، وفقَ أشكالٍ شرعيّة تتوافق مع كلِّ ثقافة» [٩٤]. لا يمكننا الادّعاءُ بأن جميعَ الشعوب في جميع القارات، عند تعبيرهم عن إيمانهم المسيحيّ، يجب أن يقلّدوا الطرقَ التي تبنّتها الشعوبُ الأوروبيّةُ

[٩٤] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ **«الكنيسة في أوقيانيا»** (22 تشرين الثاني 2001)، الرقم 17: أ ك ر (*AAS*) 94 (2002)، 385.

في وقتٍ معيّنٍ من تاريخها، لأن الإيمانَ لا يمكن أن يُغلق عليه في حدودِ مفهومِ ثقافةٍ خاصّةٍ والتعبير عنها [٩٥]. من المسلَّم به أن ثقافةً واحدةً لا تستنفد سرَّ فداءِ المسيح.

إنّا جميعاً تلاميذ مرسلون

119– في جميع المعمَّدين، من الأول إلى الأخير، تعمل قدرةُ الروح المقدّسة التي تحثّ على التبشير بالإنجيل. شعبُ الله قدّيسٌ بفضل تلك المسحة التي تجعله **معصوماً عن الخطايا "عندما يؤمن"**. هذا يعني أنه عندما يؤمن لا يخطأ، حتى إذا لم تتوفّر له كلماتٌ للتعبير عن إيمانه. فالروحُ يقوده في الحقيقة ويبلّغه الخلاص[٩٦]. وكجزءٍ من سرّ محبّة الله للبشريّة، يمنح الله كافّة المؤمنين غريزةَ الإيمان التي تساعدهم على تمييز ما يأتي حقّاً من لدن الله. إن حضورَ الروح يمنح المسيحيّين نوعاً من التناسق الطبيعيّ مع الحقائق الإلهيّة وحكمةً تسمح لهم بأن يفهموا بالبداهة، حتى إذا لم تتوفّر لهم الوسائلُ الموافقة كي يعبّروا عنها بدقّة.

[٩٥] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**الكنيسة في آسية**» (6 تشرين الثاني 1999)، الرقم 20: أ ك ر (*AAS*) 92 (2000)، 478–482.

[٩٦] را المجمع الفاتيكانيّ الثانيّ: الدستور العقيديّ الكنيسة «**نور الأمم**» ، الرقم 12.

120- كلُّ عضوٍ من شعب الله، بفضل المعموديّة التي نالها، اصبح تلميذاً مرسلاً (را متى 28: 19): كلُّ معمَّد، مهما كانت وظيفته في الكنيسة، ومستوى تنشئته الإيمانيّة، هو عنصرٌ نشيط للتبشير بالإنجيل؛ وإنه لمن غير الملائم أن يفكَّر بمخططِ تبشيرٍ بالإنجيل يستخدمه عملةٌ كفاة، فيما باقي الشعبِ المؤمنِ يكون فقط مكرَّساً للانتفاع من خدماتهم. يجب أن يتضمّن التبشيرُ الجديدُ بالإنجيل أن يكون كلُّ معمَّدٍ رائداً لطريقة جديدة. هذا الاقتناعُ يتحوّل إلى نداءٍ موجَّهٍ إلى كلِّ مسيحيّ، بحيث لا يعذُلَ أحدٌ عن التزامه التبشيرَ بالإنجيل، لأنه إذا كان حقّاً اختبر حبَّ الله المخلّص، فلا يعوزه كثيرٌ من وقت التحضير لينطلق ويبشّر به، ولا يمكنه أن ينتظر مزيداً من الدروس والتعاليم الطويلة. كلُّ مسيحيّ هو مرسلٌ بمقدار ما يلتقي حبَّ الله في يسوعَ المسيح؛ لا نقول من بعدُ إنّا «تلاميذ» و«مرسلون»، بل إنّا دائماً «تلاميذ – مرسلون». إذا كنّا غيرَ مقتنعين من ذلك، لنتأملنّ التلاميذ الأولين، الذين حالاً بعد تعرّفهم على نظرة يسوع، راحوا يعلنون ممتلئين فرحاً: «لقد وجدنا الماسيّا» (يو 1: 41). والسامريّة، حالما فرغت من الحوار مع يسوع، أصبحت مرسلة، وآمن به كثيرٌ من السامريّين «بفعل كلام المرأة» (يو 4: 39). القديس بولسُ أيضاً، منذ لقائه يسوعَ المسيح، «ما عتّم أن بدأ ينادي بيسوع» (أع 9: 20). ونحن ماذا ننتظر؟

121- حقّاً، إنّا مدعوّون جميعاً إلى أن ننموَ كمبشّرين بالإنجيل. في الوقت عينه، لنجتهدنَّ فنؤمّنَ تنشئةً فضلى، وتعمقّاً في حبّنا وشهادةً للإنجيل أوضح. بهذا المعنى، علينا أن نرضى بأن يبشّرنا الآخرون بالإنجيل باستمرار؛ لكن هذا لا يعني بأنّا مضطرّون إلى التخلّي عن رسالة التبشير بالإنجيل، بل بالأحرى أنه علينا أن نجدَ أسلوباً لإيصال يسوعَ، يتوافقُ والوضعَ الذي نحن فيه. في كلّ الأحوال، إنّا جميعاً مدعوّون إلى أن نقدّم للآخرين شهادةً جليّةً عن حبّ الربّ الخلاصيّ، الذي يتعدّى نواقصَنا ويُعطينا قُربَه وكلمتَه وقوّتَه ومعنىً لحياتنا. قلبكَ يعرف أن الحياة ليست هي نفسُها بدون الربّ، حينئذٍ، ما تكتشفُه، ما يساعدُك على الحياة، ما يبثُّك رجاءً، هذا هو ما عليك أن توصله إلى الآخرين. نقصانُنا يجب ألاّ يشكل عذراً؛ بل بالعكس، الرسالةُ هي حافزٌ دائمٌ لئلاّ نستقرَّ في الحقارة، بل لنتابع النموّ. شهادةُ الإيمان التي يُدعى كلُّ مسيحيّ إلى إعطائها تتطلّب التأكيدَ على غرار القديس بولس: «لا أعني أنّي قد أصبتُ الهدف، أو بلغتُ إلى الكمال. إنما أواصل السعيَ [...] ساعياً نحو الأمد» (في 3: 12، 14).

قدرة التقوى الشعبيّة على التبشير بالإنجيل

122- هكذا، يمكن أن نفكّر أن الشعوبَ المختلفةَ حيث انتقفَ الإنجيلُ تؤلّفُ عناصرَ جماعيّةً ناشطةً تعمل على التبشير

بالإنجيل. نتأكد من ذلك لأن كلَّ شعب هو خالقُ ثقافتِه ورائدُ تاريخها. الثقافةُ هي شيءٌ ديناميكيٌّ، يُعيدُ الشعبُ خلقَه باستمرار، وكلُّ جيل ينقل إلى الجيل التالي مجموعةً من التصرّفات المتعلّقة بالأوضاع الوجوديّة المختلفة. عليه أن يطوّرها من جديد إزاءَ ما يواجه من تحدّياتٍ خاصّة. الكائنُ البشريُّ «هو على السواء ابنُ الثقافة الغائصِ فيها وأبوها» [٩٧]. عندما يتبنّى شعبٌ ثقافةَ الإنجيل، في مسار تناقلها الثقافيّ، ينقل ايضاً الإيمانَ بطرقٍ دائمةِ التجدّد؛ من هنا، أهميّةُ التبشير بالإنجيل بمفهومه انتقافاً. كلُّ قسيمةٍ من شعب الله، عندما تعبّر في حياتها عن عطيّة الله، وفقاً لعبقريّتها الخاصّة، تشهدُ للإيمان الممنوح وتُغنيه بتعابيرَ جديدةٍ بليغة. يمكن أن نقول إن «الشعبَ يبشّر ذاتَه بالإنجيل على الدوام» [٩٨]. من هنا أيضاً، أهميّةُ التقوى الشعبيّة الخاصّة، تعبيراً أصيلاً للعمل الإرساليّ العفويّ الذي

[٩٧] يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامة **«الإيمان والعقل»** (14 أيلول 1998)، الرقم 71: أ ك ر (*AAS*) 91 (1999)، 60.

[٩٨] المؤتمر العامُّ الثالث لمجلس أساقفة أميركا اللاتينيّة والكاراييب: **وثيقة بويبلا** (23 آذار 1979)، الرقم 450؛ را المؤتمر العامّ الخامس لمجلس أساقفة أميركا اللاتينيّة والكاريبي: **وثيقة أباريسيدا** (29 حزيران 2007)، الرقم 264

يقوم به شعب الله. إنها لحقيقةٌ في تطوّر دائم حيثُ الروحُ القدُسُ هو الفاعلُ الأول[٩٩].

123– في التقوى الشعبيّة، يمكن أن نفهم كيف انثقف الإيمانُ المقبول في ثقافة وكيف يواصل التناقل. بعد أن نُظر إليها بريبة بعضَ الوقت، أصبحت موضوعَ إعادة تقويم في العقود التابعة للمجتمع. فكان أن أعطاها بولسُ السادسُ في الإرشاد الرسوليّ «**التبشير بالإنجيل**» الدفعَ الحاسمَ في هذا الاتجاه. ففيه يشرحُ أن التقوى الشعبيّة «تعبّر عن عطشٍ إلى الله لا يمكن أن يعرفه إلاّ البسطاءُ والفقراء»[١٠٠]، وأنها «تمكّن من السخاء والتضحية حتى البطولة عندما يقوم الأمرُ على إعلان الإيمان» [١٠١]. وأقربُ منّا، أشار بندكتوس السادس عشر، في أميركا اللاتينيّة، إلى أنّ تلك التقوى «هي كنزُ الكنيسة الكاثوليكيّة الثمين»، وأن فيها «تظهر نفسُ شعوب أميركا اللاتينيّة»[١٠٢].

[٩٩] را يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ«**الكنيسة في آسية**» (6 تشرين الثاني 1999)، الرقم 21: أ ك ر (*AAS*) 92 (2000)، 482–484.

[١٠٠] الرقم 48: أ ك ر (*AAS*) 68 (1976)، 38.

[١٠١] **المرجع نفسه.**

[١٠٢] خطاب في أثناء الجلسة الافتتاحيّة للمؤتمر العامّ الخامس لمجلس أساقفة أميركا اللاتينيّة والكاراييب (13 أيّار 2007)، الرقم 1: أ ك ر (*AAS*) 99 (2007)، 446–447.

124– ورد في **وثيقة أباريسيدا** وصفٌ للثروات التي يُفيضها الروحُ القدسُ في التقوى الشعبيّة بمبادراته المجانيّة. في تلك القارة الحبيبة، حيث عددٌ كبيرٌ من المسيحيّين يعبّرون عن إيمانهم من خلال التقوى الشعبيّة، يسمّيها الأساقفة أيضاً «الروحانيّة الشعبيّة» أو «الصوفيّة الشعبيّة» [١٠٣]. إنها «روحانيّةٌ حقيقيةٌ متجسّدةٌ في ثقافة البسطاء» [١٠٤]. وهي ليست فارغةً من فحوى، لكنها تعلنها وتعبّر عنها بطريقة رمزيّة أكثر منها باستخدام العقل الآليّ؛ وفي فعل الإيمان تركّز أكثرَ على **الإيمان بالله** منه على **الإيمان بما يقول الله** [١٠٥]. «إنها طريقةٌ شرعيّةٌ لعيش الإيمان وأسلوبٌ للشعور بالانتماءِ إلى الكنيسة والإحساسِ بأنَّ المرءَ مرسلٌ» [١٠٦]؛ إنها تحمل في كيانها نعمةَ الرسالة، والخروجِ من الذات والسَّيرِ في طريق الحجّ: «السَّيرُ معاً إلى أمكنة العبادة، والاشتراكُ في تظاهرات التقوى الشعبيّة الأخرى، واصطحابُ الأولاد أيضاً أو دعوةُ أشخاصٍ آخرين، هي بحدّ

[١٠٣] المؤتمر العام الخامس لمجلس أساقفة أميركا اللاتينيّة والكاراييب: **وثيقة أباريسيدا** (29 حزيران 2007)، الرقم 262.

[١٠٤] **المرجع نفسه**، الرقم 263.

[١٠٥] را القديس توما الأكويني: **الخلاصة اللاهوتيّة**، II-II, q. 2, a.2 (*credere in Deum* que *credere Deum = croire en Dieu* que *croire Dieu*).

[١٠٦] **وثيقة أباريسيدا**، **المرجع نفسه**، الرقم 264.

ذاتها عملُ تبشير بالإنجيل»[١٠٧]. لا نكبتنَّ هذه القوّة الإرساليّة ولا ندَّعينَّ السيطرة عليها!

125– لفهم هذا الواقع يجب التقرّبُ منه بنظرة الراعي الصالح الذي لا يسعى ليدينَ بل ليُحبَّ. لا نستطيع أن نقدّر الحياةَ اللاهوتيّة الكامنةَ في تقوى الشعوب المسيحيّة، وبالأخصّ الفقراء، إلاّ انطلاقاً من تطبّع عاطفيّ يولّده الحبّ. أفكّر بإيمانِ أولئك الأمّهاتِ الراسخ، عند سرير ولدهنّ المريض، المتمرّسات بتلاوة الورديّة، بينما هنَّ لا يعرفنَ أن يتلفّظنَ بكلماتِ قانون الإيمان؛ أو بكلّ تلك الأعمال المتّقلة رجاءً يعبَّر عنها بشمعةٍ تُضاءُ في كوخ وضيع طلباً لمساعدة مريم، أو تلك النظرات إلى المسيح المصلوب المملؤة حبّاً عميقاً. من يحبُّ الشعبَ القدّيس المؤمن بالله لا يمكنه أن ينظر إلى هذه الأعمال وكأنها فقط بحثٌ طبيعيٌّ عن الألوهة. إنها تعبيرات حياةٍ لاهوتيّة يُنعشها عملُ الروح القدس الذي أفيض في قلوبنا (را رو 5: 5).

126– توجد في التقوى الشعبيّة، بما أنها ثمرة الإنجيل المنثقف، قوّةٌ ناشطة للتبشير بالإنجيل، لا يمكننا أن نستخفَّ بها: فكأننا نتنكّر لعملِ الروح القدس. إنّا بالأحرى مدعوّون إلى أن نشجّعها ونقوّيَها كي نعمّق مسارَ الانثقاف الذي هو واقعٌ لا يكتمل أبداً.

[١٠٧] **المرجع نفسه.**

علينا أن نتعلّم الكثير من تعابير التقوى الشعبيّة، ولمن يَعرفُ أن يقرأها، إنها **موقعٌ لاهوتيّ** علينا أن نعيره اهتمامنا، بالأخصّ عندما نفكّر بالتبشير الجديد بالإنجيل.

من شخصٍ إلى شخص

127- الآن، فيما الكنيسة تريد أن تحيا تجدّداً إرساليّاً عميقاً، هناك نوعٌ من الوعظ عُهد به إلينا كمهمّة يوميّة. هي أن نحمل الإنجيل إلى الأشخاص الذين على كلِّ فردٍ أن يتعامل معهم، أكان الأقربون أم المجهولون. إنه الوعظُ اللاشكليُّ الممكنُ تحقيقُه خلال محادثة، وأيضاً ذلك الذي يقوم به مرسلٌ عندما يزورُ بيتاً. أن يكون المرءُ تلميذاً، على استعدادٍ دائمٍ لحمل حبٍّ يسوع إلى الآخرين، وهذا يتمُّ عفويّاً في كلِّ مكان: في الشارع، في الساحة، في العمل، في الطريق.

128- في هذا الوعظ، المحترمِ دائماً والمحبّ، تتألّف الفترة الأولى من حوار شخصيّ، حيث الشخصُ الآخر يتكلّم ويتقاسم أفراحه ورجاءَه واهتماماتِه بالأشخاص الأعزّاءِ على قلبه، وأشياءَ أخرى كثيرة يحملها في قلبه. بعد هذه المحادثة فقط يمكن تقديم الكلمة، إمّا بقراءَة مقطع من الكتاب المقدّس أو سَرداً، لكن دائماً بالتذكير بالبشرى الأساسيّة: محبّة الله الشخصيّة، هو الذي صار إنساناً وبذل ذاته من أجلنا، والذي، وهو حيٌّ، يمنح خلاصه وصداقته. إنها البشرى نتقاسمها في وضعِ شهادةٍ متواضع، وضعِ

من يعرف دائماً أن يتعلّم، مع الوعي بأن الرسالة هي من الغنى والعمق بحيث إنها تفوقنا دائماً. ويعبَّر عنها أحياناً بطريقة مباشرة، وأحياناً أخرى من خلال شهادةٍ شخصيّة، رواية، حركة أو الشكل الذي يُحدثه الروحُ القدسُ نفسُه في ظرفٍ ملموس. وإذا تبيّن من باب الفطنة وإذا تضافرت الشروط، يحسن أن يُختتم ذلك اللقاءُ الأخويّ والإرساليّ بصلاةٍ مقتضبة تتلاقى والاهتماماتِ التي أفصح عنها الشخص. وهكذا، يشعر بأنه أُصغيَ إليه وفُهم، وأن وضعَه عُهد به إلى يدَي الله، ولسوف يعترف بأن كلمة الله تتحدّث حقّاً لكيانه الخاصّ.

129- يجب ألاّ نفكر أن إعلانَ البشرى الإنجيليّة يجب أن يَتناقلَ دائماً بواسطة صيَغ محدّدةٍ لا تتبدّل، أو بكلماتٍ دقيقةٍ تعبِّر عن محتوًى لا يتغيَّر مطلقاً. البشرى تُنقل تحت أشكالٍ متنوّعة جدّاً من غير الممكن وصفُها أو تصنيفُها، والقائمُ بذلك جماعيّاً هو شعبُ الله، من خلال حركاته وإشاراته التي لا تحصى. وبالتالي، إذا كان الإنجيل قد تجسّد في ثقافة، فلا يتناقله فقط الإعلان من شخصٍ إلى شخص. هذا ما يحملنا على التفكير بأنه في البلدان حيثُ المسيحيّة تشكّل أقليّة، على الكنائس الخاصّة، علاوةً على تشجيعها كلَّ معمَّد على إعلان الإنجيل، أن تطوّر بنشاطٍ أشكالاً من الانثقاف، على الأقلّ أوليّة. ما يجب أن نصبوَ إليه، في النهاية، هو أن التبشيرَ بالإنجيل المعبَّرَ عنه بفئاتٍ خاصّةٍ بالثقافة حيث يُعلن، يُثيرُ حصيلةً جديدة (*synthèse*) مع تلك الثقافة. إذا

تركنا الشكوك والخوف تخنق كلَّ جرأة، فمن الممكن أنه بدلاً من أن نكون خلاّقين، سوف نستسلم للسكينة دون أن نحرز أيّ تقدّم؛ وفي هذه الحال، لن نشارك في المسارات التاريخيّة بتعاوننا، بل سنشهد فقط ركود الكنيسة العقيم.

المواهب (الكاريزم) في خدمة شراكة التبشير بالإنجيل

130- إن الروحَ القدسَ يُغني الكنيسة كلَّها المبشِّرة بالإنجيل أيضاً بمواهبَ متنوّعة. إنها عطايا لتجديد الكنيسة وبنائها [108]. وهي ليست ميراثاً مغلَقاً، عُهد به إلى جماعة كي تحافظ عليه؛ إنها بالأحرى هدايا الروح مندمجةٌ في الجسم الكنسيّ، تُجذب إلى المحور الذي هو المسيح، ومنه تنطلق في دفعٍ تبشيريّ بالإنجيل. العلامة الواضحة لأصالة الموهبة (الكاريزم) هو كنسيّتُها، هو قدرتها على الاندماج بتناسقٍ في حياة شعب الله المقدّس، لخير الجميع. إن هبةً جديدةً حقيقيّة يثيرها الروحُ القدس ليست بحاجة إلى أن تثير الشُّبهة حول الروحانيّات الأخرى والمواهب كي تترسّخ هي. بقدر ما توجّه الموهبة نظرها إلى قلب الإنجيل، بقدر ذلك تكون ممارستُها كنسيّة. ولئن كلّف ذلك، ففي الشراكة تبدو الموهبةُ مخصبةً حقيقةً وسرّيّاً. فإذا

[108] را الدستور المجمعيّ العقيديّ الكنيسة «**نور الأمم**»، الرقم 12.

عاشت الكنيسة هذا التحدّي، يمكن أن تكون مثالاً للسلام في العالم.

131- الاختلافاتُ بين الأشخاص والجماعات، غالباً ما تكون غيرَ مُريحة، لكنّ الروحَ القدسَ الذي يثير هذا التمايز يمكنه أن يستخلص من الكلّ شيئاً جيّداً ويحوّله إلى ديناميّة تبشيريّة بالإنجيل تعمل بالانجذاب. التمايز يجب دائماً أن يتآلف بمساعدة الروح القدس؛ هو وحدَه يستطيعُ أن يُحدث الاختلاف والتعدّديّة والكثرة، وفي الوقت عينه يحقّق الوحدة. بالعكس، عندما ندّعي أنّا نحن التمايزُ فننغلق في خواصّنا، في استبدادنا بالرأي، نسبّب الانقسام؛ من جهة أخرى، عندما نريد أن نبني الوحدة بمخططاتنا البشريّة، يؤول بنا الأمر إلى فرض التشابه والتماثل. وهذا ما لا يساعد رسالة الكنيسة.

أولاً: ثقافة، فرٌ وتربية

132- إعلان الثقافة يفرض أيضاً إعلان الثقافات المهنية والعلميّة والأكاديميّة. إنه اللقاءُ بين الإيمان والعقل والعلوم يهدف إلى تطوير خطاب جديد حول المصداقيّة، إلى دفاعٍ عن الدين مبتكر[١٠٩]، يساعد على خلق استعداداتٍ تحمل الجميعَ على الإصغاءِ للإنجيل. عندما تُقبَلُ فئاتُ الفكر والعلوم في إعلان

[١٠٩] را **الاقتراح** 17.

الرسالة، تصبح هي نفسُها أدواتِ تبشير بالإنجيل؛ إنه الماءُ حُوّل خمراً. فهذا الذي يُتبنّى مرّة، ليس فقط يُفتدى، بل يصبح أداةَ الروح لإنارة العالم وتجديده.

133- بما أنه لا يكفي اهتمامُ المبشّر بالإنجيل اللحاقَ بكلِّ شخص، وبما أنه يجب أن يُعلن الإنجيلُ للثقافات في مجملها، فاللاهوتُ – وليس اللاهوتُ الراعويُّ فقط – المحاوِرُ العلومَ الأخرى والاختباراتِ البشريّة يتّشح بأهميّةٍ عظمى كي يفكّر كيف يبلّغ اقتراحَ الإنجيل إلى تنوّع القرائن الثقافيّة وإلى الموجَّه إليهم[110]. إن الكنيسة الملتزمةَ التبشيرَ بالإنجيل تقدّر وتشجّع موهبةَ اللاهوتيّين وجُهدَهم في البحث اللاهوتيّ الذي يعزّز الحوار مع عالم الثقافة والعلم. أدعو اللاهوتيّين إلى أن يتمّوا تلك الخدمة، بصفتها جزءاً من رسالة الكنيسة الخلاصيّة. لكنه من الضروريّ، لأجل هذه الغاية، أن يهتمّوا برسالة تبشير الكنيسة بالإنجيل وباللاهوت نفسه، وألاّ يكتفوا بلاهوتٍ بيروقراطيّ.

134- الجماعاتُ هي المكانُ المفضّل للتفكير بالتزام التبشير بالإنجيل هذا وبتطويره بطريقة متوزّعة على سائر الأنظمة ومندمجة. المدارسُ الكاثوليكيّة التي تقترح دائماً أن توافق بين

[110] را **الاقتراح** 30.

المهمّة التعليميّة وإعلان الإنجيل الصريح، تشكّل إسهاماً قيّماً في تبشير الثقافة بالإنجيل، حتى في البلدان والمدن حيث الوضعُ غيرُ الملائم يشجّعنا على أن نبرهن عن ابتكارنا كي نجد سبلاً مناسبة[111].

ثانياً: العظة

135- لننظر الآن في الوعظ في أثناء الليترجيّا الذي يتطلّب تقويماً جديّاً من قبل الرعاة. سوف أتوقّف بالأخص، ومع بعض العناية، عند العظة وتهيئتها، لأنْ كثيرةٌ هي الاعتراضاتُ بشأن هذه الخدمة العظمى، ولا يمكننا أن نتصامَّ عنها. العظةُ هي المِحكُّ لتقويم قُرب الراعي من شعبه والقدرةِ على لقائه. في الواقع، نعرف أن المؤمنين يولونها أهميّة كبرى؛ وهؤلاء، كما الخدَمة المرسومون أنفسهم، غالباً ما يتألمون، البعضُ من السماع، والآخرون من الوعظ. إنه لتعيسٌ أن يكون الأمرُ كذلك. يمكن أن تكون العظة حقّاً اختباراً للروح شديداً وسعيداً، لقاءً مع الكلمة منشّطاً، ينبوعاً للتجدّد والنموّ دائماً.

136- لنجدّدنَّ ثقتَنا في الوعظ، المؤسَّسةَ على القناعة بأن الله يريد أن يبلغ إلى الآخرين من خلال الواعظ، وأنه يبسط قدرته من خلال الكلام البشريّ. يشدّد القديس بولس في كلامه عن

[111] را **الاقتراح** 27.

ضرورة الوعظ، لأن الربَّ أراد أيضاً أن يُدرك الآخرين بكلامنا (را رو 10: 14–17). بالكلمة اكتسب الربُّ قلوب الناس. كانوا يأتوه من كلِّ مكانٍ ليستمعوه (را مر 1: 45). كانوا يتعجّبون "مرتوين" من تعاليمه (را مر 6: 2). كانوا يشعرون أنه يكلّمهم كمن له سلطان (را مر 1: 27). بالكلمة، اجتذب الرسلُ الذين أقامهم «ليصحبوه ويرسلَهم مبشّرين» (مر 3: 14) جميعَ الشعوب إلى حضن الكنيسة (را مر16: 15، 20).

الإطار الليترجيّ

137– علينا أن نتذكّر الآن أن «الإعلانَ الليترجيّ لكلام الله، بالأخصّ في إطار الجماعة الإفخارستيّة ليس وقتَ تأمّلٍ وتلقينٍ للتعليم المسيحيّ بقدر ما هو حوارُ الله مع شعبه، حوارٌ تُعلَنُ فيه عظائمُ الخلاص وتُعرَضُ باستمرارٍ متطلّبات العهد» [112]. للعظة قيمةٌ خاصّة تنجم عن إطارها الإفخارستيّ، وتفوق كلَّ تلقينٍ للتعليم المسيحيّ، لأنها الوقتُ الأسمى للحوار بين الله وشعبه، قبل المناولة الأسراريّة. العظةُ تعاود ذاك الحوار الذي سبق وبوشر به بين الربّ وشعبه. على الواعظ أن يميّز قلبَ جماعته كي

[112] يوحنا بولس الثاني: الرسالة «**يوم الربّ**» (31 أيّار 1998)، الرقم 41: أ ك ر (*AAS*) 90 (1998)، 738–739.

يبحث أين هي حيّةٌ وحارّةٌ الرغبةُ في الله، وأيضاً أين هو ذاك الحوار، الذي كان حبيّاً، فخُنق ولم يستطعْ أن يأتي بثمر.

138- لا يمكن أن تكون العظةُ مشهدَ تسلية، وأن تستجيب لمنطق الوسائل الإعلاميّة، بل يجب أن تولّد حرارةً ومعنىً للاحتفال. إنها نوعٌ خاصٌّ، بما أنها وعظٌ في إطار احتفالٍ **ليترجيّ**؛ بالتالي، يجب أن تكون مقتضبةً وتتحاشى التشبّهَ بمحاضرةٍ أو بدرسٍ. الواعظ قادرٌ على أن يستقطب اهتمام الناس على مدى ساعة، لكن حينئذٍ يصبح كلامُه أهمَّ من الاحتفال الإيمانيّ. إذا تمادت العظة طويلاً، فهي تسيءُ إلى ميزتين من الاحتفال الليترجيّ: التناسق بين أقسامه وإيقاعه. عندما يتمُّ الوعظ في الإطار الليترجيّ، يندمج فيه كقسم من التقدمة المرفوعة إلى الآب، وكوساطة النعمة التي يفيضها المسيحُ في الاحتفال. ويتطلّب ذلك الإطارُ نفسُه أن يوجّه الوعظُ الجماعةَ، والواعظَ أيضاً، إلى شراكة مع المسيح في الإفخارستيّا تبدّلُ الحياة. وهذا يتطلبُ ألاّ يحتلَّ كلامُ الواعظ مكاناً مفرطاً، بحيث يتسنّى أن يلمعَ الربُّ أكثرَ من الخادم.

محادثة أمٍّ

139- قلنا إن شعبَ الله، بفعل الروح الدائم فيه، يؤمّن باستمرارٍ تبشير ذاته بالإنجيل. ماذا يفرض هذا الاقتناعُ على الواعظ؟ إنه يذكّرنا أن الكنيسة أمٌّ، وأنها تعظ الشعبَ كأمّ تتحدث إلى ابنها، مع

العلم بأن الولد يثق ملءَ الثقة بأن كلَّ ما تعلّمه إياه سوف يعودُ عليه بالخير لأنه يَعرفُ أنه محبوب. علاوةً على ذلك، تعرفُ الأمُّ أن تميّز كلَّ ما بذرَه الله عند ابنها، وتصغي إلى اهتماماته وتتعلّم منه. روحُ الحبّ الذي يسود الأُسرةَ يقودُ الأمَّ بقدر ما يقودُ الابنَ في حوارهما، حيث يُعلِّمُ ويُتعلَّم، حيث تُصلَحُ الذاتُ وتقدَّرُ الأشياءُ الجيّدة. وهذا ما يحصل ايضاً في العظة. الروحُ الذي أوحى الأناجيلَ والذي يعمل في شعب الله، يُلهم أيضاً كيف يجب أن يُصغى إلى إيمان الشعب، وكيف يجب أن يوعظ في كلِّ إفخارستيّا. يجد الوعظُ المسيحيُّ، إذاً، في صُلب ثقافة الشعب ينبوعَ ماءٍ حيّ، أكان ليعرف ما يجب أن يقول أم ليجد الطريقة الملائمة ليقوله. وكما نحبّ أن يُتحدَّث إلينا بلغتنا الأمّ، كذلك أيضاً، في الإيمان، نحبّ أن يُتحدَّث إلينا بالفاظ "الثقافة الأمّ"، بألفاظ اللهجة الأمّ (را 2M, 21, 27)، فيتحضّر القلبُ لحسن الإصغاء. هذه اللغة نغَمٌ ينقلُ الشجاعةَ والتنفّسَ والقوّةَ والاندفاع.

140– يجب أن يعزّز وينشّأ هذا المحيط الأموميُّ والكنسيُّ حيث يُنمَّى حوارُ الربّ مع شعبه، بفضل قُرب قلبِ الواعظ وحرارةِ نبرةِ صوته ونعومةِ أسلوب عباراته وفرح حركاته. حتى في الأحوال التي تكون فيها العظةُ بعضَ الشيء مملّة، إذا استُشعر بهذه الروح الأموميّة والكنسيّة، لا بدَّ أن تكون دائماً مخصبة، مثلما نصائحُ الأمّ المملّة تؤتي ثمراً، مع الوقت، في قلوب أبنائها.

141- إنَّا لنعجبُ من الوسائل التي يستخدمُها الربُّ ليتحاور مع شعبه، ويكشف سرَّه للجميع، ويأسُرَ الناس البسطاءَ بتعاليمَ رفيعةٍ ومتطلِّبة إلى حدٍّ ما. أظنُّ أن السرَّ كامنٌ في نظرة يسوعَ إلى الشعب، إلى ما أبعدَ من أوهانه وسقطاته: «لا تخَفْ أيها القطيعُ الصغير، فإنه قد حسن عند أبيكم أن يُعطيَكم الملكوت» (لو 12: 32)؛ يسوعُ يعظ مملوءاً بهذا الروح. إنه يبارك الآب، وقد امتلأ فرحاً بالروح، لأنه يجب الأصاغر: «أحمدُك، ايها الآبُ، ربَّ السماء والأرض، لأنك حجبتَ ذلك عن الحكماء وأهل الذكاء وكشفته للأطفال» (لو 10: 21). يطيبُ للربّ حقّاً أن يتحاور وشعبَه، وعلى الواعظ أن يجعلَ الناس يشعرون ببهجة الربِّ هذه.

عباراتٌ تلهب القلوب

142- الحوارُ هو أكثرُ من إيصال حقيقة. إنّه يتحقّقُ بواسطة تذوّق الكلام والخيرِ الملموس الذي يتناقله المحبّون من خلال العبارات. إنه خيرٌ لا يتألّف من أشياء، بل في الأشخاص أنفسهم الذين يتبادلون العطاءَ في الحوار. الوعظُ الأخلاقيُّ الصرفُ أو الملقِّنُ العقائد، وكذلك ذاك الذي يتحوّل إلى درسِ تفسير، يقلّص هذا التواصلَ بين القلوب الحاصلَ في العظة والواجبَ أن يتّسم بطابع شبه أسراريّ: «فالإيمان، إذاً، من البشارة؛ والبشارةُ بأمرٍ من المسيح» (رو 10: 17). في العظة، ترافق الحقيقةُ الجمالَ والخير. كي يبلُغَ جمالُ الصورَ التي يستخدمها الربُّ كي

يستحثّ على ممارسة الخير، يجب ألاّ يُلجأ إلى حقائقَ مبهمةٍ أو إلى تعابيرَ قياسيّةٍ عديمةِ التأثير. يجب أن تبقى ذاكرة الشعب الأمين، مثل ذاكرة مريم، طافحةً بعظائم الله. إن قلبَه المنفتحَ على رجاءِ ممارسةٍ مرحَةٍ وممكنةٍ للحبّ الذي بُشِّر به، يشعر بأن كلّ كلمة من الكتاب المقدّس هي قبل كلّ شيء عطيّةٌ، قبل أن تكون تطلّباً.

143- يقوم تحدّي الوعظ المنثقف على نقل حصيلة (*synthèse*) رسالة البشرى الإنجيليّة، لا على نقل أفكارٍ أو قيَم غيرِ مترابطة. فحيثُ تكون حصيلتُك هناك يكون قلبكَ. الفرقُ بين إلقاء الضوء على الحصيلة وإلقاءِ الضوء على أفكارٍ غير مترابطة هو الفرقُ نفسُه الموجودُ بين الضَجر وحرارة القلب. عُهدت إلى الواعظ المهمّةُ الجميلةُ والصعبةُ جدّاً بأن يجمع القلوبَ المتحابّة: قلبَ الربّ وقلوبَ شعبه. الحوارُ بين الله وشعبه يزيد في تقوية العهد القائم بينهما ويشدُّ أواصر رباط المحبّة. في أثناء إلقاء العظة، تسكت قلوبُ المؤمنين وتدعُه هو يكلّمهم. الربُّ وشعبُه يتبادلان الكلام بألف طريقة، مباشرةً وبدون وسطاء. إلاّ أنه في العظة، يريدون أن يقومَ شخصٌ بدور الآلة ويعبّرَ عن عواطفهم، بحيث إنه، في ما بعد، يستطيع كلُّ واحد أن يختار كيف يتابع حديثه. الكلامُ، بجوهره، وسيطٌ ويفترض ليس فقط محاورَين، بل أيضاً واعظاً يعيد عرضه كما هو،

مقتنعاً «بأنّا لا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوعَ الربّ. أمّا نحن فعبيدٌ لكم من أجل يسوع» (2 كو 4: 5).

144- الكلام من صميم القلب يفترض ليس فقط أن نحفظه حارّاً، بل أيضاً أن ينيرَه كمالُ الوحي والسبيلُ الذي اجتازته تلك الكلمة في قلب الكنيسة وقلب شعبنا الأمين، على مدى التاريخ. الهويّةُ المسيحيّة التي هي المعانقةُ التي عانقنا بها الآب بالمعموديّة عندما كنّا أطفالاً، تجعلنا نتوق بحرارة، كأبناءٍ ضالّين – ومفضّلين بمريم – إلى المعانقة الأخرى، معانقةِ الآب الرحيم الذي ينتظرنا في المجد. مهمّةُ الكارز بالإنجيل الصعبةُ ولكن الجميلة هي أن يعمل بحيث يشعر شعبنا وكأنه بين هاتين المعانقتين.

ثالثاً: تهيئة الوعظ

145- تهيئةُ الوعظ هي واجبٌ مهمٌّ إلى حدٍّ أنه من اللائق أن يكرَّس لها وقتٌ طويلٌ من الدراسة والصلاة والتأمل والإبداع الراعويّ. بكثيرٍ من المودّة، أرغب في أن أتوقّف لاقتراح مسار تهيئة العظة. إنها إشاراتٌ يمكن أن تبدوَ للبعض واضحة، لكني أعتبر أنه يجدر اقتراحُها للتذكير بضرورةِ تكريس الوقتِ اللازم لهذه الخدمة الثمينة. غالباً ما يؤكد بعضُ الخوارنة أنَّ التهيئة غيرُ ممكنة لكثرة المهامِّ الواجب القيامُ بها، إلاّ أنّي أجروءُ وأطلب أن يكرَّس، كلَّ أسبوع، لهذه المهمّة وقتٌ شخصيٌّ وجماعيّ مديدٌ بما

فيه الكفاية، حتى إذا اضطرّ الأمرُ إلى اقتصار الوقت عن وظائفَ أخرى، ولو مهمّة. الثقة بالروح القدس العاملِ في الوعظ ليست محضاً سلبيّةً بل عاملةٌ **وخلاّقةٌ**. إنها تفترض أن تقدَّم الذاتُ كأداة (را رو 12: 1)، مع كلّ قدُراتها، كي يُتمكَّن أن يستخدمها الله. الواعظ الذي لا يتهيّأ ليس "روحانيّاً"، إنه قليلُ الاستقامة وغيرُ مسؤولٍ إزاءَ المواهبِ التي مُنِحها.

عبادة الحقيقة

146– بعد استدعاء الروح القدس، تقوم أول خطوةٍ على أن نُعيرَ انتباهَنا كلَّه إلى النصّ البيبليّ الذي يجب أن يكون أساسَ الوعظ. عندما نتوقّف ونسعى لفهم ما هي الرسالة التي يتضمّنها نصٌّ ما، نمارس «عبادة الحقيقة» [113]. تواضعُ القلب هو الذي يعترف بأن الكلمة تسمونا دائماً، وأنّا لسنا «لا أسيادَها، ولا مالكيها، بل إنّا المؤتمنون عليها والمنادون بها وخدّامُها» [114]. موقف الإجلال هذا الوديعُ والمعجَبُ من الكلمة يعبَّر عنه بالتمهّل لدراستها بأعظم اهتمام، ومعالجتها بخوفٍ مقدّس. للتمكن من تفسير نصٍّ بيبلي يلزمُ الصبرُ والتخلّي عن كلّ

[113] بولس السادس: الإرشاد الرسوليّ «**التبشير بالإنجيل**» (8 كانون الأول 1975)، الرقم 78: أ ك ر (*AAS*) 78 (1976)، 71.

[114] **المرجع نفسه.**

انشغالِ بالٍ، وأن يكرِّسُ له الوقت والاهتمام والتفاني **المجّانيّ**. علينا أن ندعَ جانباً كلَّ اهتمام ينقضُّ علينا، للدخول في ميدانٍ آخرَ من الانتباه الصافي. لا داعيَ للتفرّغ لقراءة نصٍّ بيبليّ إذا كنا نودّ الحصول على نتائج سريعة وسهلة ومباشرة. لذلك، تتطلّب تهيئةُ العظة حبّاً. يكرِّسُ وقتٌ مجانيّ وبدون تسرّع فقط للأشياء والأشخاص الذين نحبّهم؛ وهنا، المطلوب أن نحبَّ الله الذي أراد أن **يكلّمنا**. إنطلاقاً من هذا الحبّ، يمكن تكريسُ ما يلزمُ من وقتٍ، متّخذين موقف التلميذ: «تكلّم، يا ربّ، فإن عبدكَ يسمع» (1 صم 3: 9).

147– من الجدير، قبل كلّ شيء، التأكدُ من فهم معنى **الكلمات** التي نقرا، فهماً لائقاً. أريد التشديد على شيءٍ يبدو واضحاً، لكن كثيراً ما لا يؤخذ بالحسبان: يعود النصّ البيبليُّ الذي ندرس إلى ألفين أو ثلاثة آلاف سنة، ولهجة كلامه تتمايز جدّاً عمّا نستخدم اليوم؛ مع أنه يبدو لنا أنّا نفهم الكلماتِ المترجمة إلى لغتنا، فهذا لا يعني أنّا نفهم، على وجهٍ صحيح، ما أراد أن يعبّر عنه الكاتب المقدّس. الوسائلُ المختلفة التي يوفّرها التحليلُ الأدبيّ معروفة: التنبّهُ للكلمات المكرّرة أو البارزة، التعرّفُ على بنية النصّ وديناميّته الخاصّة، التوقّفُ عند المقام الذي يحتلّه الأشخاص، إلخ. لكن، ليس الهدفُ أن نفهم كلَّ تفاصيل النصّ الدقيقة، الأهمُّ هو اكتشافُ ما هي الرسالة **الأساسيّة**، تلك التي تكوّن النصَّ وتعطيه وحدته. إذا لم يبذل الواعظُ هذا الجهد، فمن

الممكن ألاّ يكون لعظته لا وحدةٌ ولا ترتيب؛ فيتكوّن خطابُه فقط من مجموعةِ أفكارٍ مختلفة، لا ترابط بينها، ولن تنجح في استقطاب السامعين. الرسالةُ المحوريّةُ هي تلك التي أراد المؤلّف أن ينقلها، أولَ الأمر، فيتوجّب ليس فقط التعرّفُ على فكرة، بل أيضاً على التأثير الذي أراد المؤلّف أن يحدثه. فإذا كُتب نصٌّ للتعزية، فلا يُستخدَمنّ للتأديب؛ وإذا كُتب للتحريض، فلا يُستخدَمنّ للتعليم؛ وإذا كُتب لتعليم شيء حول الله، فيجب ألاّ يُستخدم لشرح أفكار لاهوتيّة مختلفة؛ وإذا كُتب ليبرّر المديحَ أو المهمّة الإرساليّة، فلا نستخدمَنّه للإعلام عن آخر الأنباء.

148- بالتأكيد، كي نفهم، بطريقةٍ ملائمة، معنى رسالة النص المحوريّة، من الضروريّ أن نصلَه بتعليم الكتاب المقدّس كلّه الذي تناقلته الكنيسة. وهذا هنا مبدأٌ مهمٌّ لتفسير الكتاب المقدّس، يأخذ بالحسبان أن الروحَ القدسَ لم يُلهمْ فقط جزءاً بل الكتابَ المقدّسَ بأكمله، وأنه بالنسبة إلى بعض القضايا، نما الشعبُ في فهمه مشيئة الله، انطلاقاً من الاختبار المعاش. بهذه الطريقة، تُتَحاشى التفسيراتُ الخاطئة أو الجزئيّة، التي تناقض تعاليم أخرى من الكتاب نفسه. لكن، هذا لا يعني إضعافَ اللهجةِ الخاصّة والمميّزةِ النصَّ الواجبَ الوعظ حوله. أحدُ عيوب عظةٍ مملّةٍ ولا جدوى منها هو حقّاً عدمُ القدرة على نقل القوّةِ الملازمةِ النصَّ المعلن.

شخصنةُ الكلمة

149- على الواعظ «أن يُحرز قبلَ كلِّ شيء أُلفةً شخصيّةً عميقة مع كلمة الله. فلا تكفيه معرفتها على صعيد اللغة والتفسير، مع ما في ذلك من ضرورة، بل عليه أن يتقبّل الكلمة بقلبٍ طيّع مفعم بالصلاة، فتتغلغل إلى صميم أفكاره ومشاعره وتخلق فيه روحاً جديداً»[115]. إنه يعود علينا بالخير أن نجدّد كلَّ يوم، كلَّ أحدٍ، ورعَنا بتحضير العظة، وبالتحقّق من النموّ فينا لمحبّة الكلمة التي نكرز. يجب ألاّ ننسى أنّ «درجةَ قداسة الخادم الحقيقيّة "بالأخصّ" لها أثرٌ راهنٌ في طريقة مناداته بالكلمة»[116]. «إنّا نعظ،... لا كمن يبغي رضى الناس، بل رضى الله الذي يختبر قلوبنا»، على حدّ ما يؤكد القديس بولس (1 تس 2: 4). إذا كانت لدينا، نحن أولاً، تلك الرغبة الشديدة في أن نصغي إلى الكلمة التي علينا أن نكرز بها، فإنها ستنتقل، بطريقةٍ أو بأخرى إلى شعب الله: «إنه من فيض القلب يتكلّم الفم» (متى 12: 34). قراءاتُ يوم الأحد سيتردّد صداها، بكلّ روعتها، في قلب الشعب، إذا سبق وتردّد صداها أولاً في قلب الراعي.

[115] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**أعطيكم رعاة**» (25 آذار 1992)، الرقم 26: أ ك ر (*AAS*) 84 (1992)، 698.

[116] **المرجع نفسه**، الرقم 25: أ ك ر (*AAS*) 84 (1992)، 696.

150- كان يسوعُ يغتاظ أمام أولئك المنتحلينَ العلمَ والمعرفة، المتشدّدين إزاءَ غيرهم، الذين كانوا يعلّمون كلمةَ الله، لكنهم لا يدعونَها تنيرُهم: «يحزمون أحمالاً ثقيلةً ويلقونها على مناكب الناس، ويأبَون هم أن يحرّكوها بإحدى أصابعهم» (متى23: 4). والرسول يعقوب كان يحرّض قائلاً: «لا يكن منكم معلّمون كثيرون، يا إخوتي؛ فإنّا بذلك، على ما تعلمون، نجلب علينا دينونةً أقسى» (يع 3: 1). من أراد أن يكرز، عليه أولاً أن يتأهّبَ فيدَعَ الكلمة تؤثّرُ فيه وتتجسّدُ في وجوده الملموس. بهذه الطريقة، تقوم الكرازةُ على ذاك النشاط الكبير والخصيب بأن «ننقل إلى الآخرين ما تأمّلناه»[117]. لأجل ذلك كلّه، قبل أن نهيّىءَ عمليّاً ما سنقوله في الوعظ، يجب أن نقبل بأن تجرحَنا، نحن أولاً، تلك الكلمةُ التي ستجرحُ الآخرين، لأنها كلمةٌ **حيّةٌ وفعّالة**، مثل سيفٍ، «تنفُذ حتى مفرق النفس والروح، والأوصال والمخاخ، وفي وسعها أن تميّزَ خواطرَ القلب ونيّاته» (عب 4: 12). وهذا يتّسم بأهميّة راعويّة. في عصرنا أيضاً، يفضّل الناسُ الإصغاءَ إلى الشهود: «إنهم متعطّشون إلى أصالة [...]. يطالبُ العالم بمبشّرين بالإنجيل يحدّثونه عن إلهٍ يعرفونه ويتردّدون عليه، كأنهم يشاهدون ما لا يرى»[118].

[117] القديس توما الأكوينيّ: **الخلاصة اللاهوتيّة**، II-II, q.188, a.6.

[118] بولس السادس: الإرشاد الرسوليّ «**التبشير بالإنجيل**» (8 كانون الأول 1975)، الرقم 76: أ ك ر (*AAS*) 68 (1976)، 68.

151– لا يُطلبُ منّا بأن نكون أطهاراً، بل بالأحرى في نموٍّ دائم، وأن نحيا الرغبة العميقة في التقدّم على طريق الإنجيل، وعدم اليأس. لا بدَّ من أن يكون الواعظ على يقينٍ من أن الله يحبّه، وأنَّ يسوعَ المسيحَ خلّصه، وأنّ القولَ الفصلَ كان دوماً لحبّه. أمام هذا القَدْر من الجمال، سوف يشعر الواعظ مراراً أنّ حياته لا تشرّفه كفايةً فيتمنّى بصراحةٍ الاستجابةَ بما هو أفضل لمثل هذا الحبّ العظيم. لكن، إذا لم يهدأ ليُصغي إلى الكلمة بانفتاحٍ صريح، إذا لم يسعَ كي تؤثّر في حياته، وتُصلحَه وتستنهضَه، إذا لم يكرّسْ وقتاً للصلاة مع الكلمة، حينئذٍ سوف يكون نبيّاً كاذباً، ونصّاباً ومشعوذاً مترهّلاً. في كلِّ الأحوال، إنطلاقاً من معرفته لفقره ومع الرغبة في مزيدٍ من الالتزام، يمكنه دائماً أن يُعطيَ يسوعَ المسيح، قائلاً مع بطرس: «لا أملك فضةً ولا ذهباً ولكنّي أعطيكَ ما أملك...» (أع 3: 6). يريد الربُّ أن يستخدمنا ككائناتٍ حيّة حرّةٍ وخلاّقة، يسمحون للكلمة بأن تتغلغل فيهم قبل أن يبلّغوها؛ ومن الواجب أن تمرَّ رسالتُه من خلال الواعظ، ليس فقط من خلال العقل، بل باستحواذها على كيانه كلّه. الروحُ القدسُ الذي أوحى الكلمة هو الذي «اليوم كما في أوائل الكنيسة، يعمل في كلِّ واعظٍ يسمحُ بأن يتملّكه ويُسلسَ له القيادة، فيضعُ في فمه العبارات التي ليس بإمكانه وحدَه أن يجدها»[١١٩].

[١١٩] **المرجع نفسه**، الرقم 75: أ ك ر (*AAS*) 68 (1976)، 65.

القراءَة الروحيّة

152- توجد طريقةٌ حسيّةٌ كي نصغي إلى ما يريدُ الربُّ أن يقول في كلمته وندعَ الروحَ يحوّلنا. هذا ما نسمّيه " **القراءة الروحيّة**". إنها تقوم على قراءَة كلمة الله في أثناءِ وقتِ صلاة، كي نسمحَ لها بأن تنيرنا وتجدّدَنا. هذه القراءَة المصلّية البيبليّة ليست منفصلةً عن الدراسة التي يقوم بها الواعظ كي يميّز رسالة النصّ المحوريّة؛ بالعكس، عليه أن ينطلق من هنا كي يسعى لاكتشاف ما تقول **الرسالةُ نفسُها** لحياته. والقراءَةُ الروحيّةُ لنصٍّ ما يجب أن تنطلق من معناه الحرفيّ. وإلاّ يمكن بسهولةٍ أن يقوّلَ النصُّ ما يوافق الواعظ، وما يخدمُ لتأكيد قراراته الشخصيّة، وما يتوافقُ ومخطّطاتِه الذهنيّة الخاصّة. فيكون ذلك، في النهاية، كمن يستخدمُ شيئاً مقدّساً للمنفعة الشخصيّة، ومن ثمّ تنتقل هذه البلبلة إلى شعب الله. لا يغربنّ أبداً عن بالنا «أن الشيطان نفسَه، أحياناً، يتنكّر بملاكِ نور» (2 كو 11: 14).

153- بحضور الله، وفي قراءةٍ للنصّ هادئة، يحسن أن نتساءَل مثلاً: «ربِّ، هذا النصُّ ماذا يقول **لي**؟ ماذا تريد أن تبدّل في حياتي بهذه الرسالة؟ ما الذي يزعجني في هذا النصّ؟ لماذا لا يُثير اهتمامي؟» أو «ما الذي يعجبني في هذه الكلمة وما الذي يغزُني؟ ما الذي يجذبُني؟ ولماذا؟». عندما نسعى للإصغاء إلى الربّ، من الطبيعيّ أن تساورنا التجارب. إحداها هي بكلّ

بساطة الشعورُ بالانزعاج أو الضيق والانغلاقُ على الذات؛ تجربةٌ أخرى مألوفةٌ جدّاً هي البدءُ بالتفكير في ما يقولُ النصُّ للآخرين، لتحاشي تطبيقه على الحياة الخاصّة. ويحدث أيضاً أن نبدأ بالبحث عن أعذارٍ تسمح بإضعاف رسالة نصٍّ معيّنة. مرّاتٍ أخرى، نلحظ أن الله يتطلّب منا قراراً هامّاً جدّاً لسنا بعدُ على استعدادٍ لاتخاذه. فهذا يحمل العديدَ من الأشخاص على فقدان فرح اللقاءِ مع الكلمة. لكن هذا يعني أيضاً السهوَ عن أن لا أحدَ أكثرُ صبراً من الله الآب، وأن لا أحدَ يفهمُ أو يعرفُ أن ينتظرَ مثله. إنه يدعو دائماً إلى أن نخطوَ خُطوةً، لكنه لا يتطلّب جواباً ناجزاً إذا كنّا لم نسلك بعدُ الطريقَ الذي يجعلها ممكنة. إنه يودُّ فقط أن ننظر بصدقٍ إلى وجودنا ونقدّمه بدون تصنّع أمام عينيه، أن نكون مستعدّين لمتابعة نموّنا، وأن نسأله ما لم ننجح بعدُ في الحصول عليه.

الاستماع للشعب

154- على الواعظ أيضاً أن يتفرّغ للاستماع **للشعب**، كي يكتشفَ ما يحتاج المؤمنون إلى سماعه. الواعظ هو متأمّلٌ في الكلمة وأيضاً متأمّلٌ في الشعب. بهذه الطريقة، يكتشف «التطلّعاتِ والثرواتِ والحدود، وأساليبَ الصلاة والحبّ، والنظرَ إلى الحياة والعالم التي تطبع هذه أو تلك المجموعة البشريّة»، آخذاً بالاعتبار «الشعبَ **الحسيَّ** بعلاماته ورموزه، ومجيباً عن

السؤالات التي يطرح» [120]. المقصود هو ربطُ رسالة النصّ البيبليّ بوضعٍ إنسانيّ، بشيءٍ يعيشونه، باختبارٍ يحتاج إلى نور الكلمة. هذا الاهتمامُ لا يتجاوبُ ووضعاً انتهازيّاً أو دبلوماسيّاً، بل إنه دينيٌّ وراعويٌّ إلى حدٍّ كبير. في العمق، هناك «إحساسٌ روحانيٌّ لقراءَة رسالة الله في الأحداث» [121]، وهذا أكثر بكثير من أن نجد شيئاً نقوله يُثيرُ الاهتمام. ما يُسعى لاكتشافه هو «**ما يريد اللهُ أن يقوله** في هذا الظرف» [122]. إذاً، تتحوّل التهيئة للوعظ إلى تمرين **تمييز إنجيليّ**، يُسعى فيه للتعرّف – على ضوءِ الروح – «على نداءٍ يطلقه اللهُ في تضاعيف الحالة التاريخيّة نفسها؛ ففيها وعبرَها يدعو اللهُ المؤمن» [123].

155– في هذا السعي، يمكن اللجوءُ ببساطةٍ إلى بعض الخبراتِ الإنسانيّة المألوفة، مثل فرحِ لقاءٍ جديد وإخفاقاتٍ والخوفِ من العزلة والشفقةِ على وجع القريب، وقلّةِ الاطمئنان أمام المستقبل، وانشغالِ البال على شخصٍ عزيز، إلخ؛ إلاّ أنه يجب التحلّي

[120] **المرجع نفسه**، الرقم 63: أ ك ر (*AAS*) 68 (1976)، 53.

[121] **المرجع نفسه**، 43: أ ك ر (*AAS*) 68 (1976)، 33.

[122] **المرجع نفسه**.

[123] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**أعطيكم رعاة**» (25 آذار 1992)، الرقم 1: أ ك ر (*AAS*) 84 (1992)، 672.

بشعورٍ أعظم لمعرفة ما يُفيد حقّاً حياتهم. نذكّر أن لا ضرورةَ البتة في **الإجابة عن أسئلة لا يطرحُها أحدٌ**؛ كما أنه ليس من الجدير أيضاً تقديمُ وقائعِ الأحداث لإثارة الاهتمام: فهناك لذلك البرامجُ التلفزيونيّة. غير أنه من الممكن الانطلاقُ من حدثٍ كي يُستطاعَ أن يتردّد صدى الكلمة بقوةٍ، بدعوتها إلى التوبة والسجود وإلى مواقفَ حسيّةٍ من الأخوّة والخدمة، إلخ، بما أن بعضَ الأشخاص يحبّون أحياناً أن يسمعوا في الوعظ تعليقاتٍ على الواقع، لكن دون أن ندعَ أنفسنا نُستجوبُ شخصيّاً.

أدواتٌ تربويّة

156– يَظنُّ البعضُ أنه يمكنهم أن يكونوا وعّاظاً جيّدين لأنهم يعرفون ما عليهم أن يقولوا، لكن يُهملون **كيف** يقولونه، أي الطريقةَ العمليّةَ للتوسّع في الوعظ. إنهم يغتاظون عندما الآخرون لا يُصغون إليهم أو لا يقدّرونهم؛ لكن لربّما لم يكترثوا هم للسعي في البحث عن تقديم الرسالة بالطريقة الملائمة.
لنتذكرنَّ «أنَّ الأهميّة البديهيّة لمضمون التبشير بالإنجيل يجب ألاّ تُخفيَ أهميّةَ السبل والوسائل» [١٢٤]. الاهتمامُ بأساليب الوعظ هو أيضاً موقفٌ روحانيٌّ بامتياز. إنه يعني التجاوبَ مع حبّ

[١٢٤] بولس السادس: الإرشاد الرسوليّ «**التبشير بالإنجيل**» (8 كانون الأول 1975)، الرقم 40: أ ك ر (*AAS*) 68 (1976)، 31.

الله، بالتفاني، بكلِّ قدراتنا وإبداعنا، للرسالة التي يَعهدُ بها إلينا؛ إنه أيضاً ممارسةُ حبٍّ لطيفٍ للقريب، لأنّا لا نريد أن نقدّم للآخرين شيئاً رديءَ النوعيّة. نجد في الكتاب المقدّس، مثلاً، توصيةً بإعداد الوعظ كي يؤمَّن له القدْرُ الصحيح: «إختصر خطابك. قُلِ الكثيرَ بما قلَّ من الكلام» (سي 32: 8).

157- على سبيل المثال فقط، لنذكّرنّ ببعض الوسائل العمليّة الممكنِ أن تُغنيَ الوعظَ وتجعله أكثر جاذبيّةً. أحدُ الجهودِ الأكثرِ ضرورةً هو التعلّم على استخدام صورٍ في الوعظ، اي التكلّم مع صوَر. تُستخدَم أحياناً أمثالٌ لتسهيل فهم شيءٍ ما يُوَدُّ شرحُه، لكن غالباً ما تتوجّه تلك الأمثال إلى الفكر؛ الصوَرُ، بالعكس، تساعد على تقدير الرسالة التي يُرغَب في نقلها وعلى قبولها. الصورة الجذّابة تجعل المرءَ يشعر وكأنّ الرسالة شيءٌ أليفٌ وقريبٌ وممكنٌ ومرتبطٌ بحياته الخاصّة. الصورة الملائمة يمكن أن تحمل على تذوّق الرسالة التي يُرغب في نقلها، وتوقظ الرغبة وتحفّز الإرادة باتجاه الإنجيل. وعلى حدّ ما كان يقول لي معلّم قديم، العظة الناجحة يجب أن تحتوي على "فكرةٍ وشعورٍ وصورةٍ".

158- وكان بولس السادس يقول إن المؤمنين «ينتظرون الكثير من هذا الوعظ، وفي الواقع، يحصلون منه على ثمارٍ وافرة،

شرط أن يكون بسيطاً وواضحاً ومباشراً وملائماً» [١٢٥]. البساطةُ تعود إلى اللغة المستعملة. يجب أن تكون اللغةَ التي يفهمها سامعوها، لئلا يتعرّض لمجازفة الحديث في الفراغ. غالباً ما يحدث أن الوعّاظ يستخدمون كلماتٍ تعلّموها على مقاعد الدراسة وفي أوساطٍ معيّنة، لكنها لا صلةَ لها باللغة العامة التي يتداولها الأشخاص الذين يستمعون إليهم. إنها كلماتٌ خاصّة باللاهوت أو بالتعليم المسيحيّ، لا يفهم معناها أغلبُ المسيحيّين. المجازفة الكبرى التي يقع فيها واعظٌ هي أن يتعوّد على لغته الخاصة، ظنّاً منه أن الآخرين يستخدمونها ويفهمونها تلقائيّاً. إذا ما أردنا التكيّف مع لغة الآخرين للبلوغ إليهم بالكلمة، يجبُ الإصغاءُ كثيراً وتقاسمُ حياة الناس والاهتمامُ بهم بطيبة خاطر. البساطة والوضوح شيئان مختلفان. يمكن أن تكون اللغة بسيطةً، لكن الوعظَ قليلُ الوضوح، ويمكن أن يصبحَ غيرَ مفهوم بسبب اختلاله، لنقصٍ في المنطق، أو لأنه يعالج عدّة مواضيع في الوقت عينه. بالتالي، من الضروريّ الاهتمامُ فيكون للوعظ موضوعٌ واحد وترتيبٌ واضح وترابطٌ بين الجُمَل، كي يتمكن الناسُ من متابعة الواعظ بسهولة ويتقبّلوا منطق ما يقول.

159– هناك ميزةٌ أخرى هي الحديثُ الإيجابيّ. فلا يقول الواعظ ما لا يجب أن يُعمل، بل يقترح بالأحرى ما يمكن أن

[١٢٥] **المرجع نفسه**، الرقم 43: أ ك ر (*AAS*) 68 (1976)، 33.

يُعمل أفضل. في كلّ الأحوال، إذا أشار إلى شيءٍ سلبيّ، يسعى دائماً لأن يُظهر أيضاً قيمةً إيجابيّة تجذب، كي لا يتوقف عند النحيب والنقد ووخز الضمير. بالإضافة إلى ذلك، يقدّم الواعظُ الإيجابيُّ دائماً الرجاء، ويوجّه نحو المستقبل، ولا يدَعنا أسرى السلبيّة. ما أجملَ أن يجتمع بانتظام الكهنة والشمامسة الإنجيليّون والعلمانيّون كي يجدوا معاً الأدوات التي تجعل الوعظ أكثر جاذبيّة!

رابعاً: تبشير بالإنجيل لتعميق الكرازة

160- بعثة الربّ الرسوليّ تحتوي على الدعوة إلى نموّ الإيمان عندما أشار: «**وعلّموهم** أن يحفظوا جميعَ ما أوصيتُكم به» (متى 28: 20). هكذا يظهر بوضوحٍ أن الكرازة الأولى يجب أن تفسح المجال أيضاً لسبيل تنشئة ونضج. يسعى التبشيرُ بالإنجيل أيضاً إلى النموّ، وهذا يفرض أن نحمل على محمل الجدّ كلَّ شخصٍ وتدبيرَ الربّ بشأنه. كلَّ كائنٍ بشريّ يزداد دوماً حاجةً إلى المسيح، وعلى التبشير بالإنجيل ألاّ يقبل باكتفاءِ أحدٍ بالقليل، بل أن يستطيعَ القولَ تماماً: «فلستُ أنا حيّاً بعدُ، بل هو، المسيحُ يحيا فيّ» (غل 2: 20).

161- ليس من الجائز أن يفسَّر هذا النداءُ إلى النموّ، حصريّاً وأولويّاً، كتنشئة عقيديّة. يجب أن «نحافظ» على ما أشار به إلينا الربُّ كجوابٍ عن حبّه، الذي منه تنبع، مع جميع الفضائل، تلك

الوصيّةُ الأولى والعظمى التي هي أفضل ما يميّزنا كتلاميذ: «هذه وصيتي لكم: أحبّوا بعضُكم بعضاً كما أحببتكم أنا» (يو15: 12). من الواضح أنه، عندما أراد مؤلّفو العهد الجديد أن يقلّصوا إلى آخر حصيلة (*synthèse*)، إلى ما هو جوهريٌّ بالأكثر، الرسالةُ الأدبيّة المسيحيّة، قدّموا لنا واجبَ محبّة القريب الذي لا يمكن تجاهله: «من أحبَّ **القريب** قد أتمَّ الناموس... فالمحبّة إذن هي تمامُ الناموس» (رو13: 8، 10). وهكذا، بحسب القديس بولس، فريضةُ المحبّة لا تختصر الناموسَ فقط، بل إنها قلبُ الكائن وعلّتُه: «الناموسُ كلُّه يتمّم في هذه الوصيّة الواحدة: "**أحببْ قريبكَ كنفسكَ**"» (غل5: 14). ويقدّم الحياة المسيحيّة لجماعاته كأنها سبيلُ نموٍّ في الحبّ: «وليجعلكم الربُّ تنمون وتفيضون في المحبّة بعضُكم لبعضٍ...» (1تس 3: 12). والقدّيس يعقوب أيضاً يحرّض المسيحيّين على أن يتمّوا «الناموسَ الملكيَّ، على حسب الكتابة القائلة: "أحْبب قريبك كَنفسك"، فنعمّاً تفعلون» (2: 8)، لئلاّ تخالَف أيُّ فريضة.

162– من جهة أخرى، طريقُ الجوابِ هذا والنموّ يسبقُه دائماً العطاءُ، لأن الربّ يطلب أيضاً: «معمّدين إيّاهم باسم...» (متى 28: 19). التبنّي كابنٍ والذي يقدّمه الآبُ مجاناً ومبادرةُ عطيّة نعمته (را أف 2: 8–9؛ 1كو 4: 7) هما الشرطُ لإمكانيّة هذا التقدّس الدائم الذي يُرضي الله ويمجّده. المقصودُ هو أن ندعَ أنفسنا نتحوّل في المسيح بحياةٍ تترقّى «بحسب الروح» (رو8: 5).

تلقين تعليم مسيحيّ كرازيّ وأسراريّ

163– التربية وتلقين التعليم المسيحيّ هما في خدمة ذاك النموّ. سبق وأصبح في تصرّفنا نصوصٌ مختلفة صادرة عن السلطة التعليميّة وموادُّ لتلقين التعليم المسيحيّ قدّمها الكرسيّ الرسوليّ ومجالس أسقفيّة مختلفة. أذكّر بالإرشاد الرسولي «**واجب تلقين التعليم المسيحيّ**» (1997)، و «**الدليل العامّ لتلقين التعليم المسيحيّ**» (1979) ووثائق أخرى، لا ضرورةَ هنا إلى تكرار محتواها الراهن. أودّ أن أتوقّفَ فقط عند بعض الاعتبارات التي أرى أنه من الجدير الإشارةُ إليها.

164– لقد اكتشفنا مجدّداً أنّ، في تلقين التعليم المسيحيّ أيضاً، الإعلانَ الأول أو "**الكرازة**" (*kérygme*) لها دورٌ أساسيٌّ يجب أن يكون في وسط النشاط التبشيريّ بالإنجيل وكلِّ هدفِ تجديدٍ كنسيّ. **الكرازة** ثالوثيّة. هو الروحُ القدسُ الذي نزل تحت شكلِ ألسنة وجعلنا نؤمن بيسوعَ المسيح، الذي بموته وقيامته من بين الأموات كشف لنا ومنحنا رحمة الآب التي لا نهاية لها. وتتردّد دائماً على لسان معلّم التعليم المسيحيّ الكرازة الأولى: «يسوعُ المسيح يحبّك، وقد بذل حياته ليخلّصكَ، والآن هو حيٌّ إلى جانبك كلَّ يوم كي ينيرَكَ ويقوّيَكَ ويحرّرَك». عندما نقول إن تلك الكرازة هي "الأولى" هذا لا يعني أنها وُجدت في البداية، ثم من بعدُ، نُسيت واستُعيض عنها بمحتوياتٍ أُخرى تفوقها. إنها

الأولى بالمعنى النوعيّ، لأنها الكرازةُ الأساسيّة، تلك التي يجب أن نسمعها على الدوام مجدّداً بطرقٍ مختلفة، والتي يجب أن تُعلن على الدوام مجدّداً في أثناءِ تلقين التعليم المسيحيّ، تحت شكلٍ أو آخر، في كلّ المراحل والأوقات [١٢٦]. لذلك أيضاً، «الكاهنُ، كالكنيسة، عليه أن يُدرك إدراكاً عميقاً حاجتَه الدائمةَ إلى أن يبشّر هو أيضاً»[١٢٧].

165– لا يُظنَّنَّ أنه، في تلقين التعليم المسيحيّ، يجب أن تُهمل **الكرازة** لصالح تنشئة تدّعي أنها "أمتن". لا أمتن ولا أعمقَ ولا أكثر أماناً وثباتاً وحكمةً من هذه البشرى. كلُّ التنشئة المسيحيّة هي قبل كلّ شيء التعمّقُ في **الكرازة** التي تتجسّد أكثرَ وأفضلَ على الدوام، والتي لا تُغفِل أبداً إنارةَ الالتزام التعليميّ المسيحيّ، والتي تسمح بالفهم الملائم لمعنى أيّ موضوع يعالَج في تلقين التعليم المسيحيّ. هي البشرى التي تناسب التعطشَ إلى المالانهائيّ الموجودَ في كلّ قلبٍ بشريّ. تتطلّب محوريّة **الكرازة** بعضَ المميِّزات التبشيريّة الضروريّة اليوم وفي كلّ مكان: أن تعبّر عن حبّ الله الخلاصيّ السابق كلَّ التزام أدبيّ ودينيّ، ألاّ تفرضَ الحقيقةَ فرضاً تاركةً المجال للحريّة، أن تتحلّى ببعض

[١٢٦] را **الإقتراح** 9.

[١٢٧] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**أعطيكم رعاة**» (25 آذار 1992)، الرقم 26: أ ك ر (*AAS*) 84 (1992)، 698.

نقاطِ الفرح والتشجيع والحيويّة، وبحصيلةٍ (*synthèse*) متناسقةٍ لا تجعل الوعظَ يقتصرُ، أحياناً، على عقائدَ فلسفيّةٍ أكثرَ منها إنجيليّة. هذا يتطلّب من المبشّر بالإنجيل إجراءاتٍ تساعد على التأهب لقبول البشرى: القربَ والانفتاحَ على الحوار والصبرَ والترحيبَ الوديَّ الذي لا يدين.

166– هناك ميزةٌ أخرى لتلقين التعليم المسيحيّ تطوّرت في السنوات الأخيرة هي ميزة التنشئة **الأسراريّة**[١٢٨]، التي تعني جوهريّاً أمرَين اثنين: التدرّج الضروريَّ لاختبار التنشئة الذي تشارك فيه الجماعة كلُّها، والتقويمَ المتجدّدَ لعلاقات التنشئة المسيحيّة الليترجيّة. يلاحَظُ أن العديدَ من الكتب والبرامج لم تتجاوبْ وضرورةَ التجدّد الأسراريّ الذي يمكن أن يتّخذ أشكالاً كثيرة التنوع بالتوافق مع تمييز كلّ جماعة تربويّة. لقاءُ تلقين التعليم المسيحيّ هو إعلانُ الكلمة وتمحورُ حولها، لكنه بحاجةٍ دائمةٍ إلى بيئةٍ ملائمةٍ وتبرير جذّاب، وإلى استخدام رموزٍ بليغة، وإلى الإشتراك في مسار نموٍّ رحب، وإلى إدماج كلّ أبعاد الإنسان في مسيرةٍ جماعيّة من الإصغاء والجواب.

[١٢٨] را **الاقتراح** 38.

167- من الجدير أن يوليَّ كلُّ تلقين مسيحيّ اهتماماً خاصّاً لـــ"طريق الجمال" [١٢٩]. التبشيرُ بالمسيح يعني إظهارَ أن الإيمانَ به واتّباعَه ليسا فقط شيئاً حقّاً وصائباً، بل أيضاً شيئاً جميلاً وقادراً على أن يغمر الحياةَ برونقٍ جديد وفرحٍ عميق، حتى في المصائب. من هذا المنظور، كلُّ تعابير الجمال الأصيل يمكن أن يُعترف بها كدَربٍ يُساعدُ على لقاءِ الربِّ يسوع. لا يُقصدُ التشجيعُ على نسبويّة جماليّة [١٣٠]، يمكن أن تعتّم على الرباط الوثيق القائم بين الحقيقة والصلاح والجمال، لكن أن تَستردَّ تقديرَ الجمال للبلوغ إلى قلب الإنسان فتتألقَ فيه حقيقةُ القائم من بين الأموات وعطفُه. وإذ كنا لا نحبّ، كما يؤكّد القديس أوغسطينس، سوى ما هو جميل [١٣١]، فالابنُ المتجسّدُ، وحيُ الجمالِ اللانهاية له، هو محبوبٌ للغاية، ويجذبُنا إليه بربُط الحبّ. من الضروريّ، إذاً، أن تُدرج التنشئةُ على "طريق الجمال" في سياق تناقل الإيمان. من المستحبّ أن تعزّز كلُّ

[١٢٩] را **الإقتراح** 20.

[١٣٠] را المجمع الفاتيكانيّ الثانيّ: القرار **«وسائل الإعلام الاجتماعي»**، الرقم 6.

[١٣١] را أوغسطينس: **في الموسيقى**، 6، 13، 38: **الآباء اللاتين** (PL) 32، 1183-1184؛ **الاعترافات**، 4، 13، 20: **الآباء اللاتين** (PL) 32، 701.

كنيسة خاصّة استخدامَ الفنون في عمل تبشيرها بالإنجيل، متابَعةً لثراءِ الماضي، لكن أيضاً على مدى ما تسمح به التعابيرُ العديدةُ الحاليّة، بهدفِ تناقل الإيمان "بلغة الأمثال" الجديدة [١٣٢]. يجب التحلّي بالشجاعة لاستنباط علاماتٍ جديدة ورموزٍ جديدة، وجسم جديدٍ لتناقل الكلمة، وأشكالِ جمالٍ جديدة تتجلّى في الأوساط الثقافيّة المختلفة، ومنها تلك الأساليبُ الجماليّة غيرُ المألوفة، التي يمكن ألاّ تعني الكثيرَ للمبشّرين بالإنجيل، لكن التي أصبحت للآخرين جذّابة للغاية.

168– في ما يخصُّ الاقتراحَ الأدبيّ لتلقين التعليم المسيحيّ الذي يدعو إلى النموّ في الأمانة لأسلوب حياة الإنجيل، من الجدير الإشارةُ دائماً إلى الخير المشتهى، واقتراحِ الحياة والنضج والتحقيق والخصب التي على ضوئها يمكن فهمُ التنديد بالآم الممكن أن تعتّمها. من الجيّد إمكانُ النظر إلينا: إلى أشخاصٍ فرحين يحملون رسائلَ اقتراحاتٍ سامية، وكإلى حرّاسِ الخيرِ والجمال المتألّقينَ في حياةٍ أمينةٍ للإنجيل، أكثر منه كإلى خبراءِ تشخيصاتٍ رؤيويّة مبهمَةٍ أو أحكامٍ غامضة، يطيب لهم أن يميّزوا كلَّ خطر أو انحراف.

[١٣٢] بندكتوس السادس عشر: خطاب بمناسبة عرض الفيلم الوثائقي "**الفنّ والإيمان – طريق الجمال**" (25 تشرين الأول 2012): **الأوسرفاتوري رومانو** (2012/10/27)، ص 7.

169– في حضارةٍ جرحتها، مفارقةً، الغُفليّة (*anonymat*)، وفي الوقت عينه، تسلّطت عليها تفاصيلُ حياة الآخرين، وأسقمها فضولٌ مَرضيّ، تحتاج الكنيسةُ إلى نظرة قُربٍ للتأمل والتأثّر والتوقّف أمام الآخر كلّما يلزمُ ذلك. في هذا العالم، يمكن الخدَمةَ المرسومين والعاملين الآخرين الراعويّين أن يستحضروا شذا حضورِ يسوعَ القريب ونظرتَه الشخصيّة. على الكنيسة أن تنشّىءَ أعضاءَها – كهنةً ومكرَّسين وعلمانيّين – على "فنّ المرافقة" هذا، كي يتعلّم الجميعُ دائماً خلعَ نعالهم عندَ أرضِ الآخرِ المقدّسة (را خر 3،: 5). يجب أن نضفيَ على طريقنا وقعَ القربِ الخلاصيّ، ترافقها نظرةُ احترام مملوءةٌ عطفاً، لكن، في الوقت عينه، تبرىءُ وتحرّر وتشجّع على النضج في الحياة المسيحيّة.

170– مع أن ذلك يبدو واضحاً، على المرافقة الروحيّة أن تقود دائماً نحو الله، الذي فيه يمكن أن نبلغَ الحريّة الحقيقيّة. يظنُّ البعضُ أنهم أحرارٌ عندما يسيرون في معزلٍ عن الربّ، غيرَ مدركين أنهم يبقون وجوديّاً يتامى، لا ملجأ لهم، ولا منزلَ يعودون إليه دائماً. يتوقّفون عن أن يكونوا حجّاجاً ويتحوّلون إلى تائهين، يدورون على الدوام حول أنفسهم دون البلوغ إلى أيّ مكان. تصبحُ المرافقةُ عقيمةً إذا تحوّلت إلى نوع من علاج

يعزّزُ انغلاق الأشخاص في كمونهم، وتتوقّف عن أن تكون مسيرة حجٍّ مع المسيح إلى الآب.

171- نحن بحاجة، أكثرَ من أيّ وقت مضى، إلى رجالٍ ونساءٍ يعرفون، انطلاقاً من اختبارهم المرافقة، طريقةَ التصرّف حيث تتجلّى الفطنةُ والقدرةُ على التفهّم وفنُّ الانتظار والإذعانُ للروح، كي نقيَ جميعُنا معاً النعاجَ التي تلجأُ إلينا، من الذئاب التي تسعى لتشتيت القطيع. نحن بحاجة إلى التمرّن على فنّ الإصغاء، الذي هو أكثرُ من أن نسمعَ. في التواصل مع الآخر، أولُ ما يلزم هو قدرةُ القلب على أن يجعل القربَ ممكناً، لأن بدونه لا وجودَ للقاءٍ روحيٍّ حقيقيّ. يمكنّنا الإصغاءُ من اكتشافِ الحركةِ والكلمةِ الملائمتين اللتين توقظاننا من وضع المتفرّجين الهادىء. إنطلاقاً فقط من هذا الإصغاءِ المحترِم والقادرِ على الإشفاق يمكن العثورُ على السبل المؤديّةِ إلى نموٍّ أصيل، وإذكاءُ الرغبة في البلوغ إلى المثال الأعلى المسيحيّ، وفي التلهّف إلى الاستجابة لحبّ الله كليّاً، والعطشِ إلى إنماءِ أفضلِ ما بذَر اللهُ في حياتنا الشخصيّة. لكن دائماً مع صبر ذاك الذي يعرف ما كان يعلّم القديس توما: يمكن المرءَ أن يتحلّى بالنعمة والمحبّة، لكن دون أن يمارسَ أيّاً من الفضائل «بسبب بعضِ الميولِ المضادة» الثابتة[١٣٣]. بعباراتٍ أخرى، يُمنح طابعُ الفضائل الأساسيّ، دائماً وضرورةً، «**بالعادة**»(*in habitu*) مع أنه يمكنُ التكييفاتِ أن

[١٣٣] **الخلاصة اللاهوتيّة:** I-II, q. 65, a.3, ad 2.

تجعلَ صعبةً **التطبيقاتِ العمليّةَ المتعلّقةَ** بتلك العاداتِ الصالحة. من هنا، ضرورةُ «تربيةٍ تُدخَل الأشخاص، خطوةً خطوةً، إلى ملءِ استيعاب السرّ»[١٣٤]. للبلوغ إلى نقطة النضج، أي إلى تمكّن الأشخاص من اتخاذِ قراراتٍ حرّةٍ حقاًّ ومسؤولة، لا بدَّ من منح وقتٍ مع صبرٍ عظيم. «فالوقت – على حدّ ما كان يقول الطوباويّ بيار فابر – هو رسول الله».

172– يعرفُ المرافقُ أن يتعرَّف على أنَّ وضعَ كلِّ شخصٍ أمامَ الله، وعيشَه النعمة هما سرٌّ لا يُمكن أحداً أن يفهمه كليّاً من الخارج. يعرضُ علينا الإنجيل أن نصلح شخصاً ونساعدَه على النموّ، إنطلاقاً من التعرّف على طابع أعماله الشرّيرة موضوعيّاً (را متى 18: 15)، لكن دون أن نطلق الأحكامَ على مسؤوليّته وذنْبه (را متى 7: 1؛ لو 6: 37). في كلّ الأحوال، المرافقُ الجيّدُ لا يُذعنُ لا للقضاءِ والقدَر ولا للخوَر، بل يدعو دائماً إلى إرادة الإصلاح والنهوض من جديد وحمل الصليب، وإلى التخلّي عن الكلّ والانطلاق الدائم من جديد للتبشير بالإنجيل. الاختبارُ الشخصيُّ بقبول المرافقة والإصلاح، ونجاحُنا في التعبير بكلِّ صدقٍ عن حياتنا أمام مرافقنا، يعلّماننا الصبرَ وتفهّمَ الآخرين، ويؤهّلاننا لإيجاد السبُل الآيلة إلى أن نوقظَ فيهم الثقةَ والانفتاحَ والاستعدادَ للنموّ.

[١٣٤] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**الكنيسة في آسية**» (6 تشرين الثاني 1999)، الرقم 20: أ ك ر (*AAS*) 92 (2000)، 481.

173– تبدأ المرافقة الروحيّة الأصيلة دائماً وتتقدّم في ميدان خدمة رسالة التبشير بالإنجيل. علاقةُ بولس مع تيموتاوس وتيطس هي مثالٌ لتلك المرافقة والتنشئة في أثناء العمل الرسوليّ. عندما عهد إليهما برسالة التوقّف في كلّ مدينة «لتكميل تنظيم كلِّ شيء» (تي 1: 5؛ را 1تي 1: 3–5)، أعطاهما معايير للحياة الشخصيّة وللعمل الراعويّ. يتميّز هذا كلُّه بجلاءٍ عن أيّ أسلوب مرافقة حميميّة، وتحقيقٍ ذاتيّ منفرد. التلاميذ المرسلون يرافقون التلاميذ المرسلين.

بالنسبة إلى كلمة الله

174– لا يجب أن تغتذي العظةُ وحدَها من كلام الله. التبشيرُ بالإنجيل كلُّه يرتكز عليها ويُصغي إليها، ويتأمَّل فيها، ويعيشُها، ويَحتفلُ بها ويَشهدُ لها. الكتابُ المقدَّس هو مصدرُ التبشير بالإنجيل. بالتالي، يجب أن نتنشّأ دائماً على الإصغاء إلى الكلمة. الكنيسة لا تبشِّر بالإنجيل إذا لم تثابر دائماً على أن تُبشَّرَ بالإنجيل. لا بدَّ لكلمةِ الله من «أن تصبحَ، دائماً أكثرَ، قلبَ كلّ نشاطٍ كنسيّ» [١٣٥]. كلمة الله المُصغى إليها والمحتفَلُ بها، بالأخصّ في الإفخارستيّا، تغذّي المسيحيّين وتقوّيهم داخليّاً

[١٣٥] بندكتوس السادس عشر: الإرشاد الرسولي **«كلمة الربّ»** (30 أيلول 2010)، الرقم 1: أ ك ر (*AAS*) 102 (2010)، 682.

[136] را **الإقتراح** 11.

وتجعلهم قادرين على أداءِ شهادةٍ إنجيليّة أصيلة، في الحياة اليوميّة. لقد تجاوزنا، بعد الآن، ذلك التناقض القديم، بين الكلمة والسرّ. الكلمة المعلنة والحيّة والفعّالة تهيّىءُ لقبول السرّ، وفي السرِّ تبلغ تلك الكلمة فعّاليّتها القصوى.

175– يجب أن يُفتح بابُ دراسة الكتاب المقدّس أمام جميع المؤمنين[١٣٦]. من الأساسيّ أن تُخصِّبَ الكلمةُ الموحى بها جذريّاً تلقينَ التعليم المسيحيّ وجميعَ الجهود لنقل الإيمان [١٣٧]. يتطلّب التبشيرُ بالإنجيل الألفة مع كلمة الله، وهذا يفرض أن تعرضَ الأبرشيّاتُ والرعايا والجماعاتُ الكاثوليكيّة دراسةً جدّيّةً ومثابرةً للكتاب المقدّس، وتنشّط أيضاً قراءَةً منه شخصيّة وجماعيّة [١٣٨]. إنّا لا نبحث على غير هُدى في الظلمة، وعلينا ألاّ ننتظرَ أن يكلّمنا اللهُ، لأن حقّاً «تكلّم الله، ولم يعد ذلك المجهول، لكنه ظهر هو نفسه»[١٣٩]. لنتقبّلنّ كنزَ الكلمة الموحى بها السامي.

[137] را المجمع الفاتيكانيّ الثانيّ: الدستور العقيديّ «**الوحي الإلهيّ**»، الرقم 21–22.

[١٣٨] الإرشاد الرسوليّ «**كلمة الربّ**»، **المرجع نفسه**، الرقم 86–87: **المرجع نفسه**، 7570760.

[١٣٩] بندكتوس السادس عشر: **تأمل في أثناء الجمعيّة العامة الأولى من الاجتماع الثالث عشر لسينودس الأساقفة** (8 تشرين الأول 2012) أ ك ر (*AAS*) 104 (2012)، 896.

الفصل الرابع

البعد الاجتماعيّ للتبشير بالإنجيل

176– التبشيرُ بالإنجيل هو جعلُ ملكوت الله حاضراً في العالم. لكن، «أيُّ تعريفٍ جزئيّ ومقسَّم لن يفيَ التبشيرَ بالإنجيل حقَّه من الواقع الثريّ والمعقَّد والدنياميكيّ، إلاّ تحت خطر إفقاره، وحتى بترِه وتشويهه» [١٤٠]. أودُّ الآن أن أشاطركم اهتماماتي بالنسبة إلى البعد الاجتماعيّ للتبشير بالإنجيل، بالضبط لأنّا نواجه دائماً خطر تشويه المعنى الأصيل والمتكامل لرسالة التبشير بالإنجيل، إذا لم يوضَّح ذلك البعد كما ينبغي.

أولاً: مضاعفات الكرازة الجماعيّة والاجتماعيّة

177– تمتلك **الكرازة** محتوًى لا محالة اجتماعيّاً: في قلب الإنجيل نفسه، توجد الحياة الجماعيّة والالتزام مع الآخرين. محتوى البشارة الأولى له انعكاسٌ أدبيٌّ مباشر، محورُه المحبّة.

[١٤٠] بولس السادس: الإرشاد الرسوليّ «**التبشير بالإنجيل**» (8 كانون الأول 1975)، الرقم 17: أ ك ر (*AAS*) 68 (1976)، 17

اعترافٌ بالإيمان والتزامٌ اجتماعيّ

178- الاعترافُ بآبٍ يحبُّ إلى ما لا نهاية كلَّ كائنٍ بشريّ يفترض اكتشافَ «أنه بهذا الحبّ يمنحه كرامةً لامتناهيّة» [١٤١]. الاعترافُ بأن ابنَ الله قد اتخذ جسدنا يعني أن كلَّ شخصٍ بشريّ قد رُفع حتى قلبِ الله نفسه. الاعترافُ بأن يسوعَ أهرق دمَه من أجلنا يمنعنا أن يساورنا أدنى شكّ بشأن الحبّ اللاحدّ له الذي يشرّف كلَّ كائن بشريّ. لفداءِ المسيح معنًى اجتماعيٌّ لأن «في المسيح، لا يفتدي اللهُ الفردَ بل أيضاً العلاقات الاجتماعيّة بين البشر» [١٤٢]. الاعتراف بأن الروحَ القدس يعملُ في الجميع يفترض الاعترافَ بأنه يسعى للنفاذ إلى كلّ وضع إنسانيّ وفي كلّ الأوساط الاجتماعيّة: «للروح القدس مخيّلةٌ لا تُحدّ، بالضبطِ من الروح الإلهيّ، الذي يعرف أن يحُلَّ عُقَد التاريخ البشريّ الأكثرَ تعقيداً والمتعذِّرَ تخليصُها» [١٤٣]. يسعى التبشيرُ بالإنجيل

[١٤١] يوحنا بولس الثاني: «**رسالة إلى جماعة معوّقين** في أوسنابرك، **التبشير الملائكي** (16 تشرين الثاني 1980): *Insegnamenti* 2/3 (1980)، 1232.

[١٤٢] المجلس الحبريّ «عدالة وسلام»: **مختصر تعليم الكنيسة الاجتماعيّ**، الرقم 52.

[١٤٣] يوحنا بولس الثاني: **تلقين التعليم المسيحيّ** (24 نيسان 1991): *Insegnamenti* 1/14 (1991)، 856.

للإسهام أيضاً في عمل الروح التحريريّ هذا. يذكّرنا سرُّ الثالوث نفسُه أنّا خُلقنا على صورة الشراكة الإلهيّة، التي، للبلوغ إليها، لا يمكن، وحدَنا، أن نحقّقَها ولا أن نخلّصَ نفوسَنا. إنطلاقاً من صميم الإنجيل، نعترف بالارتباط الحميم بين البشر بالإنجيل والترقّي الإنسانيّ الذي يجب بالضرورة أن يعبَّر عنه ويُنمَّى في كل عملٍ تبشيريّ بالإنجيل. قبول الكرازة الأولى، التي تدعو إلى الاستسلام لحبّ الله وإلى محبّته بالحبّ نفسه الذي يمنحناه، يبعثُ في حياة الشخص وفي أفعاله ردَّةَ فعلٍ أولى وأساسيّة: الرغبةُ في خير الآخرين والسعيُ له والاهتمامُ به.

179- هذا الرباطُ الذي لا تنفصم عُراهُ بين تقبّل البشرى الخلاصيّة والمحبة الأخويّة العمليّة يُعبَّر عنه في بعض نصوص الكتاب المقدّس، فيجدر أخذُها بعين الاعتبار والتأمل فيها باعتناء لاستخلاص كلّ نتائجها. إنها رسالةٌ غالباً ما نعتادها، ونكرّرها تقريباً بطريقة آليّة، دون أن نستطيع التأكّد هل تؤثر حقيقةً في حياتنا وفي جماعاتنا. ما أخطرَ وما أضرَّ ذلك التعوّد الذي يحملنا على فقدان الإعجاب والروعة والحماس بأن نحيا إنجيل المحبّة والعدالة! كلمةُ الله تعلّمنا أنّا نجدُ في الأخ، لكلٍّ منّا، الامتدادَ الدائم للتجسّد: «إنّ كلَّ مرّةٍ صنعتُم ذلك إلى أحد هؤلاءِ الصغار الذين هم إخوتي، فإليّ قد صنعتموه» (متى 25: 40). كلُّ ما نصنعه للآخرين له بُعدٌ سام: «فإنه بالدينونة التي بها تدينون تُدانون، وبالكيل الذي تكيلون يُكالُ لكم» (متى 7: 2)؛

وهو جوابٌ عمّا تشمُلنا به الرحمةُ الإلهيّة: «فكونوا رحماءَ كما أن أباكم رحيم. لا تدينو فلا تُدانوا؛ لا تحكموا على أحدٍ فلا يُحكمَ عليكم» (لو 6: 36–38). ما تعبّر عنه هذه النصوصُ هي الأولويّة المطلقة «للخروج من الذات نحو الأخ»، كإحدى الوصيّتين الأساسيّتين اللتين يرتكز عليهما كلُّ نظام أدبيّ خلُقيّ، وكالعلامة الأكثر وضوحاً لإجراء التمييز على طريق النموّ الروحيّ، جواباً منّا عن عطيّة الله المجانيّة المطلقة. ولهذا بالذات، «خدمة المحبّة هي أيضاً بعدٌ مكوّنٌ لرسالة الكنيسة وتشكّل تعبيراً لجوهرها نفسه» [١٤٤]. بما أن الكنيسةَ رسولةٌ بطبيعتها، هكذا تنبعثُ لا محالةَ من تلك الطبيعة محبةُ القريب العمليّة، العطفُ المتفهّمُ والمساندُ والمنمّي.

الملكوت الذي يدعونا

180– لدى قراءتنا الكتب المقدّسة، يبدو على كلّ حال جليّاً أنّ ما يعرضه الإنجيل لا يقوم فقط على علاقةٍ شخصيّة مع الله. وجوابُنا المحبُّ يجب ألاّ يُفهم هو أيضاً وكأنه مجموعةٌ من الحركات الشخصيّة الصغيرة، لصالح فردٍ في عوز، فيكوّن

[١٤٤] بندكتوس السادس عشر: رسالة بشكل إرادة خاصّة «**طبيعة الكنيسة الحميمة**» (11 تشرين الثاني 2012): أ ك ر (*AAS*) 104 (2012)، 996.

نوعاً من "محبّة **على البطاقة**"، سلسلةً من الأعمال تبغي فقط أن تهدّىءَ ضميرنا. إقتراح الإنجيل **هو ملكوتُ الله** (لو 4: 43)؛ أن نحبّ الله المالكَ على العالم. بقدر ما يستطيع الله أن يملك في ما بيننا، تصبح الحياة الاجتماعيّة فسحةَ أخوّة وعدالة وسلام وكرامةٍ للجميع. إذاً، أكانت الكرازةُ أم الخبرةُ المسيحيّة فكلاهما يتوقان إلى استثارة نتائجَ اجتماعيّة. لنطلبنَّ ملكوته: «فاطلبوا أولاً ملكوتَ الله وبرَّه، وهذا كلُّه يُزادُ لكم» (متى 6: 33). رغبةُ يسوعَ هي في إحلال ملكوت أبيه، فيقول لتلاميذه: «...نادوا بأن ملكوتَ السماواتِ قد اقترب» (متى 10: 7).

181– الملكوتُ المسبَّق والنامي ما بيننا يعني الكلَّ ويذكّرنا بمبدإ التمييز هذا الذي كان بولسُ السادس يعرضه، بالعلاقة مع نموٍّ حقيقيّ: «كلُّ الناس وكلّ إنسان»[١٤٥]. إنّا نعرف أن «التبشير بالإنجيل لن يكون كاملاً إذا لم نأخذ بعين الاعتبار العلاقاتِ الملموسةَ والدائمةَ القائمةَ بين الإنجيل وحياة الإنسان الشخصيّة والاجتماعيّة»[١٤٦]. إنه معيارُ الشموليّة الخاصُّ بديناميّة الإنجيل، إذ إن الآبَ يريدُ أن يخلُصَ جميعُ الناس، وأنَّ تدبيرَه الخلاصيّ

[١٤٥] بولس السادس: الرسالة العامّة «**ترقّي الشعوب**» (26 آذار 1967)، الرقم 14: أ ك ر (*AAS*) 59 (1967)، 264.

[١٤٦] بولس السادس: الإرشاد الرسوليّ «**التبشير بالإنجيل**» (8 كانون الأول 1975)، الرقم 29: أ ك ر (*AAS*) 68 (1976)، 25.

يقوم على جَمع الأشياءِ كلّها، ما في السماوات وما على الأرض، تحتَ ربٍّ واحد هو المسيح (را أف 1: 10). التفويضُ هو: «إذهبوا إلى العالم كلّه، وبشّروا بالإنجيل الخليقةَ كلَّها» (مر 16: 15)، لأن «البَريَّة تتوقّع، مرتقبةً، تجلّيَ أبناءِ الله» (رو 8: 19). الخليقةُ كلُّها تعني أيضاً جميعَ مظاهر الطبيعة البشريّة، بحيث «إنَّ رسالة إعلان بشرى يسوعَ المسيح الحسنة تأخذ بُعداً جامعاً. وصيّتُه بالمحبة تشمل جميعَ أبعاد الوجود وجميعَ الأشخاص وجميعَ قطاعاتِ الحياة الاجتماعيّة وجميعَ الشعوب. لا شيءَ بشريّاً يمكن أن يكون غريباً عنها»[١٤٧]. الرجاءُ المسيحيُّ الساعي إلى الملكوت الأُخرويّ (الإستخاتولوجيّ) يولّد دائماً التاريخ.

تعليم الكنيسة حول القضايا الاجتماعيّة

182- تعاليمُ الكنيسة حول الأوضاع الطارئة تخضعُ لتطوّراتٍ هامةٍ وحديثة، ويمكن أن تكون موضوعَ نقاش. لكن لا يمكننا أن نتحاشى الواقعيّة – دون أن ندّعي الدخول في التفاصيل – كي لا تلبثَ المبادىءُ الاجتماعيّة الكبرى مجرّدَ إشاراتٍ عامّة لا تنادي أحداً. يجب أن نستخلصَ منها نتائجَ عمليّة، كي «تتمكّن

[١٤٧] الندوة العامّة الخامسة لمجلس أساقفة أميركا اللاتينيّة والكاراييب: **وثيقة أباريسيدا** (29 حزيران 2007)، الرقم 380.

أيضاً من أن يكون لها انعكاسٌ فعّال على الأوضاع المعاصرة المعقّدة»[١٤٨]. يحقُّ للرعاة، عند تقبّلهم إسهاماتِ العلوم المختلفة، أن يبدوا آراءَهم بشأن كلّ ما يعني حياةَ الأشخاص، إذ إن مهمّة التبشير بالإنجيل تتطلّب وتفرض تنميةً كاملةً لكلّ كائنٍ بشريّ. لا يمكن من بعدُ التأكيدُ أن على الديانة أن تنحصر في الدائرة الخاصّة، وأنّ وجودها يقتصرُ فقط على تهيئة الأنفس للسماء. إنّا نعرف أن الله يريد سعادة أبنائه، على هذه الأرض أيضاً، مع أنهم مدعوّون إلى الكمال الأزليّ، بما أن الله خلق الأشياءَ كلَّها «لنتمتَّعَ بها» (1 تي 6: 17)، كي يستطيعَ **الجميعُ** التنعّمَ بها. ينجمُ عن ذلك أن الارتدادَ المسيحيَّ يتطلّب إعادةَ النظر «بالأخصّ في ما يعني النظام الاجتماعيّ وتحقيق الخير العامّ»[١٤٩]

183– وبالتالي، لا يمكن أحداً أن يفرض علينا بأن نحصرَ الديانة في قرارة الأشخاص السريّة، دون أيّ تأثير على الحياة الاجتماعيّة والوطنيّة، دون الاهتمام بصحّة مؤسّسات المجتمع المدنيّ، دون التعبير عن الأحداث التي تهمّ المواطنين. من

[١٤٨] المجلس الحبريّ «عدالة وسلام»: **مختصر عقيدة الكنيسة الاجتماعيّة**، الرقم 9.

[١٤٩] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ **«الكنيسة في أميركا»** (22 كانون الثاني 1999)، الرقم 27: أ ك ر (*AAS*) 91 (1999)، 762.

يجروء على أن يُغلق في هيكلٍ ويُسكت رسالة القديس فرنسيس الأسيزيّ والطوباويّة تريزا دي كالكوتا؟ لن يرضيا عن ذلك.

الإيمان الأصيل – وهو لا يمكن أبداً أن يكون مرفّهاً وانفراديّاً – يستلزمُ دائماً رغبةً عميقةً في تبديلِ العالم وتناقلِ القيَم، وفي أن نخلّف شيئاً أفضلَ بعد مرورنا على الأرض. نحبّ هذا الكوكبَ الرائع حيث وضعنا الله، ونحبّ البشريّة الساكنة فيه، مع كلّ مآسيها وأتعابها، مع تطلّعاتها وآمالها، مع قيَمها وأوهانها.

الأرض بيتنا المشترك ونحن جميعاً إخوة. مع أنّ «نظام المجتمع والدولة العادل هو واجب السياسة الجوهريّ»، إلاّ أن الكنيسة «لا تستطيع ولا يجب أن تلتزمَ الحيادَ في الصراع من أجل العدالة»[١٥٠]. جميعُ المسيحيّين، والرعاةُ أيضاً، مدعوّون إلى الاهتمام ببناءِ عالم أفضلَ. وما ذلك، إلاّ لأن فكرَ الكنيسة الاجتماعيّ هو أولاً إيجابيٌّ ويُدلي باقتراحاتٍ، ويوجّه إلى عمل تحويليّ، وبهذا المعنى، لا ينبي بأن يكونَ علامةَ رجاء، تنبثق من قلب يسوعَ المسيح المملوءِ حبّاً. في الوقت عينه، توحّد الكنيسة «جهودَها مع ما تحقّقه، في الميدان الاجتماعيّ، الكنائسُ

[١٥٠] بندكتوس السادس عشر: الرسالة العامة «**الله محبّة**» (25 كانون الأول 2005)، الرقم 28: أ ك ر (*AAS*) 98 (2006)، 240.

والجماعاتُ الكنسيّة الأخرى، أكان على صعيد التفكير العقيديّ أم على الصعيد العمليّ»[١٥١].

184– لا يسمحُ الوقتُ هنا بأن نفصّل جميعَ القضايا الاجتماعيّة الخطيرة التي تطبع العالمَ الحاضر، وقد شرحتُ بعضَها في الفصل الثاني. هذا ليس وثيقةً اجتماعيّة. للتفكير في المواضيع المختلفة، تتوفّر لدينا أداةٌ ملائمة جداً في «**مختصر عقيدة الكنيسة الاجتماعيّة**» الذي أحرّض بشدّة على استخدامه ودراسته. علاوةً على ذلك، لا البابا ولا الكنيسة يملكان استئثارَ تفسير الواقع الاجتماعيّ، أو اقتراحَ حلولٍ للمعضلات المعاصرة. يمكن أن أردّد هنا ما أشار إليه بولس السادس بوضوح: «إزاءَ أوضاعٍ إلى هذا الحدّ مختلفة، يصعب علينا أن ننطق بكلمة واحدة، كأن نقترحَ حلاًّ يتّسم بقيمة شاملة. إنّا لا نبتغي ذلك ولا تلك هي رسالتنا. يعود إلى الجماعات المسيحيّة أن تحلّل بموضوعيّة الوضع الخاصّ ببلدها»[١٥٢].

[١٥١] المجلس الحبريّ «عدالة وسلام»: **مختصر عقيدة الكنيسة الاجتماعيّة**، الرقم 12.

[١٥٢] بولس السادس: الرسالة الرسوليّة «**الثمانون القادمة**» (14 أيّار 1971)، الرقم 4: أ ك ر (*AAS*) 73 (1971)، 403.

185- لاحقاً، سأعمل على التركيز على قضيّتين كبريَين يبدو لي أنهما أساسيّتان في هذه الفترة من التاريخ. سوف أفضّلهما مع بعض التوسّع لأني أعتبر أنهما يحدّدان مستقبل البشريّة. عنيتُ بهما، أولاً إدماجَ الفقراءِ الاجتماعيّ، ثمّ السلام والحوار الاجتماعيّ.

ثانياً: إدماجُ الفقراء الاجتماعيّ

186- من إيماننا بيسوعَ المسيح الذي افتقر، والذي هو على الدوام قريبٌ من الفقراء والمنبوذين، ينجم اهتمامُنا بالنموّ الكامل للأكثر انتباذاً من المجتمع.

بالاتحاد مع الله نسمع صراخاً

187- كلُّ مسيحيّ وكلُّ جماعة مدعوّان إلى أن يكونا أداةً بين يدَي الله لتحرير الفقراء ونموّهم، بحيث يستطيعون الاندماج كليّاً في المجتمع؛ وذلك يفترض أن نكون طيّعين ومصغين إلى صوت الفقير وأن نساعده. تكفي العودة إلى الكتب المقدّسة كي نكشف كيف أن الآب الصالح يريد أن يسمع صوت الفقراء: «قد نظرتُ إلى مذلّة شعبي الذين بمصر وسمعتُ صراخهم من قِبَل مسخّريهم وعلمتُ بكربهم. فنزلت لأُنقذَهم [...] فالآن تعالَ أبعثْكَ...» (خر 3: 7-8، 10)، ويهتمّ لاحتياجاتهم: «فصرخ بنو إسرائيلَ إلى الربّ، فأقام لهم الربُّ مخلّصاً» (قض 3: 15).

أن نتصامَّ عن ذلك الصراخ، فيما نحن أدواتُ الله لنسمع الفقير، يفصلنا عن إرادة الآب وتدبيره، لأن ذلك الفقير «سيصرخ إلى الربّ عليك، فتكونَ عليكَ خطيئة» (تث 15: 9). وقلّةُ التضامن إزاءَ ضروريّاته يؤثّر مباشرةً على علاقتنا مع الله: «فإن من يلعنُكَ بمرارةِ نفسه يستجيب صانعُه دعاءَه» (سي 4: 6). والسؤالُ القديمُ يعود دائماً إلى الأذهان: «فمن كانت له خيراتُ هذا العالم، ورأى أخاه في فاقةٍ فحبَس عنه أحشاءَه، فكيف تثبتُ فيه محبّة الله؟» (1 يو 3: 16). لنتذكّرنَّ أيضاً كيف أن الرسولَ يعقوب عاد وصوّر، بجذريّةٍ فائقة، صورةَ صراخ المظلومين: «وها إنّ أُجرة العملة الذين حصّدوا حقولكم، تلك التي بخستُموهم إيّاها تصرخ! وصُراخُ أولئك الحصّادين قد بلغ إلى أذنَي ربّ الصبؤوت» (5: 4).

188– أقرّت الكنيسةُ بأن ضرورةَ الإصغاءِ إلى هذا الصراخ ينجم عن عمل النعمة نفسِها المحرِّر، في كلٍّ منّا؛ فالقضيّة، إذاً، ليست رسالةً مخصَّصةً فقط لبعض الأشخاص: «إن الكنيسة، يقودُها إنجيلُ الرحمة ومحبّةُ الإنسان، **تسمع الصراخَ من أجل العدالة**، وتريد أن تلبّيه بكلِّ قواها» [١٥٣]. في هذا الإطار، نفهم طلب يسوعَ إلى تلاميذه: «أعطوهم أنتم ليأكلوا» (مر 6: 37)،

[١٥٣] مجمع عقيدة الإيمان: مذكّرة «**رسول الحريّة**» (6 آب 1984)، 11، 1: أ ك ر (*AAS*) 76 (1984)، 903.

وهذا يفترض، أكان التعاونَ لحلّ قضايا الفقر الهيكليّة، وتعزيز نموّ الفقراء الناجز، أم أعمالَ التضامن البسيطة اليوميّة إزاءَ أحوال البؤس الملموسة التي نلتقيها. أصبحت كلمةُ "تضامن" نوعاً ما مبتذلةً وأحياناً يسوءُ استعمالُها، لكنها تدلُّ إلى أكثرَ من بعض أعمال السخاءِ المشتّتة. إنها تطلب خلقَ ذهنيّة جديدة تفكّر بعباراتِ جماعةٍ، وبأولويّةِ حياةِ الجميع على استملاك الخيراتِ من قبَل بعض الأفراد.

189- التضامنُ هو ردّةُ فعلٍ عفويّة تصدر عن الذي يعرف وظيفة المُلكية الاجتماعيّة والوُجهةَ الشاملةَ للخيراتِ كواقعيّاتٍ سابقةٍ للمُلكيّة الخاصّة. تُبرّ المُلكيّة الخاصّة للخيرات بأن تحافظ عليها وتنمّيها بحيث تخدمُ الخيرَ العامّ، بطريقة فضلى لذلك فالتضامن يجب أن يُعاش وكأنه قرارٌ يقضي بأن يُردّ إلى الفقير ما يعودُ إليه. تلك القناعاتُ وممارساتُ التضامن، عندما تتحقّق، تُفسح المجالَ أمام تحوّلاتٍ بنيويّة أخرى وتجعلها ممكنة. تحويلٌ في البنى لا يولّد قناعاتٍ جديدة ومواقفَ، يؤول بتلك البنى نفسها إلى أن تصبح، عاجلاً أم آجلاً، فاسدةً وثقيلةً وغيرَ مجدية.

190- المطلوبُ أحياناً أن نسمع صوتَ شعوبٍ بأسرها، شعوب الأرض الأكثر فقراً، لأن «السلام يرتكز ليس فقط على احترام

حقوق الإنسان، بل أيضاً على احترام حقوق الشعوب»[١٥٤]. إنه لمن المؤسف أن حتى الحقوقُ الإنسانيّةُ يمكن أن تُستخدَم كتبريرٍ للدفاع المفرط عم الحقوق الفرديّة أو حقوق الشعوب الأكثر ثراءً. فيما نحترم استقلال كلّ أمّةٍ وثقافتَها، يجب أن نذكّر دائماً بأن كوكبَ الأرضِ يخصُّ البشريّة جمعاء وهو للبشريّة جمعاء، وبأنَّ مجرَّدَ أن يولدَ أناسٌ في مكانٍ يتمتّع بمواردَ أقلّ أو بتطوّرٍ أقلّ، فهذا لا يبرِّرُ أن يعيش أناسٌ في كرامة أقلّ. يجب أن نردّد أن «الأكثر حظّاً يجب أن يتخلّوا عن بعض حقوقهم كي يضعوا خيراتهم، بأعظم تسامح، في خدمة الآخرين» [١٥٥]. للتحدّث عن حقوقنا، بطريقة صحيحة، يجب أن نوسّع أنظارنا ونفتح آذاننا لنسمع صراخَ الشعوب الأخرى والمناطق الأخرى من بلدنا. نحن بحاجة إلى النموّ في تضامن «يسمح لجميع الشعوب بأن يُصبحوا أنفسُهم صانعي قدَرهم»[١٥٦]، كما أن «كلَّ إنسانٍ مدعوٌّ إلى الترقّي»[١٥٧].

[١٥٤] المجلس الحبريّ «عدالةٌ وسلامٌ»: **مختصر عقيدة الكنيسة الاجتماعيّة**، الرقم 157.

[١٥٥] بولس السادس: الرسالة العامّة «**الثمانون القادمة**» (14 أيّار 1971)، الرقم 23: أ ك ر (*AAS*) 63 (1971)، 418.

[١٥٦] بولس السادس: الرسالة العامّة «**ترقّي الشعوب**» (26 آذار 1967)، الرقم 65: أ ك ر (*AAS*) 59 (1967)، 289.

[١٥٧] **المرجع نفسه**، الرقم 15: **المرجع نفسه**، 265.

191– في كلّ مكان وكلّ ظرف، يُدعى المسيحيّون، بتشجيعٍ من رعاتهم، إلى سماعِ صوتِ الفقراء، كما أحسن الإعرابَ عن ذلك أساقفة البرازيل: «نريد أن نضطلع كلَّ يوم بأفراح الشعب البرازيليّ وآماله، بقلقه وأحزانه، بالأخصّ سكان ضواحي المدن والمناطق الريفيّة – العادمي الأرضَ والسقفَ والخبزَ والصحّة – المغبونين في حقوقهم. وفيما نرى بؤسَهم ونسمعُ صراخَهم ونعرف أوجاعَهم، يشكّكنا أن نعرف بأن الغِذاء متوفّرٌ بما فيه الكفاية للجميع، وأن الجوعَ ناجمٌ عن سوءِ توزيع الخيراتِ والمداخيل. والمعضلةُ تتفاقم من انتشار ممارسة التبذير»[١٥٨].

192– لكنّا نأمل أيضاً في أكثر من ذلك، وحلمُنا يمتدُّ إلى ما هو أبعد. لا نتحدّث فقط عن تأمين الغذاء للجميع، أو «عيشٍ لائقٍ»، بل أن يعرف الجميعُ «الازدهار في كلّ مظاهره» [١٥٩]. وهذا يتطلّب تربيةً وبلوغاً إلى العناية الصحيّة، وبالأخصّ إلى العمل، لأن في العمل الحرّ، الخلاّق، المتقاسَم والمتضامِن يعبِّر الكائنُ البشريّ عن كرامة حياته وينمّيها. ويسمح الأجرُ العادلُ بالبلوغ الملائم إلى الخيراتِ الأخرى المعدّة للاستعمال المشترك.

[١٥٨] الندوة الوطنيّة لأساقفة البرازيل: *Exigências evangélicas e eticas de superaçâo da miseria e da fome* (نيسان 2002)، المدخل، الرقم 2.

[١٥٩] يوحنا الثالث والعشرون: الرسالة العامّة «**أمٌّ ومعلّمة**» (15 أيّار 1961) الرقم 2: أ ك ر (*AAS*) 53 (1961، 402.

الأمانة للإنجيل كي لا نسعى عبثاً

193- واجبُ سماع صوتِ الفقراء يتأصّل فينا عندما نضطرب في أعماقنا أمام عذاب الآخر. لنُعاودنَّ قراءَة بعضِ تعاليم كلمة الله حول الرحمة، كي يتردّد صداها بقوّةٍ في حياة الكنيسة. الإنجيلُ يعلن: «طوبى للرحماء، فإنهم يرحمون» (متى 5: 7). ويعلّم الرسولُ القديسُ يعقوبُ أنّ الرحمة نحو الآخرين تسمحُ لنا بأن نخرج منتصرين من الدينونة الإلهيّة: «فتكلّموا واعملوا كأنكم مزمعون أن تُدانوا بناموسِ الحريّة. فإنّ الدينونة ستكون بلا رحمة على من لا يصنعُ الرحمة؛ بيد أن الرحمةَ ستغلب الدينونة!» (2: 12-13). في هذا النصّ، يبدو يعقوب وارثاً لأغنى روحانيّة عبرانيّة لما بعد السبي، التي كانت تولي الرحمةَ قيمةً خلاصيّةً خاصّة: «...إفتدِ خطاياك بالصدَقة، وآثامكَ بالرحمة للبائسين، عسى أن تطول دعَتُك» (دا 4: 24). من هذا المنظور عينه، يتحدّث الأدبُ الحِكميُّ عن الصدقة كممارسةٍ حسيّة للرحمة نحو المحتاجين إليها: «الصدَقة تنجّي من الموت وتمحو الخطايا» (طو 12: 9). ويشوعُ بن سيراخ يعبّر عن ذلك أيضاً بطريقة طريفة: «الماءُ يطفىءُ النار الملتهبة، والصدَقةُ تكفّر الخطايا» (3:33). ويُعيد العهدُ الجديدُ الخلاصةَ عينها: «...أحبُّوا بعضُكم بعضاً محبَّةً شديدةً، لأن المحبّة تستُر جمّاً من الخطايا» (1 بط 4: 8). هذه الحقيقة نفذت عميقاً إلى ذهنيّة آباء الكنيسة وشكّلت مقاومةً نبويّة، كبديلٍ ثقافيّ، ضد

انفراديّة اللذّة الوثنية. نذكر مثلاً واحداً: «مثلما في خطر الحريق نسارع ونجلب الماءَ لإطفائه، [...]، كذلك، إذا هبَّ في قشّنا لهيبُ الخطيئة، واضطربنا من جرّائه، فعندما تتوفّر لنا فرصةُ عملِ رحمة، لنفرحنَّ لمثل هذا العمل وكأنه ينبوعٌ يُقدَّم لنا لنتمكّن من إطفاءِ الحريق»[١٦٠].

194– إنها رسالةٌ واضحةٌ، مباشرةٌ، بسيطةٌ وفصيحةٌ إلى حدٍّ أنَّ ولا تفسيرٌ كنسيٌّ يحقّ له أن يجعلها نسبيّة. تفكيرُ الكنيسة بشأن تلك النصوص يجب ألاّ يعتّم أو يُضعف معناها التحريضيّ، بل بالأحرى أن يساعد على الاضطلاع بها بشجاعة وحرارة. لماذا تعقيدُ ما هو بسيط؟ صُنعتِ الأدواتُ التصوّريّة كي تعزّز الاتصال مع الواقع الذي نبغي شرحَه، لا الابتعادَ عنه. وهذا يتطبّق قبل كلّ شيء على التحريضات البيبليّة التي تدعو، بكثيرٍ من الحزم، إلى المحبّة الأخويّة، إلى الخدمة المتواضعة والسخيّة، إلى العدالة، إلى الرحمة نحو الفقراء. علّمنا يسوعُ طريقَ التعرّف على الآخر بأقواله وأفعاله. لماذا تعتيمُ ما هو واضح؟ لا نهتّمنَّ فقط بألاّ نقع في أخطاءٍ عقيديّة، بل أيضاً بأن نكون أمناءَ لذلك الطريق النيِّر، طريق الحياة والحكمة. لأنه «يوجّه أحياناً، إلى المناضلين عن "استقامة الرأي"

[١٦٠] القديس أوغسطينس: *De Catechizandis Rudibus*، 1، 14، 22: **الآباء اللاتين** (PL) 40، 327.

(الأرثوذكسيّة = الإيمان القويم) ملامةُ عدم الاكتراث، والتسامح والتواطوء الأثيم إزاء أوضاعِ ظلم لا تطاق، وأنظمةٍ سياسيّة تتعهّد تلك الأوضاع»[١٦١].

195– عندما قصدَ القديسُ بولسُ الرسلَ في أورشليم، خشيةَ أن يركض أو يكون قد ركض عبثاً (را غل 2: 2)، أشاروا إليه أن معيارَ أصالَةِ الرسالة الأساسيّ هو ألاّ ننسى الفقراء (را غل 2: 10). هذا المعيارُ العظيم الذي صدَّ الجماعاتِ البولسيّة عن الاستسلام فيفترسَها نمطُ حياةِ الوثنيّين الانفراديّ، يتّسمُ بواقعيّة عظيمةٍ في الوضع الحاضر، حيث تنزع إلى التنامي صنَميّةٌ انفراديّةٌ جديدة. لا نستطيع دائماً أن نُظهر، بما فيه الكفاية، جمالَ الإنجيل، لكن يجب أن نُظهر دائماً هذه العلامة الفارقة: خيارَ الآخرين، خيارَ من ينبذهم المجتمعُ ويهمّشهم.

196– نبدو أحياناً قُساةَ القلب والفكر، ننسى، نتلهّى، نُعجب بقُدرات الاستهلاك الهائلة والتسلية التي يقدّمها المجتمع. يحدث هكذا نوعٌ من الاختلال الذي يُصيبنا جميعاً، بما أنّه «يختلُّ المجتمع عندما، في أشكالٍ تنظيمه الاجتماعيّ والإنتاج

[١٦١] مجمع عقيدة الإيمان: مذكّرة **«رسول الحريّة»** (6 آب 1984)، 11، 18؛ أ ك ر (*AAS*) 76 (1984)، 907–908.

والاستهلاك، يزيد في صعوبة تحقيق هذه العطيّة وفي صعوبة إنشاءِ هذا التضامن بين الناس»[١٦٢].

مكانة الفقراء المميَّزة في شعب الله

197– للفقراء المكانُ الفضلى في قلب الله، إلى حدٍّ أنه هو نفسُه «افتقر» (2 كو 8: 9). كلُّ طريق فدائنا يطبعه الفقراء. بلغَنا هذا الخلاصُ من خلال «نعَم» فتاةٍ وديعةٍ من قريةٍ صغيرةٍ ضائعةٍ على طرف إمبراطوريّة عظيمة. والمخلّص وُلد في مذود، بين الحيوانات، كما يحدث ذلك للأولاد الأكثر فقراً؛ قُدِّم إلى الهيكل مع فرخي حمام، عطيّةِ أولئك الذين لا يستطيعون أن يسمحوا لأنفسهم بدفع ثمن حمل (را لو 2: 24؛ أح 5: 7). ترعرع في بيت عمّال بسطاء وعمل بيديه كي يكسب رزقه. وعندما بدأ يبشّر بالملكوت، تبعته جموعٌ من المحرومين، وهكذا أعلن ما سبق وقال: «روحُ الربّ عليّ لأنه مسحني لأبشّر الفقراء» (لو 4: 18؛ إش 61: 1). وأكّد للمثقّلين بالألم والطاغي عليهم الفقر أن الله يحملهم في قلبه: «طوبى لكم، أيها الفقراء، فإن لكم ملكوت الله» (لو 6: 20)؛ وتماهى معهم: «كنت جائعاً فأطعمتموني»، معلّماً أن الرحمة معهم هي مفتاحُ السماء (را متى 25: 35 ي).

[١٦٢] يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامّة «**السنة المئة**» (الأول من أيّار 1991)، الرقم 41: أ ك ر (*AAS*) 83 (1991)، 844–845.

198– بالنسبة إلى الكنيسة، اختيارُها الفقراءَ هو مقولةٌ لاهوتيّة قبل أن تكون ثقافيّةً، اجتماعيّةً، سياسيّةً أو فلسفيّة. الله يمنحهم «رحمته الأولى» [١٦٣]. لهذا التفضيل الإلهيّ عواقبُ في حياة إيمان جميع المسيحيّين، المدعوّين إلى أن يكون لهم «من الأفكار ما هو في المسيح يسوع» (في 2: 5). الكنيسةُ، وقد استوحت التفضيلَ الإلهيّ، **اختارت الفقراء**، اختياراً يُفهم تحت «شكلٍ خاصٍّ من الأولويّة في ممارسة المحبّة المسيحيّة التي يشهدُ لها كلُّ تقليد الكنيسة» [١٦٤]. وهذا الاختيار – على حدِّ ما علّم بندكتوس السادسَ عشر – «هو ضمنَ الإيمان المسيحانيّ بذاك الإله الذي افتقر من أجلنا، كي يُغنينا بفقره» [١٦٥]. لهذا السبب، أريد كنيسةً فقيرةً لأجل الفقراء. إنّ لديهم الكثيرَ يعلّموننا إيّاه. علاوةً على مشاركتهم في **حسّ الإيمان** بآلامهم الخاصّة، فهم

[١٦٣] يوحنا بولس الثاني: **عظة أثناء القداس لأجل تبشير الشعوب بالإنجيل في سان–دومينغو** (11 تشرين الأول 1984)، الرقم 5: أ ك ر (*AAS*) 77 (1985) 354–361.

[١٦٤] يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامة: **«الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ»** (30 كانون الأول 1987)، الرقم 42: أ ك ر (*AAS*) 80 (1988)، 572.

[١٦٥] خطاب في الندوة الافتتاحيّة للجمعيّة العامّة الخامسة لمجلس أساقفة أميركا اللاتينيّة والكاراييب (13 أيّار 2007)، الرقم 3: أ ك ر (*AAS*) 99 (2007)، 450.

يعرفون المسيحَ المتألم. من الضروريّ أن ندعَهم يبشروننا جميعاً. التبشيرُ الجديدُ بالإنجيل هو دعوةٌ إلى أن نعترف بقوة وجود الفقراءِ الخلاصيّة، وإلى أن نضعهم في صميم مسيرة الكنيسة. إنّا مدعوّون إلى أن نكتشف المسيحَ فيهم، أن نعيرَهم صوتنا للدفاع عن قضاياهم، لكن أيضاً بأن نكون لهم أصدقاءَ، وأن نصغيَ إليهم، ونفهمَهم وأن نتقبّلَ الحكمة السرّيّة التي يريد اللهُ أن يبلّغنا إياها من خلالهم.

199– لا يقوم التزامنا، حصراً، على أعمالٍ أو برامجِ تنميةٍ ومساعدة؛ ما يوحي به الروحُ ليس طفحاً من النشاطيّة، بل قبلَ كلِّ شيء **اهتماماً** بالآخرَ الذي «يعتبره واحداً معه» [١٦٦]. تلك العنايةُ المحبّةُ هي مطلعُ اهتمام حقيقيّ بشخصه، وانطلاقاً من هذا الاهتمام أرغب في السعي الفعليّ لخيره. وهذا يتطلّب أن أقوّم الفقيرَ في طيبته الخاصّة، مع أسلوب كيانِه وثقافتِه وطريقتِه في عيشِ الإيمان. الحبُّ الحقيقيُّ هو دائماً تصوّفيٌّ، تأمليٌّ يسمح لنا بأن نخدم الآخَرَ لا عن اضطرارٍ ولا عن غرور، لكن لأنه جميل، في ما هو أبعدُ من مظاهره: «لأنّا نحبُّ شخصاً نقدّم له هدايا»[١٦٧]. والفقير، عندما يُحَبُّ «يقدّر بأغلى ثمن» [١٦٨]؛ وهذا

[١٦٦] القديس توما الأكوينيّ: **الخلاصة اللاهوتيّة**، II-II, q. 27, a. 2.

[١٦٧] **المرجع نفسه:** I-II, q. 110, a.1.

يمايز الاختيارَ الأصيلَ للفقراء عن أيّ إيديولوجيا، وعن أيّ نيّة في استخدام الفقراءِ لمصالحَ شخصيّةٍ أو سياسيّة. إنطلاقاً فقط من هذا القرب الحقيقيّ والودّي نستطيع أن نرافقهم، كما يليق، على طريق تحريرهم. بهذا فقط يمكن «أن يشعر الفقراءُ أنهم "في بيتهم"، في كلّ الجماعات المسيحيّة. أليس هذا الأسلوبُ هو التقديمُ الأعظم والأنجعُ ليشرى الملكوت الحسنة؟» [١٦٩]. بدون الاختبار التفضيليّ للأكثر فقراً، «الكرازةُ بالإنجيل، التي ما زالت أولَ أعمال المحبّة، يُخشى أن يُساءَ فهمُها أو أن تغرق في موجة عباراتٍ يعرّضنا لها يوميّاً مجتمعُ التواصل الراهن» [١٧٠].

200– بما أن هذا الإرشادَ موجّهٌ إلى أعضاء الكنيسة الكاثوليكيّة، أريدُ أن أقولَ بألم إن أسوأ تمييز يتألم منه الفقراء هو انعدامُ العناية الروحيّة. معظمُ الفقراءِ يتحلّون بانفتاح خاصٍّ على الإيمان؛ إنهم بحاجةٍ إلى الله، ولا يمكننا أن نحرمَهم صداقتَه، وبركتَه وكلمتَه والاحتفالَ بالأسرار واقتراحَ طريق نموٍّ ونضج في الإيمان. الاختبارُ التفضيليّ للفقراء يجب أن يعبّر عنه، بالأخصّ، بعناية دينيّة مميّزة وأولويّة.

---

[١٦٨] **المرجع نفسه:** I-II, q. 26, a.3.

[١٦٩] يوحنا بولس الثاني: الرسالة «**نحو ألفيّة جديدة**» (6 حزيران 2001)، الرقم 50: أ ك ر (*AAS*) 93 (2001)، 303.

[١٧٠] **المرجع نفسه.**

201- لا أحدَ يستطيع القولَ بأنه يتباعد عن الفقراء لأنّ خياراتِ حياته توجّه اهتماماتِه أكثرَ إلى مهامّ أخرى. هذا عذرٌ متواترٌ في الأوساط الأكاديميّة، والمؤسساتيّة والمهنيّة، وحتى الكنسيّة. ولَئِن قيلَ عموماً إن دعوةَ المؤمنين العلمانيّين ورسالتَهم الخاصّة هي تحويلُ الحقائق الأرضيّة المختلفة كي يبدّل الإنجيلُ كلَّ النشاط البشريّ [171]، إلاّ أنه لا أحدَ يستطيع أن يشعرَ بأنه معفىً من الاهتمام بالفقراء وبالعدالة الاجتماعيّة: «الارتدادُ الروحيُّ وشدةُ حبّ الله والقريب، والغيرة في سبيل العدالة والسلام، والمعنى الإنجيليُّ الخاصُّ بالفقراء والفقر، كلُّها فَرضٌ واجبٌ على الجميع» [172]. أخشى أن يؤول الأمرُ بهذا الكلام فقط إلى بعض التعليقات، دون التوصّلِ إلى نتائجَ عمليّة حقيقيّة. على الرغم من كلّ شيء، لي ملءُ الثقة بانفتاح المسيحيّين واستعداداتهم الطيّبة، وأطلب منكم أن تبحثوا جماعيّاً عن سبلٍ جديدة لتقبّل هذا الاقتراح المتجدّد.

الاقتصاد وتوزيع المداخيل

202- إن ضرورةَ حلّ أسبابِ الفقر البنيويّة لا يمكنها الانتظار، ليس فقط بسبب احتياجٍ عملانيّ للحصول على نتائج ولانتظام

[171] را **الإقتراح** 45.

[172] مجمع عقيدة الإيمان: مذكّرة «**رسول الحريّة**» (6 آب 1984)، 11، 18: أ ك ر (*AAS*) 76 (1984)، 908.

وضع المجتمع، بل لشفائه من مرضٍ يجعله هزيلاً ومَعيباً ولسوف يقوده إلى أزماتٍ جديدة. برامجُ المساعدة التي تواجه بعض الطوارىء يجب أن تُعتبَر فقط كحلولٍ آنيّةٍ عابرة. طالما لم تُحلَّ جذريّاً معضلاتُ الفقراء بالتخلّي عن استقلاليّة الأسواق المطلقة والمضارباتِ الماليّة، وبالتصدّي للأسباب البنيويّة للتفرقة الاجتماعيّة [١٧٣]، لن تُحلَّ معضلاتُ العالم، ولا، في النهاية، أيُّ قضيّة أخرى. التفرقة الاجتماعيّة هي أصل مصائب المجتمع.

203– كرامةُ كلِّ شخصٍ بشريّ والخيرُ العامُّ هما قضيّتان يجب أن ينظّما السياسةَ الاقتصاديّة كلَّها، وإذا بهما يبدوان أحياناً وكأنهما ملحقان أضيفا من الخارج لإكمال خطابٍ سياسيّ ليست له أبعادٌ، ولا برامجُ تطوّرٍ حقيقيّ كامل. في هذا الأسلوب، كثرةُ الكلام تُزعج! إنه لمزعجٌ الحديثُ عن توزيع الخيرات، إنه لمزعجٌ الحديثُ عن التضامن العالميّ، إنه لمزعجٌ الحديثُ عن الخلقيّات، إنه لمزعجٌ الحديثُ عن الدفاع عن الوظائف، إنه لمزعجٌ الحديثُ عن كرامة الضعفاء، إنه لمزعجٌ الحديث عن ربٍّ يتطلّب التزام العدالة. أحياناً أخرى، يحصلُ أن تصبحَ تلك

[١٧٣] هذا يتطلّب «إلغاء **الأسباب البنيويّة** التي تعطّل سير الاقتصاد العالميّ»، في: بندكتوس السادس عشر: **خطاب أمام السلك الدبلوماسيّ** (8 كانون الثاني 2007): أ ك ر (*AAS*) 99 (2007)، 73.

العبارات موضوعَ تلاعبٍ انتهازيّ يُلحق بها العار. اللامبالاةُ المريحةُ إزاء تلك القضايا يفرّغ حياتنا وأقوالنا من كلّ معنًى. دعوةُ الملتزم عملٌ نبيلٌ، إذ عليه أن يسائله على الدوام معنىً للحياة أوسعُ؛ فيُسمَح له حقّاً بأن يخدم الخيرَ العامّ، بالجهودِ التي يبذلها لمضاعفة خيرات هذا العالم، وجعلها في متناول الجميع.

204– لا نستطيع بعدُ أن نثقَ بقوى السوق العمياءِ وباليد الخفيّة. يتطلّب النموُّ في الإنصاف شيئاً ما أكثرَ من النموّ الاقتصاديّ، مع أنه يفترضه: إنه يطلب قراراتٍ وبرامجَ وآلياتٍ ومساراتٍ موجّهةً خصّيصاً نحو توزيعٍ أفضلَ للمداخيل، وخلقَ فرصِ عملٍ، وتعزيزاً كاملاً للفقراء يتعدّى مجرّدَ المساعدة. لا أفكرّ البتّة في طرح شعوبيّة لامسؤولة، إلاّ أن الاقتصاد لا يمكنه اللجوءُ إلى علاجاتٍ هي سُمٌّ جديد، كأنْ تُدَّعى زيادةُ المدخول بتقليص سوق العمل، فيُخلق هكذا منبوذون جدُد.

205– أسأل الله أن يزداد عددُ السياسيّين القادرين على الدخول في حوار صحيح يتوجّه بفعّاليّة إلى معالجة الجذور العميقة، لا فقط مظهرَ مصائب عالمنا! السياسة المندَّدُ بها هي دعوةٌ في غاية النبل، إنها أحدُ أشكالِ المحبّة الأثمن، لأنها تسعى للخير العام[١٧٤].

[١٧٤] را لجنة أساقفة فرنسا الاجتماعيّة: **إعادة الاعتبار إلى السياسة**، (17 شباط 1999)؛ بيوس الحادي عشر: **رسالة**، 18 كانون الأول 1927.

علينا أن نُقنعَ أنفسنا أن المحبّة «هي مبدأ ليس فقط صغرى- العلاقات: علاقات الصداقة والأسرة والجماعات المصغّرة، بل أيضاً مبدأ كبرى-العلاقات: العلاقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة»[١٧٥]. أسأل الربَّ أن يزوّدَنا بسياسيّين يهتمّون حقّاً بالمجتمع والشعبِ وحياة الفقراء! لا بدَّ من أن يرفع الحكامُ والسلطةُ الماليّة عيونهم ويوسّعوا منظور آفاقهم، وأن يعملوا فيتوفرَّ لجميع المواطنين عملٌ كريم، وتربيةٌ وعنايةٌ صحيّة. ولماذا لا نلجأ إليه تعالى فيوحيَ إليهم مخططاتهم؟ إني على يقين أنه، انطلاقاً من التسامي، يمكن أن تولد ذهنيّةٌ سياسيّةٌ واقتصاديّة جديدة، تساعدُ على تجاوز التباعد المطلق بين الاقتصاد والخير الاجتماعيّ العامّ.

206- الاقتصاد (الإيكونوميّا)، كما تعنيها الكلمة [اليونانيّة] نفسُها، يجب أن يكون فنَّ البلوغ إلى حسن تدبير البيت المشترك، الذي هو العالم قاطبةً. كلُّ عملٍ اقتصاديّ ذي بُعدٍ يتمُّ في جزءٍ من الأرض، تتردّدُ أصداؤه على المجموعة؛ بالتالي، لا تستطيع أيُّ حكومة أن تتصرّف خارجاً عن مسؤوليّة مشتركة. في الواقع، تتفاقم الصعوبة دائماً في وجود حلولٍ على المستوى المحلّي بسبب التناقضات العالميّة الضخمة، لذلك تواجه السياسةُ

[١٧٥] بندكتوس السادس عشر: الرسالة العامّة «**المحبّة في الحقيقة**» (12 حزيران 2009)، الرقم 2: أ ك ر (*AAS*) 101 (2009)، 642.

المحليّة معضلاتٍ عديدة تنتظر حلاً. إذا كنّا نريد حقّاً بلوغ اقتصادٍ عالميّ سليم، يُحتاج في هذه المرحلة التاريخيّة، إلى نوعٍ من التدخّل أكثر فعّاليّة يؤمّن، مع الحفاظ على استقلاليّة الدول، رفاهةً اقتصاديّةً لجميع البلدان لا لأفراد فقط.

207- كلُّ جماعة الكنيسة، بمقدار ما تدّعي الحياد، بدون أن تهتمَّ بطريقةٍ خلاّقةٍ وبدون أن تُسهم بفعّاليّة كي يعيشَ الفقراءُ بكرامة ويتمَّ إدماجُهم جميعاً، تتعرّض أيضاً للزوال، حتى إذا تحدّثت عن مواضيعَ اجتماعيّةٍ أو انتقدت الحكومات. ولسوف يؤول بها الأمرُ بسهولة إلى أن تتغلّب عليها الدنيويّةُ الروحانيّة، المستترةُ تحت ممارساتٍ دينيّة ترافقها اجتماعاتٌ عقيمة وخُطبٌ فارغة.

208- إذا استاءَ أحدٌ من كلامي، أقول له إني أتفوّه بها بعطفٍ وبأحسنِ النيّات، بعيداً عن أيّ مصلحة شخصيّة أو إيديولوجيّا سياسيّة. كلامي ليس كلامَ عدوٍّ أو معارض. ما يهمُّني هو أن أعملَ بحيث إن الذين هم عبيدُ ذهنيّة انفراديّة، لامباليةٍ وأنانيّة يستطيعون أن يتحرّروا من تلك الغلالات الشائنة، ويتبنّوا أسلوبَ حياةٍ وفكرٍ أكثرَ إنسانيّة، وأنبلَ وأخصبَ، يولي كرامةً لمرورهم على هذه الأرض.

الاعتناءُ بسرعة العطب

209- يسوعُ، المبشّرُ بالإنجيل بامتياز والإنجيل بشخصه يتماهى بالأخصّ مع الأصاغر (را متى 25: 40). يذكّر هذا

بأنّا نحن جميعَ المسيحيّين مدعوّون إلى الاهتمام بالأكثر عطباً على الأرض. لكن في النمط الحاليّ من ادّعاء "نجاحٍ" و"حقٍّ خاصّ"، لا يبدو أن هناك معنىً لتكريس الذات فيتمكّنَ من شقّ طريقٍ في الحياة أولئك الذين هم في المؤخّرة، والضعفاءُ والمحرومون.

210- لا بدّ من التنبّه إلى أشكال الفقر والهشاشة الجديدة التي، من خلالها، نحن مدعوّون إلى التعرّف على المسيح المتألّم، حتى إذا في الظاهر لا يعود ذلك علينا بالمنافع الملموسة والفوريّة: في المتشرّدين والمدمنين على المخدّرات واللاجئين والشعوبِ الأصيلة أصحابِ الأرض، والمسنّين المرذولين وحدَهم والمهملين إلخ. يواجهني النازحون بتحدٍّ خاصّ لأني راعي كنيسة لا حدودَ لها، تشعر بأنها أمُّ الجميع. بالتالي، أحرّض البلدان على انفتاحٍ سخيٍّ يكون قادراً على خلق حصيلةٍ ثقافيّة جديدة، بدلاً من الخوف على تحطيم الهويّة المحليّة. يا لجمالِ المدن التي تتجاوز الريبة الفاسدة وتدمج من هم مختلفون وتجعل من ذلك الاندماج عاملَ تطوّرٍ جديداً! يا لجمالِ المدن التي، حتى في هندستها، تحوي مساحات تجمع وتوفّر العلاقة وتعزّز الإعترافَ بالآخر!

211- لقد أحزنني دائماً وضعُ أولئك الذين هم عرضةٌ لأشكال تجارة البشر المختلفة. أودُّ أن نسمعَ صوتَ الله يسألنا جميعاً:

«أين أخوك؟» (تك 4: 9). اين أخوك العبد؟ أين ذاك الذي تعمل على قتله كلَّ يوم في المصنع الصغير المستتر، في شبكة الدعارة، في الأولاد الذين تستخدمهم للتسوّل، في ذاك الذي يضطرُّ إلى العمل، خفيةً، لأنه لم ينتظم وضعه؟ لا تتظاهرنَّ باللامبالاة. هناك العديد من التواطؤات. والقضيّة تعني الجميع! لقد تملّك هذا الجرمُ المافياويُّ الشاذّ على مدننا، وكثيرون يتصبّب الدمُ من أيديهم، من جرّاء تواطوءٍ مرفِّهٍ وصامت.

212- مضاعَفٌ هو فقرُ النساءِ اللواتي يتألمنَ من أوضاع إقصاءٍ وسوءِ معاملةٍ وعنف، لأنه غالباً ما يكنَّ في أضعف الإمكانات للدفاع عن حقوقهنَّ. إلاّ أنّا نجد عندهنَّ دائماً أبدعَ أعمال البطولة اليوميّة في صيانة هشاشة أسَرهنَّ والعناية بها.

213- بين أولئك الضعفاءِ الذين تريدُ الكنيسة الاهتمامَ بهم بمعزّة خاصّة، هناك ايضاً الأجنّة الذين همُ الأكثرُ حرماناً من الحماية بين الجميع والأكثرُ براءةً، ويُريدون أن يُنكروا عليهم اليومَ الكرامةَ البشريّة ليتمكّنوا من العملِ بهم ما يطيبُ لهم، بحرمانهم الحياة، وبتعزيز سَنِّ شرائعَ لا يستطيع أحدٌ أن يمنعَ سَنَّها. وغالباً ما يقدّم موقفُ الكنيسة، للاستهزاءِ بقوّةٍ من دفاعها عن الأجنّة، كشيءٍ إيديولوجيّ، ظلاميّ ومحافظ. ومع ذلك، فهذا الدفاع عن الحياة التي ستولد مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بالدفاع عن جميع الحقوق الإنسانيّة. وهو يقتضي القناعة بأنَّ كلَّ كائنٍ

بشريّ هو دائماً مقدّس ومصون، في أيّ وضع كان، وفي كلّ مرحلة من مراحل تكوينه. الدفاعُ عن الجنين هدفٌ بحدّ ذاته، وليس البتّةَ وسيلةً لحلّ مصاعبَ أخرى. وإذا ما انتفت تلك القناعة فلن تبقى أسسٌ راسخةٌ وثابتةٌ للدفاع عن الحقوق الإنسانيّة التي ستكون دائماً خاضعةً للمناسبات المحتملة التي تخطر على بال عظماءِ الساعة. العقلُ وحده كافٍ للتعرّف على قيمة كلّ حياة إنسانيّة التي لا يمكن انتهاكها، لكن إذا تطلّعنا إليها أيضاً من وجهة نظر الإيمان نجد «أن كلّ انتهاكٍ لكرامة الكائن البشريّ الشخصيّة يستصرخ انتقاماً في حضرة الله ويُصبح إهانة لخالق الإنسان»[١٧٦].

214– بالطبع ولأنّ الأمر يخصُّ قضيّةً تعني تناسق رسالتنا الداخليّ، حول قيمة الشخص البشريّ، فلا ينتظرنّ أحدٌ أن تبدّل الكنيسة موقفَها من هذه القضيّة. أريد أن أكون كليّ النزاهة بهذا الشأن. هذه القضيّة لن تخضع لأيّ إصلاحاتٍ مزعومة أو أيّ "تحديثات". ليس من التطوّر بشيءٍ إدّعاءُ حلّ المعضلات بإزالة حياة بشريّة. لكن من الصحيح أيضاً أنّا قلّما عملنا لنرافق، كما يليق، النساءَ الموجوداتِ في أوضاع قاسيةٍ للغاية، حيث يبدو الإجهاضُ لهنّ كحلٍّ سريع لقلقهنّ العميق، بالأخصّ عندما تكون

[١٧٦] يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسوليّ «**العلمانيّون المؤمنون بالمسيح**» (30 كانون 1988)، الرقم 37: أ ك ر (*AAS*) 81 (1989)، 461.

الحياة النامية في أحشائهن هي نتيجةُ عنف، أو في إطار فقر مدقع. من له ألاّ يفهمَ هذه الأوضاعَ المؤلمةَ للغاية؟

215- هناك كائناتٌ أخرى سريعةُ العطب وتفتقد إلى حماية، وهي غالباً ما تكون تحت رحمة المصالح الاقتصاديّة أو تُستهلكُ بدون تمييز. أتحدّث عن مجمل الخليقة. بصفتنا كائناتٍ بشريّةً، لسنا المنتفعين الوحيدين، بل نحن حرّاسُ الخلائق الأخرى. مقابلَ واقعنا الجسديّ، وحّدنا اللهُ وحدةً وثيقةً مع العالم المحيط بنا إلى حدٍّ أنّ تصحُّرَ الأرض هو داءٌ يصيبُ كلاًّ منّا؛ ويمكننا أن نتفجَّعَ على انقراضِ نوعٍ وكأنه بَترٌ. لا نعملنّ بحيث إنه، على أثر عبورنا، تظهر علاماتُ الدمار والموت التي تضرب حياتَنا وحياةَ أجيال المستقبل[١٧٧]. بهذا المعنى، أتبنّى التفجّعَ الجميلَ والنبويَّ الذي أطلقه، منذ سنوات، اساقفةُ الفيليبّين: «كانت تعيش في غابتنا تشكيلةٌ رائعةٌ من الحشرات التزمَت العديدَ من المهمّات [...] وكانت العصافير تطيرُ في الجوّ، وريشُها اللامع وأغانيها المختلفة تضفي ألواناً وألحاناً على أخضرار الغابات [...] أراد اللهُ لنا هذه الأرضَ، وخلائقَها الخاصّة، لكن لا لنتمكّن من تدميرها وتحويلها إلى أرضٍ صحراويّة [...] كيف يمكنُ الأسماكَ أن تسبح في هذه المجرور، كنهر باسيك، وعددٍ من الأنهار الأخرى التي لوثّناها؟

[١٧٧] را **الاقتراح** 56.

من حوّل عالمَ البحر الرائع إلى مقابرَ تحبحريّة فاقدةٍ الحياة والألوان؟»[١٧٨].

216- نحن، جميعَ المسيحيّين، الصغارَ ولكن الأقوياء في حبِّ الله، كالقديس فرنسيسَ الأسيزي، مدعوّون إلى الاعتناءِ بهشاشة الشعب والعالم الذي نعيش فيه.

الخيرُ العامّ والسلامُ الاجتماعيّ

217- تحدّثنا كثيراً عن الفرح والحبّ، لكن كلمة الله تنوّه أيضاً بثمرة السلام (را غل 5: 22).

218- لا يمكن فهمُ السلام الاجتماعيّ كمثل هدوءٍ سلميّ أو كمجرّد غيابِ عنفٍ يُحصَلُ عليه بفرض قطاعٍ على القطاعات الأخرى. ولسوفَ يكونُ أيضاً سلاماً مزيّفاً ذلك السلامُ المستخدَمُ ذريعةً لتبرير تسلّطِ منظمةٍ اجتماعيّة تفرضُ الصمتَ والسكينةَ على الأكثر فقراً، بحيث يستطيعُ المستحوذون على أعظم المنافع الحفاظَ على أسلوبِ حياةٍ هانئة، فيما الآخرون يبقَون على قيد الحياة قدر ما يمكنهم. المطالباتُ الاجتماعيّةُ المتعلّقةُ بتوزيع المداخيل، واندماجُ الفقراء الاجتماعيّ والحقوقُ الإنسانيّة لا

[١٧٨] مجلس أساقفة الفيليّبين: الرسالة الراعويّة **«ماذا حصلَ بأرضنا الجميلة؟»** (29 كانون الثاني 1988).

يمكن أن تُخمدَ وتُخنقَ بحجّة بناءِ تفاهمٍ بيروقراطيٍّ أو سلامٍ عابر، لصالح أقليّةٍ سعيدة. كرامةُ الشخص البشريّ والخيرُ العامُّ يعلوان طمأنينة بعض الذين لا يريدون التخلّي عن امتيازاتهم. عندما تُمسُّ تلك القيَم، من الضروريّ أن يُسمعَ صوتٌ نبويٌّ.

219– والسلامُ، كذلك، «لا يقتصرُ على غياب الحروب، ثمرةِ توازن القوى غيرِ المضمونِ دائماً. يُبنى السلامُ يوماً بعد يوم، بمتابعة نظام إرادة الله، ويشمَلُ عدالةً أكمل بين البشر» [١٧٩]. بالنهاية، لا مستقبلَ لسلامٍ ليسَ ثمرةَ نموِّ الجميع الكامل، ولسوف يكون على الدوام بذارَ نزاعاتٍ جديدةٍ وأشكال عنفٍ مختلفة.

220– في كلّ دولة، ينمّي السكانُ بُعدَ حياتهم الاجتماعيّ، بانتظامهم مواطنين مسؤولين ضمنَ شعب، لا كجماعةٍ تستعبدُها قوّى متسلّطة. لنتذكّرنّ أنّ «المواطنَةَ الأمنيةَ هي فضيلة، والمشاركةَ في الحياة السياسيّة واجبٌ أدبيّ» [١٨٠]. لكنّ صيرورةَ الناسِ **شعباً** هي أكثر من ذلك، إنها تتطلّب مساراً دائماً، يجدُ فيه كلُّ جيلٍ جديد نفسَه ملتزماً. إنه لعملٌ بطيءٌ وشاقٌّ يتطلّب منّا اندماجاً يُتعلَّم إلى حدٍّ إنماءِ ثقافة اللقاء في تناسقٍ متعدِّد الأشكال.

[١٧٩] بولس السادس: الرسالة العامّة «**ترقّي الشعوب**» (26 آذار 1967)، الرقم 76: أ ك ر (*AAS*) 59 (1967)، 294–295.

[١٨٠] مجلس أساقفة الولايات المتحدة الكاثوليك: الرسالة الراعويّة«*Forming Consciences for faithful Citizensphip*» (2007), 13.

221– للتقدّم في بناءِ شعب مسالمٍ وعادلٍ أخويّ، لدينا أربعةُ مبادىءَ مرتبطة بتوتّراتٍ ثنائيّة الأقطاب تخصُّ كلَّ واقع اجتماعيّ. إنها تنجم عن المسلّماتِ الكبرى المتعلّقة بعقيدة الكنيسة الاجتماعيّة، التي تشكّل «معلَمَ المرجعيّة الأولَ والأساسيَّ لتفسير الظواهر الاجتماعيّة وتقويمها»[١٨١]. على ضوءِ ما سبق، أودُّ أن أقترح الآن هذه المبادىءَ الأربعةَ التي توجّه، بنوعٍ خاصٍّ، تنميّةَ التعايش الاجتماعيّ وبناءَ شعبٍ تتناسق فيه الاختلافاتُ ضمن مشروعٍ مشترك. أقوم بذلك لاقتناعي بأن تطبيقها يمكن أن يكون سبيلاً أكيداً نحو السلام في كلّ دولةٍ وفي العالم أجمع.

الزمنُ أسمى من المساحة

222– هناك توترٌ ثنائيُّ القطب بين الامتلاءِ والحدّ. الامتلاءُ يسبّب إرادة امتلاء الكلّ، والحدُّ هو الجدارُ الذي ينتصب أمامنا. "الزمن"، في معناه الواسع، يُرجع إلى الامتلاء، باعتباره الأفقَ المنفتحَ أمامنا، والبرهة هي تعبيرٌ عن الحدِّ الذي يُعاش في مساحةٍ محدَّدة. والمواطنون يعيشون في توتّر بين ظرفِ البرهة ونور الزمن، وأفقٍ أوسع، وحلمٍ خياليّ يفتح على المستقبل كعلّةٍ

[١٨١] المجلس الحبريّ «عدالة وسلام»: **مختصر عقيدة الكنيسة الاجتماعيّة**، الرقم 161.

غائيّةٍ تجذُب. من هنا ينبعث مبدأٌ أولُ للتقدّم في بناءِ شعبٍ: الزمنُ أسمى من المساحة.

223- يسمحُ هذا المبدأ بأن نعمل لأجَلٍ طويل، دون أن تُهوسَنا النتائجُ المباشرة. ويساعدُ على التحمّل بصبرٍ الأوضاعَ الصعبةَ والمضادّة، أو تبدّلاتِ المخططات التي تفرضها ديناميّة الواقع. إنه دعوةٌ إلى تحمّل التوتّر بين الامتلاءِ والحدّ، مع منح الزمنِ الأولويّة. إحدى الخطايا التي تُصادَفُ في النشاط الاجتماعيّ – السياسيّ تقومُ على تفضيلِ مساحاتِ السلطة، أولى من أزمنةِ المسارات. إسداءُ الأولويّة للمساحة يُفضي بنا إلى الجنون لحلّ كلّ شيءٍ في البرهة الحاضرة، سعياً للسيطرة على جميع مساحات السلطة والتأكيد الذاتيّ. هذا ما يجمّد المسارات ويدّعي الإمساك بها. إيلاءُ الأولويّة للزمن هو الاهتمامُ **بإنشاءِ مساراتٍ أولى من السيطرة على المساحات** . الزمنُ ينظم المساحات، ينيرها ويحوّلها إلى زريداتِ سلسلةٍ دائمةِ النموّ، لا رجوعَ فيها. المقصودُ هو تفضيل أعمالٍ تولّد ديناميّاتٍ جديدةً في المجتمع، وتُلزم أشخاصاً وجماعاتٍ كي تطوّرها وتنمّيها، إلى أن تؤتيَ ثماراً بشكل أحداثٍ تاريخيّة هامّة، بدون قلق، لكن مع قناعاتٍ واضحة، وإصرار.

224- أتساءَل أحياناً من هم، في عالم اليوم، الذين يهتمّون حقّاً بإيجاد مساراتٍ تبني شعباً، أكثرَ من أن تحصلَ على نتائجَ

مباشرةٍ تُنتجُ أيراداً سياسيّاً سهلاً وزائلاً، لكنها لا تبني الامتلاءَ البشريّ. سيدينهم التاريخُ لربّما وفقاً للمعيار الذي ذكره رومانو غوارديني: «المثال الأوحدُ كي يقوّم عصرٌ، بطريقة صحيحة، هو أن يُسألَ إلى أيِّ حدٍّ تطوّر فيه **كمالُ الوجود الإنسانيّ**، وبلَغَ سببَ كيانه الحقيقيّ، بالاتفاق مع طابع ذاك العصر نفسِه الخاص وإمكاناته»[١٨٢].

225– وهذا المعيارُ يطبَّق أيضاً على التبشير بالإنجيل الذي يتطلّب أن يكون لنا أفقٌ وأن نتبنّى المسارات الممكنة والطرقاتِ الفسيحة. والربُّ نفسُه، في حياته على الأرض، قد أفهم تلاميذَه، مرّاتٍ عديدة، أنَّ هناك أشياءَ لا يستطيعون فهمَها الآن، وأنه من الضروريّ انتظارُ الروح القدس (را يو 16: 12–13). مثَلُ القمح والزؤان (را متى 13: 24–30) يصف مظهراً هامّاً من التبشير بالإنجيل يقوم على تبيان كيف أن العدوّ يمكنه أن يحتلَّ مساحة الملكوت ويعطلّها بالزوءان، لكنّ يغلبُه الزرعُ الطيّب الذي ينبت في حينه.

الوحدة تتفوّق على النزاع

226– لا يمكن أن نتجاهل النزاع أو نخفيَه. يجب أن نتحمّله. لكن إذا وقعنا سجناءَ فيه نفقد بعدَ النظر وتضيق الآفاق والحقيقة

[١٨٢] *Das Ende der Neuzeit*, Würzburg 9/1965, 30-31.

نفسها تلبث مجزَّأة. عندما نتوقف عند واقع نزاع، نفقد وحدة الحقيقة العميقة.

227– إزاءَ نزاع، ينظر البعضُ إليه فقط ويجتازونه، وكأن شيئاً لم يكن، ويتبرَّأون من متابعة حياتهم. ويلجُ آخرون في النزاع، بحيث يصبحون سجناءَه ويفقدون الأفقَ ويُلقون على المؤسّسات فوضاهم الشخصيّة وعدمَ رضاهم، بحيث تصبح الوحدةُ غيرَ ممكنة. لكن هناك سبيلٌ ثالثٌ، وهو الأوفق، يقضي بمواجهة النزاع، والقبولِ بتحمّله وحلّه وتحويله إلى زَريدةٍ من مسارٍ جديد. «طوبى لصانعي السلام» (متى 5: 9).

228– بهذه الطريقة، يمكن إنماءُ شراكةٍ في الاختلافات، يسهّلُ أمورَها فقط أولئك الأشخاصُ النبلاءُ الذين يحزمون أمرهم لتعدّي مساحة النزاع، وينظرون إلى الآخرين في أعماق كرامتهم. لذلك، يجب أن نسلّم بمبدإٍ لا يمكن الاستغناءُ عنه لبناءِ صداقةٍ اجتماعيّة: الوحدةُ أسمى من النزاع. يصبح التضامنُ هكذا، بمفهومه الأعمق وبصفته تحدّياً، طريقةً لصنع التاريخ، وميداناً حيويّاً حيث يمكن النزاعاتِ والتوتّراتِ والتناقضاتِ أن تبلغ وحدةً متعدّدةَ الأشكال، وحدةً تولّد حياةً جديدة. ليس المقصودُ أن نهدف إلى مبدإ التوفيقيّة (*syncrétisme*)، ولا إلى استيعابِ الواحد في الآخر، لكن إلى حلٍّ على مستوًى أسمى يحافظ، في ذاته، على قدراتِ الأقطاب المضادّة النفيسة.

229– يذكّرنا هذا المقياسُ الإنجيليُّ بأنّ المسيحَ قد وحّد كلَّ شيء في ذاته: السماءَ والأرض، اللهَ والإنسان، الزمن والأبديّة، الجسدَ والروح، الفردَ والمجتمع. العلاقةُ المميِّزة لهذه الوحدة، ولمصالحة كلِّ شيءٍ في ذاته هي السلام: المسيحُ «هو سلامُنا» (أف 2: 14). تبدأ الكرازةُ بالإنجيل دائماً بتحيّة السلام، وفي كلّ وقت يكلّل السلامُ العلاقاتِ بين التلاميذ ويُعطيهم تماسكاً. أصبح السلامُ ممكناً لأن الربّ غلب العالم ونزاعاتِه الدائمة «بإقراره السلامَ بدمِ صليبه» (كو 1: 20). لكن إذا ما أنعمنا النظر في تلك النصوص البيبليّة لاكتشفنا أن أول ميدانٍ نُدعى فيه إلى اكتساب إحلال السلام وسَط الاختلافات، هو داخليّتُنا، حياتُنا الشخصيّة التي يهدّدها على الدوام التشرذمُ الجدَلي [١٨٣]. بقلوبٍ محطَّمةٍ تحطيماً، يصعبُ بناءُ سلام اجتماعيّ أصيل.

230– إعلانُ السلام ليس إعلانَ سلامٍ بالتفاوض، لكن الاقتناعَ بأن وحدة الروح تنسّق كلَّ الاختلافات. إنه يتعدّى كلّ نزاع بتوليفٍ (*synthèse*) جديدٍ واعدٍ. الاختلافُ جميلٌ عندما يرضى الدخولَ دوماً في مسار مصالحة، يقضي إلى إبرام نوعاً من عهدٍ ثقافيّ يولّد "اختلافاً متصالحاً"، كما أحسن تعليم ذلك أساقفة

[١٨٣] I. Quiles, S.I., *Filosofia de la educación rsonalista*, ed. Depalma, Buenos Aires,1981, pp. 46-53.

الكونغو: «اختلافُ إثنيّاتنا هو غنىً [...] في الوحدة فقط وارتداد القلوب والمصالحة نستطيع أن نتقدّم ببلدنا»[١٨٤].

الواقعُ أهمُّ من الفكرة

231– هناك أيضاً نزاعٌ ثنائيُّ القطبِ قائمٌ بين الفكرة والواقع. فالواقع كائنٌ، فقط لا غير؛ الفكرة تتهيَّأ. فمن الواجبِ إقامةُ حوارٍ دائمٍ بين الاثنين، مع تحاشي البلوغ، في النهاية، إلى فصل الفكرة عن الواقع. إنه لخطرٌ العيش تحت هيمنة الكلمة وحدَها والصورة والسفسطة. إنطلاقاً من هنا، نستنتج أنه يجب أن نسلِّم بمبدإٍ ثالث: الواقع أسمى من الفكرة. وهذا يفترض تحاشيَ طرقٍ مختلفة تخفي الواقع: الصفائيّاتِ الملائكيّة، توتاليتاريّاتِ النسبيّة، الاسميّاتِ التقريريّة، المشاريعِ الشكليّة أكثر منها حقيقيّة، الأصوليّاتِ المضادّةِ للتاريخ، الخلقيّاتِ الفاقدة الصلاح، العقلانيّات العديمة الحكمة.

232– الفكرةُ – الإعداداتُ التصوّريّة – ترتبط بالإحساس، بالفهم وبمسيرة الواقع. الفكرة المنقطعة عن الواقع هي مصدرُ المثاليّاتِ والاسميّاتِ غير المجدية، التي، على أحسن وجه، تصنِّف وتحدِّد، لكنها لا تُلزم. ما يُلزم هو الواقع الذي ينيره

[١٨٤] اللجنة الدائمة لمجلس أساقفة الكونغو الوطنيّ: **رسالة حول الوضع الأمنيّ في البلد** (5 كانون الأول 2012)، الرقم 11.

التفكير. يجب العبور من الاسميّة السّكليّة إلى الموضوعيّة المتناغمة. وإلاّ، يُتلاعب بالحقيقة، تماماً كما تُبدَّل الرياضة بالتجميل[١٨٥]. هناك سياسيّون – وكذلك قادةٌ دينيّون – يتساءلون لماذا الشعبُ لا يفهمهم ولا يتبعهم، مع أنّ اقتراحاتهم منطقيّة وواضحة. لأنهم لربّما تربّعوا على عرش الفكر الصافي وقلّصوا السياسة أو الإيمان إلى مجرّد بلاغة. وآخرون نسُوا البساطة واستوردوا من الخارج عقلانيّةً غريبةً عن الناس.

233– الواقعُ أسمى من الفكرة. يرتبط هذا المقياسُ بتجسّد الكلمة وبوضع ذلك التجسّد حيّزَ التنفيذ: «بهذا تعرفون روحَ الله: إنَّ كلَّ روح يعترفُ بأنَّ يسوعَ المسيحَ قد أتى في الجسد، هو من الله» (1 يو 4: 2). إن مقياسَ واقعِ كلمةٍ تجسّدت وتسعى دائماً للتجسّد هو ضروريّ للتبشير بالإنجيل. إنه يحملنا، من جهة، على إضفاءِ قيمةٍ على تاريخ الكنيسة بصفته تاريخَ الخلاص، وعلى تذكّر قدّيسينا الذين زرعوا الإنجيلَ في حياةِ شعوبنا، وعلى اقتطاف تقليد الكنيسة الثريّ ذي الألفي سنةً، غيرَ مدّعين أنّا ننمّي فكرةً منفصلة عن هذا الكنز، كأنّا نريد أن نخترع الإنجيل. من جهة أخرى، يحثُّنا هذا المقياسُ على وضع الكلمة حيّزَ التنفيذ وعلى تحقيق أعمالِ برٍّ ومحبّة تصبح فيها تلك الكلمة خصبةً. عدمُ التنفيذ وعدمُ إدماج الكلمة في الواقع يشبهان

[١٨٥] را أفلاطون: **غورجياس**، 465.

البناءَ على الرمل، والبقاءَ في مجرَّد الفكرة، والوقوعَ في الحميميّة والغنوصيّة المجدبتَين واللتين تجعلان ديناميّة الكلمة عقيمة.

الكلُّ أسمى من الجزء

234– بين العولمة والمحليّة (*localisation*) يحدث أيضاً توتّر. يجب التنبّه للبعد العالمي لئلاّ نقع في دناءَة يوميّة. وفي الوقت عينه، يجب ألاّ يغربَ عن نظرنا ما هو محليّ، وما يجعلنا واقعيّين. إتحادُ هذين القطبين يوفّر علينا السقوط في أحدِ الطرفَين: الواحدِ، بأن يعيش المواطنون في عولمةٍ مبهمةٍ وشاملة، وكأنهم ركابُ عربة القطار الأخيرة، تعجبهم ألعابُ العالم الناريّة، ألعابُ الآخرين، فاغرين الفم، مع تصفيق مبرمج. والآخر، أن يتحوّل المواطنون إلى مُتحفٍ فولكلوريّ لنسّاك حبساء، مقضيٍّ عليهم بأن يردّدوا دائماً الأشياءَ نفسها، عاجزين عن أن يناديَهم ما هو مختلف، وعن تقدير الجمال الذي يفيضُه الله خارج حدودهم.

235– الكلُّ أكثرُ من الجزء، وأكثر أيضاً من مجرّد مجموع تلك الأجزاء. وبالتالي، يجب ألاّ تُهوسَنا كثيراً قضايا محدودةٌ وخاصةٌ. يجب على الدوام توسيعُ أفق النظر للتعرّف على خيرٍ أعظمَ يعود بالمنفعة على الجميع. لكن من الجدير أن يتمّ ذلك دون هروب واستئصال. من الضروريّ أن نغرزَ جذورَنا في

الأرض الخصبة وفي تاريخ المكان الخاصّ الذي هو عطيّة من الله. نعمل على ما هو صغير، على ما هو قريب، لكن في منظور أوسع. بالطريقة نفسها، عندما يحافظُ شخصٌ على خصوصيّته الشخصيّة ولا يُخفي هويّته، ويندمجُ بإخلاصٍ في جماعة، لا يُعدمُ الوجود، بل يتقبّلُ دائماً حوافزَ جديدةً تُسهم في تطوّره الخاصّ. فلا هي الكرة الشاملة التي تُقدمُ الوجود، ولا هي الجزئيّة المنعزلةُ التي تُعقم.

236– المثالُ ليس هو الكرة التي لا تسمو على الأجزاء، حيث كلُّ نقطة هي متساويةُ البعد عن المحور، وحيث لا فرقَ بين نقطة وأخرى. المثالُ هو الشكلُ المتعدّدُ السطوح (*polyèdre*) الذي يعكس التقاءَ العناصر الجزئيّة كلّها، التي تحافظ فيه على أصالتها. أكان العملُ الراعويّ أم العملُ السياسيّ فكلاهما يسعيان لاجتناء أفضلَ ما عندَ الآخر، في الشكل المتعدّد السطوح. فيشمل الفقراءَ مع ثقافتهم، ومشاريعهم وقدراتهم الخاصّة. حتى الأشخاصُ الممكنُ انتقادُهم بسبب أخطائهم لديهم ما يُسهمونَ به، فيجب ألاّ يضيع. إنه التقاءُ الشعوب المحافِظة، في الترتيب الشامل، على خصوصيّتها؛ إنه مجموعُ الأشخاص المنضمّين جميعاً في الحقيقة، في مجتمع يسعى للخير العام.

237– هذا المبدأُ يحدّثنا أيضاً، نحن المسيحيّين، عن مجموع وكمالِ الإنجيل الذي تُسلِّمنا إيّاه الكنيسةُ وتُرسلنا للتبشير به. إنّ

ملءَ غناه يشمل الأكاديميّين والعمّال، رؤساءَ المصالح والفنانيّن، جميعاً. ويتقبّل «التصوّفُ الشعبيُّ» على طريقته الإنجيل برمّته، ويفعّله تحت شكل صلاةٍ وأخوّةٍ وعدالةٍ ونضالٍ وعيد. البشرى الحسنة هي فرحُ أبٍ لا يريد أن يضيع أحدٌ من صغاره. هكذا ينبعث فرحُ الراعي الصالح الذي يجدُ النعجةَ الضائعةَ ويُعيدها إلى القطيع. الإنجيلُ هو الخميرةُ التي تخمّر العامّة كلَّها، المدينةُ التي تسطع في أعلى الجبل منيرةً جميعَ الشعوب. يملك الإنجيلُ مقياسَ كمالٍ يلازمه: فهو ما يبرحُ البشرى الحسنة ولئن كان لم يُكرز به للجميع، ولم يُخصِبْ ولم يَشفِ جميعَ أبعادِ الإنسان، ولم يجمعْ كافّةَ البشر إلى مائدة الملكوت. الكلُّ أسمى من الجزء.

رابعاً: الحوارُ الاجتماعيُّ بصفته مساهمةً في السلام

238- يتطلّب التبشير بالإنجيل أيضاً سبيلَ حوار. أمام الكنيسة بالأخصّ حاليًّا ثلاثةُ ميادين حوار، من الواجب أن تكون حاضرةً فيها، كي تكمّلَ خدمةً لصالح نموّ الكائن البشريّ الكامل وتوفير الخير العامّ: الحوار مع **الدول**، ومع **المجتمع** – الذي يتضمّن الحوارَ مع الثقافات والعلوم – ومع **المؤمنين** الآخرين غيرِ المنتمين إلى الكنيسة الكاثوليكيّة. في كلّ الأحوال، «تتحدثُ

الكنيسةُ انطلاقاً من النور الذي يمنحها إياه الإيمان» [١٨٦]، وتجلب الخبرةُ التي اكتسبتها على مدى ألفي سنة، وتحفظ دائماً في الذاكرة حياة الكائنات البشريّة وآلامهم. هذا يتجاوز العقل البشريّ، لكنه يشمل أيضاً معنىً يمكنه أن يُثري من لا يؤمنون، ويدعوَ العقلَ إلى توسيع آفاق نظرته.

239– تكرز الكنيسةُ «بإنجيل السلام» (أف 6: 15)، وهي منفتحةٌ على التعاون مع جميع السلطات الوطنيّة والدوليّة للاهتمام بهذا الخير الشامل والعظيم جدّاً. إن التبشيرَ الجديدَ بالإنجيل، بإعلانه يسوعَ المسيحَ الذي هو السلامُ بالذات (را أف 2: 14)، يُلزم كلَّ معمَّد بأن يكون أداةَ إحلالِ السلام وشاهداً قابلاً للتصديق بشأن حياةٍ مصالَحة [١٨٧]. حان الوقتُ لنعرف كيف نخطّط للبحث عن مساراتٍ واتفاقاتٍ، في ثقافة تفضّل الحوارَ شكلاً للّقاء، لكن دون إقصاءِ الاهتمامِ بمجتمع عادلٍ، قادرٍ على الذاكرة، وبدون إقصاءات. صاحبُ هذا المسار الأساسيُّ وموضوعُه التاريخيّ هو الشعبُ وثقافته، وليس طبقةً أو جزءاً وجماعةً ونخبة. لسنا بحاجة إلى مشروع يضعه البعض ويوجّه

[١٨٦] بندكتوس السادس عشر: **خطاب أمام الكوريا الرومانيّة** (21 كانون الأول 2012): أ ك ر (*AAS*) 105 (2013)، 51.

[١٨٧] را **الاقتراح** 14.

إلى البعض، أو مشروعٍ أقليّة مستنيرة أو تشهد لشعور جماعيّ وتتملّكه. المقصودُ هو اتفاقٌ للعيش معاً، عهدٌ اجتماعيٌّ وثقافيٌّ.

240– يَعود إلى الدولة أن تهتمَّ بخير المجتمع العام وتنمّيَه [١٨٨]. وهي، على أساسِ مبادىءِ التكافل والتضامن، وببذل جهدٍ عظيم للحوار السياسيّ وخلق تفاهم، تلعبُ دوراً أساسيّاً لا يمكن أن يفَوَّض، في السعي لترقّي الجميع الكامل. ويتطلّب هذا الدورُ، في الأوضاع الراهنة، تواضعاً اجتماعيّاً عميقاً.

241– في الحوار مع الدولة ومع المجتمع، لا تملك الكنيسةُ حلولاً لجميع القضايا الخاصّة. لكنها، بمعيّة القوى الاجتماعيّة المختلفة، ترافق الاقتراحاتِ التي يمكنها أن تلبّي، بأفضل السبُل، كرامةَ الشخص البشريّ والخيرَ العامّ. وبفعلها هذا، تعرضُ دائماً بوضوح قيمَ الوجودِ الإنسانيّ الأساسيّة، كي تنقل القناعاتِ التي يمكنُ أن تتَرجمَ لاحقاً إلى أعمالٍ سياسيّة.

الحوارُ بين الإسمان والعقل والعلوم

242– الحوارُ بين العلم والإيمان يشكّل أيضاً جزءاً من عمل التبشير بالإنجيل الذي يعزّز السلام [١٨٩]. مذهبُ العلميّة والفلسفةُ

[١٨٨] را **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة** الرقم 1910؛ المجلس الحبريّ «عدالة وسلام»: **مختصر عقيدة الكنيسة الاجتماعيّة**، الرقم 168.

[١٨٩] را **الاقتراح** 54.

الوضعيّة يرفضان «التسليمَ بصحّة أنواعِ معرفةٍ تختلف عمّا هو من خصائص العلوم الوضعيّة» [190]. تقترح الكنيسةُ سبيلاً آخرَ يتطلّب توليفاً بين استخدامٍ مسؤولٍ للمنهجيّات الخاصّة بالعلوم الاختباريّة، والمعارفِ الأخرى كالفلسفة واللاهوت والإيمان نفسه، الذي يرفع الكائن البشريّ حتى السرّ الذي يسمو على الطبيعة والعقل البشريّ. الإيمانُ لا يهابُ العقل؛ على العكس من ذلك، إنه يبحث عنه ويثق به، لأن «نورَ العقل ونورَ الإيمان يصدران كلاهما من الله» [191]، ولا يمكنهما أن يتناقضا. يتنبّه التبشيرُ بالإنجيل للتقدّم العلميّ كي يسلّط عليه نورَ الإيمان والشريعة الطبيعيّة بحيث يحترمُ دائماً مركزيّة الكائن البشريّ وقيمتَه السامية في جميع مراحل وجوده. ويمكن المجتمعُ بأسره أن يغتنيَ بفضل هذا الحوار الذي يفتح آفاقاً جديدةً على الفكر ويزيد من إمكانات العقل. وهذا أيضاً سبيلُ تناغمٍ وإحلالِ سلام.

243– لا تدّعي الكنيسةُ وضعَ حدٍّ لتقدّم العلوم الرائع. على العكس من ذلك، إنها تفرح به وحتى تنتفع منه، معترفةً بالطاقة الهائلة التي منحها اللهُ العقلَ البشريّ. عندما يلزمُ تقدّمُ العلوم،

[190] يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامة «**الإيمان والعقل**» (14 أيلول 1998)، الرقم 88: أ ك ر (*AAS*) 91 (1999)، 74.

[191] القديس توما الأكويني: **ضدَّ الأمم**، 1، 7؛ يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامة «**الإيمان والعقل**»، الرقم 43: **المرجع المذكور نفسه**، 39.

بدقةٍ أكاديميّة، ميدانَ عمله المحدَّد، ويوضحُ خاتمةً معيّنةً لا يمكن العقلُ أن ينكرها، فالإيمان لا يناقضه. وبالمقدار نفسه، لا يستطيع المؤمنون الادّعاءَ بأنّ رأياً علميّاً أعجبهم، لكنه لم يؤكَّد بما فيه الكفاية، يستحوذُ على ثقل عقيدةِ إيمان. لكن، في بعض الظروف، يتجاوز بعضُ العلماءِ موضوعَ مادتهم العلميّة الفعليّ وينحازون بتأكيداتٍ أو خلاصاتٍ تتعدّى الميدان العلميّ الصرف. في هذه الحال، ليس هو العقلُ الذي يُعرَض، بل إيديولوجيّا محدّدة تسدّ الطريق في وجه حوارٍ أصيلٍ وسلميّ ومثمر.

الحوار المسكونيّ

244– الالتزامُ المسكونيُّ يلبّي صلاةَ الربّ يسوع الطالبِ «بأن يكونوا بأجمعهم واحداً» (يو 17: 21). لكانت مصداقيةُ البشرى المسيحيّةُ أعظمَ لو تجاوز المسيحيّون انقساماتِهم وحقّقتِ الكنيسة «ملءَ كاثوليكيّتها، وهي خاصّةٌ من خصائصها، في الذين من أبنائها وُلدوا بالمعموديّة ولكنهم منفصلون عن شركتها الكاملة»[١٩٢]. علينا أن نتذكر دائماً أنّا حجّاج ونسيرُ معاً. لذلك يجب أن نعهدَ بقلبنا إلى رفيق الدرب بدون ريبة، بدون ريبة، ونهدفَ قبل كلّ شيء إلى ما نبحث عنه: السلامِ في وجه الله الأوحد. الاعتمادُ على الآخر شيءٌ يُصنع؛ السلامُ يُصنع. قال لنا

[١٩٢] المجمع الفاتيكاني الثاني: القرار المجمعي«**الحركة المسكونيّة**» الرقم 4.

يسوع: «طوبى لصانعي السلام!» (متى 5: 9). بهذا الالتزام تتحقّق أيضاً فينا النبوّةُ القديمة: «...ضربوا سيوفَهم سِككاً وأسنّتهم مناجل» (إش 2: 4).

245- على ضوءِ هذا، تكون الحركةُ المسكونيّةُ مساهمةً في وحدة الأسرة البشريّة. ولقد كان هبةً حقيقيّةً من الله وشهادةً مسيحيّةً نفيسةً حضورُ بطريركِ القسطنطينيّة، قداسة برتلماوس الأول، ورئيسِ أساقفة كنتربري، سعادة دوغلاس ويليامز، في السينودس[١٩٣].

246- نظراً لخطورة الشهادة المضادّة الناجمة عن انقسام المسيحيّين، بالأخصّ في آسية وأفريقيا، أصبح من الملحّ البحثُ عن سبُل الوحدة. يردّد المرسلون على الدوام، في هاتين القارّتين الانتقادات والشكاوى والسخريّات التي يتلقّونها، من جرّاء شكِّ المسيحيّين المنقسمين. إذا تركّزنا على القناعات التي تجمعنا وذكّرنا بمبدإ تراتبيّة الحقائق، يمكن أن نسير بعزيمةٍ في اتّجاه تعابيرَ مشتركة للكرازة والخدمة والشهادة. لا يمكن أن يُبقيَنا لا مبالين الجمعُ الغفير الذي لم يتقبّل بعدُ بشرى يسوعَ المسيح؟ مع ذلك، إلتزامُ الوحدة الذي يسهّل قبولَ يسوعَ المسيح لا يمكن أن يكون مجرّدَ دبلوماسيّة، ولا إنجازاً قسريًّا فيتحوّلَ إلى طريق

[١٩٣] را **الاقتراح** 52.

تبشيرٍ بالإنجيل وإرغاميّ. علاماتُ الانقسام بين المسيحيّين في بلدانٍ يهشّمها العنف، تؤدّي إلى أسبابِ نزاعٍ أخرى، من قبَل مَن كان واجباً عليهم أن يكونوا خميرةَ سلام فعّالة. كم هي عديدةٌ ونفيسةٌ الحقائقُ التي توحّدُنا! وإذا كنّا حقّاً نؤمن بعمل الروح الحرّ والسخيّ، كم يمكن أن نتعلّم بعضُنا من بعض! لا يكفي أن نتقبّلَ معلوماتٍ عن الآخرين حتى نُحسنَ معرفتَهم، لكن أن نجتنيَ ما بذَر الروحُ فيهم كهبةٍ لنا أيضاً. يكفي، مثالاً على ذلك، ما لدينا نحن الكاثوليك، في الحوار مع الإخوة الأرثوذكس، من إمكانيّة لتعلّم المزيد حول معنى المجمعيّة الأسقفيّة والخبرة السينودسيّة. من خلال تبادل المواهب، يمكن أن يقودنا الروح دائماً أكثرَ إلى الحقيقة والخير.

العلاقات مع الديانة اليهوديّة

247– نوجّه نظرةً خاصةً إلى الشعب اليهوديّ الذي لم يَبطُلْ عهدُه أبداً مع الله، لأن «مواهبَ الله ودعوتَه هي بلا ندامة» (رو 11: 29). إن الكنيسة، التي تتقاسمُ والديانةَ اليهوديّةَ جزءًا هامّاً من الكتب المقدّسة، تعتبرُ شعبَ العهد وإيمانه أصلاً مقدّساً لهويّتها المسيحيّة الخاصّة (را رو 11: 16–18). بصفتنا مسيحيّين، لا يمكننا أن نعتبرَ الديانة اليهوديّة كديانةٍ غريبة، ولا أنّ اليهود هم بين المدعوّين إلى نبذ عبادةِ الأصنام ليرتدّوا إلى

الله الحقّ (را 1 تس 1: 9). إنّا نؤمنُ معاً بالإله الواحد، العاملِ في التاريخ، ونتقبّلُ معهم كلامَ الوحي المشترك.

248- الحوار والصداقة مع أبناء الديانة اليهوديّة يشكّلان جزءاً من حياةِ تلاميذ يسوع. المودّةُ المتنامية تحملنا على التأسّف بصدقٍ ومرارةٍ على الاضطهادات الفظيعة التي كانوا من ضحاياها، بالأخصّ تلك التي يتورّط أو تورّط فيها مسيحيّون.

249- ما زال اللهُ يعملُ في شعب العهد الأول ويولّد كنوزَ حكمةٍ تتفجّر من لقائه الكلمة الإلهيّة. لذلك، فالكنيسةُ ايضاً تغتني عندما تتقبّلُ قيمَ الديانة اليهوديّة. ولئن كانت الديانة اليهوديّة لا تتقبّل بعضَ القناعات المسيحيّة، ولئن كانت الكنيسةُ لا يمكنها الكفُّ عن الكرازة بيسوع ربّاً ومسيحاً، إلاّ أنه يوجدُ تكاملٌ غنيٌّ يسمح لنا بأن نقرأ سويّةً نصوصَ البيبليا العبريّة، ونتبادلَ التعاونَ في تعميق ثروات الكلمة، ونتقاسمَ أيضاً العديدَ من القناعاتِ الخلُقيّة وكذلك الاهتمامَ المشتركَ في سبيل العدالة وترقّي الشعوب.

الحوارُ بين الأديان

250- يجب أن يميّز الحوارَ مع مؤمني الدياناتِ غيرِ المسيحيّة موقفُ انفتاح في الحقّ والمحبّة، على الرغم من العوائق المختلفة والصعوبات، بالأخصّ الأصوليّة من جهة الطرَفين. هذا الحوارُ

بين الأديان هو شرطٌ جوهريٌّ للسلام في العالم، وبالتالي فهو واجبٌ على المسيحيّين، كما على الجماعات الدينيّة الأخرى. هذا الحوارُ هو، في الطليعة، حديثٌ عن الحياة البشريّة، أو بكلّ بساطة، كما يقترح أساقفةُ الهند «موقفُ انفتاح عليهم، بتقاسم أفراحهم وضيقاتهم»[١٩٤]. هكذا، نتعلّم قبولَ الآخرين، في طريقتهم المختلفة في الكيان والتفكير والتعبير. بهذه الطريقة، يمكن أن نضطلع معاً بواجب خدمة العدالة والسلام، الذي يجب أن يصبح مقياساً أساسيّاً لكلّ التبادلات. الحوارُ الذي يُسعى فيه للسلام الاجتماعيّ والعدالة هو، بحدّ ذاته، في ما هو أبعدُ من المظهر العملانيّ الصرف، التزامٌ خلُقيّ يولّد أحوالاً اجتماعيّة جديدة. والجهودُ المبذولةُ حول موضوعٍ معيَّنٍ يمكن أن تتحوّل إلى مسارٍ يجدُ الطرفان فيه، من خلال الإصغاءِ المتبادل، تنقيةً وغنىً. بالتالي، يمكن أيضاً أن تتّخذ تلك الجهودُ معنى حبّ الحقيقة.

251– في هذا الحوار، المحبّ دائماً والودّيّ، يجب ألاّ نهمل البتّة الصلة الجوهريّة بين الحوار والبشرى التي تحمل الكنيسة على المحافظة على العلاقات مع غير المسيحيّين وتعزيزها [١٩٥]. ولسوف تكون التوفيقيّة المُصالِحة في الحقيقة، توتاليتاريّة في

[١٩٤] مجلس أساقفة الهند: **البيان الختاميّ للجمعيّة العموميّة الثلاثين:** *The Church's Role for a Better India* (8 آذار 2012)، 8–9.

[١٩٥] را **الاقتراح** 53.

نظر الذين يدّعون التوفيق، بغضِّ النظر عن القيمَ السامية التي لا يملكون. يتطلّب الانفتاحُ الحقيقيُّ المحافظةَ على الثبات بشأن القناعات الخاصّة الأكثرِ أهميّةً، مشفوعةٍ بهويّة واضحة وفرِحة، لكن «منفتحة على قناعات الآخر لفهمها» مع «العلم الأكيد بأن الحوار يمكن أن يكون مصدر غنىً لكل فرد» [١٩٦]. انفتاحٌ دبلوماسيٌّ يوافق على كلّ شيء لتحاشي المعضلات لا ينفع شيئاً، لأنه يمثّل شكلاً من خداعِ الآخر ونكرانِ الخير الذي نلناه هبةً نتقاسمها بسخاء. التبشيرُ بالإنجيل والحوارُ ما بين الأديان، لا يتضادّان بل يتساندان ويغذّي بعضهما بعضاً[١٩٧].

252– تتّخذ العلاقةُ مع المؤمنين المسلمين، في عصرنا، أهميّةً عظمى. إنهم اليومَ بالأخصّ حاضرون في عدة بلدانٍ ذاتِ تقليدٍ مسيحيّ، حيث يمكنهم الاحتفالُ بحريّة بدينهم ويعيشون مندمجين في المجتمع. يجب ألاّ يغربَ البتّةَ عن ذهننا أنهم «يعلنون أنهم على إيمان إبراهيم، ويعبدون معنا الله الواحد، الرحمن الرحيم،

[١٩٦] يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامة «**رسالة الفادي**» (7 كانون الأول 1990)، الرقم 56: أ ك ر (*AAS*) 83 (1991)، 304.

[١٩٧] را بندكتوس السادس عشر: **خطاب أمام الكوريا الرومانيّة** (21 كانون الأول 2012): أ ك ر (*AAS*) 105 (2013)، 51؛ المجمع الفاتيكانيّ الثانيّ: القرار المجمعيّ «**نشاط الكنيسة الإرساليّ**» الرقم 9؛ **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة**، الرقم 856.

الذي يدين الناسَ في اليوم الأخِر» [١٩٨]. كتبُ الإسلام المقدَّسة تحفظ قسماً من التعاليم المسيحيّة؛ يسوعُ المسيحُ ومريمُ هما موضوعُ إكرام عميق؛ وإنه لمدهشٌ أن نرى شباباً وكباراً، رجالاً ونساءً مسلمين قادرين على تكريس بعضِ الوقت كلَّ يوم للصلاة، وعلى الاشتراك بأمانةٍ في طقوسهم الدينيّة. في الوقت عينه، العديدُ منهم مقتنعون جدّاً أن حياتهم بكاملها هي من الله وله. ويقرّون أيضاً بضرورة الاستجابة لله بالتزامٍ خلقيّ ومعاملة الأكثر فقراً برحمة.

253– لدعم الحوار مع الإسلام، لا بدَّ من تنشئة المتحاورين بما يلائم ليس فقط ليكونوا متأصّلين بثباتٍ وفرحٍ في هويّتهم الخاصّة، بل أيضاً ليكونوا قادرين على التعرّفِ على قيَم الآخرين، وتفهّمِ الاهتماماتِ الكامنةِ تحت شكاواهم، وإلقاءِ الضوءِ على القناعاتِ المشتركة. علينا، نحن المسيحيّين، أن نستقبلَ بعطفٍ واحترام المهاجرين المسلمين الوافدين إلى بلادنا، كما نأمل ونطلب بأن نُستقبَل ونُحترَم في البلدان ذاتِ التقليد الإسلاميّ. إني أطلبُ من هذه البلدان وأتوسّل إليها بأن تمنحَ المسيحيّين حريّةَ الاحتفال بطقوسهم وعيشِ إيمانهم، آخذةً بالحسبان الحريّةَ التي يتمتّع بها المؤمنون المسلمون في البلدان الغربيّة! إزاء أحداث الأصوليّة العنيفة التي تقلقنا، يجب على

[١٩٨] المجمع الفاتيكانيّ الثانيّ: الدستور العقيدي الكنسي **«نور الأمم»** الرقم16.

المودّة نحو المؤمنين المسلمين الحقيقيّين أن تحملنا على تحاشي التعميمات البغيضة، لأن الإسلام الحقيقيّ والتفسير الملائم للقرآن يناهضان كلَّ عنف.

254- يمكن غيرُ المسيحيّين، بمبادرةٍ إلهيّة مجانيّة، وبأمانةٍ لضميرهم أن يحيَوا «مبرَّرين بنعمة الله» [١٩٩]، وهكذا «مشاركين في سرّ يسوعَ المسيح الفصحيّ» [٢٠٠]. لكن، بسبب بُعد النعمة المقدَّسة الأسراريّ، ينزع عملُ اللهِ فيهم إلى إحداث علاماتٍ وطقوسٍ وتعابيرَ مقدَّسةٍ تقرّب، بدورها، أشخاصاً آخرين من اختبارٍ جماعيّ يقودُ نحو الله [٢٠١]. إنها لا تملك معنى ولا فعّاليّة الأسرار التي أسّسها يسوعُ، لكن يمكن أن تكون الطريقَ التي يُظهرها الروحُ كي يحرّرَ غيرَ المسيحيّين من الحلوليّة الملحدة أو من اختباراتٍ دينيّة محض فرديّة. والروحُ نفسُه يُظهر، من كلّ الجهات، أشكالَ حكمةٍ عمليّة مختلفة تساعد على تحمّل نواقص الوجود، وعلى العيش بسلامٍ وتناغمٍ أكثر. نستطيع، نحن المسيحيّين، أيضاً أن نستفيد من هذا الغنى الذي ترسّخ، على

[١٩٩] اللجنة اللاهوتيّة الدوليّة: **المسيحيّة والأديان** (1996)، الرقم 72: 15 Ench. Vat.، الرقم 1061.

[٢٠٠] **المرجع نفسه**.

[٢٠١] را **المرجع نفسه**، الأرقام 81-87: 15 Ench. Vat.، الأرقام 1070-1076.

مدى القرون، والذي يمكنه أن يساعدنا على عيش قناعاتنا الخاصّة أفضل.

الحوار الاجتماعيّ في إطار حريّة دينيّة

255– ذكّر آباءُ السينودس بأهميّة احترامِ الحريّة الدينيّة التي تُعتبر كحقٍّ إنسانيّ أساسيّ[٢٠٢]. وهي تشمل «حريّةَ اختيارِ الدين الذي يُعتقد أنه الصحيح. وإعلانَ المعتقدِ الخاصّ جهراً» [٢٠٣]. التعدّديّة السليمة التي تحترم في الحقيقة الاختلافاتِ والقيَمَ بحدّ ذاتها، لا تجبرُ على انفراديّة الأديان، مع الادّعاء بإرغامها على الصمت، على ظلمة الضمير الفرديّ، أو على التهميش والحصر في سياجٍ مغلقٍ ضمن الكنائس والمجامع والجوامع. يؤول ذلك، في النهاية، إلى شكلٍ جديد من العنصريّة والتسلّط. الاحترامُ الواجب للأقليّات اللاأدريّة واللامؤمنة يجب ألاّ يُفرض بطريقة اعتباطيّة تُسكت قناعات الأكثريّات المؤمنة، ولا أن تتجاهل غنى التقاليد الدينيّة. فمن الممكن أن يولّد ذلك، على المدى الطويل، استياءً أكثر منه تسامحاً وسلاماً.

[٢٠٢] را **الاقتراح** 16.

[٢٠٣] بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسولي **«الكنيسة في الشرق الأوسط، شركة وشهادة»** (14 أيلول 2012)، الرقم 26: أ ك ر (*AAS*) 104 (2012)، 762.

256- في وقت التساؤل عن تأثير الديانة العام، يجب التمييزُ بين طرق عيشها المختلفة. غالباً ما يقعُ المفكرون، كما تعليقاتُ الصحافة، في تعميماتٍ فظةٍ وقلّما هي أكاديميّة، عندما يتحدثون عن عيوب الأديان، وغالباً ما هم عاجزون عن تمييز أن لا جميعَ المؤمنين – ولا جميعَ السلطات الدينيّة – هم متشابهون. فينتهز بعضُ السياسيّين هذه الفوضى لتبرير أعمالٍ تمييزيّة. مرّاتٍ أخرى، يُحَطُّ من قيمة مؤلّفاتٍ ظهرت في إطار اقتناعٍ مؤمن، ويُنسى أن النصوص الدينيّة الكلاسيكيّة يمكنها أن تقدّم تفسيراً لجميع العصور، وأن لها قوّةَ تعليلٍ تفتح دائماً آفاقاً جديدة، وتحفّزُ الفكرَ وتنمّي العقلَ والشعور. ويحطُّ من قدرها قِصَرُ فهم العقلانيّات. فهل يُعقل ويُفهم أن تُحال إلى الظلمة بمجرّد أنها تصدر عن إطار اعتقادٍ دينيّ؟ إنها تحتوي على مبادىءَ أساسيّة عميقةِ الإنسانيّة، ذاتِ قيمةٍ فكريّة، مع أنها مشبّعة رموزاً وعقائدَ دينيّة.

257- إنّا نشعر، بصفتنا مؤمنين، أنّا قريبون أيضاً من أولئك الذين، مع اعترافهم بأنهم لا ينتمون إلى أيّ تقليد دينيّ، يبحثون بصدقٍ عن الحقيقة والخير والجمال التي تجدُ، بالنسبة إلينا، تعبيرَها الكامل ومصدرَها في الله. إنّا نرى فيهم حلفاءَ نفيسين في التزام الدفاعِ عن الكرامة الإنسانيّة، وبناءِ تعايشٍ سلميّ بين الشعوب وحمايةِ المخلوق. هناك فسحةٌ خاصّةٌ هي ما يسمّى المحافل (*Aréopages*) الجديدة، مثل "ساحة الأمم"، حيث

«يمكن المؤمنين وغيرِ المؤمنين أن يتحاوروا حول مواضيع أساسيّة كالخلقيّات والفنّ والعلم والبحث عن السموّ» [٢٠٤]. وهذا أيضاً طريقُ سلامٍ لعالمنا الجريح.

258- انطلاقاً من بعض المواضيع الاجتماعيّة، المهمّةِ بالنظر إلى مستقبل الإنسانيّة، حاولتُ مرّةً أخرى أن أشرح البعدَ الاجتماعيّ المحتَّم للتبشير بالإنجيل، كي أشجّع جميعَ المسيحيّين على إعلانه دائماً بأقوالهم ومواقفهم وأعمالهم.

[٢٠٤] **الاقتراح** 55.

الفصل الخامس

مبشّرون بالإنجيل مع روح

259– مبشّرون بالإنجيل مع روح تعني مبشّرين بالإنجيل منفتحين بدون خوف على عمل الروح القدس. يوم العنصرة، أخرج الروحُ الرسلَ من ذواتهم وحوّلهم إلى كارزين بعظائم الله، أخذ كلٌّ واحدٍ يفهمهم بلغته الخاصّة. علاوةً على ذلك، بثَّ الروحُ القدسُ القوّةَ لإعلان جِدّةِ الإنجيل بجرأة، وبصوتٍ عالٍ، في كلّ زمان وكلّ مكان، وحتى بعكس التيّار. لنتوسّلنَّ إليه اليوم، مستندين إلى الصلاة التي، بدونها، يُخشى على كلِّ عمل أن يلبث عديمَ الجدوى، وعلى البشارة، في النهاية، أن تفتقد إلى نفس. يريد يسوعُ مبشّرين بالإنجيل يُعلنون البشرى الحسنة ليس بالأقوال فقط، بل بالأخصّ بحياتهم وقد حوّلها حضورُ الله.

260– في هذا الفصل الأخير، لن أقدّم حصيلةً (*synthèse*) للروحانيّة المسيحيّة، ولن أستفيض في دراسة مواضيع كبرى كالصلاة والسجود الإفخارستيّ أو احتفال الإيمان، التي سبق وتحدّثت عنها نصوصٌ قيّمة من السلطة التعليميّة، وكذلك مؤلّفاتٌ معروفةٌ لعظماء الكتّاب. لا أدّعي استبدالَ هذا الكمِّ من الثروات أو التفوّق عليها. سوف أقترح فقط بعضَ الأفكار حول روح التبشير الجديد بالإنجيل.

261- عندما يُقال عن شيء إنَّ له "روحاً"، فهذا يدلُّ عادةً على الحوافز الداخليّة التي تدفع وتبرّر وتشجّع وتضفي معنىً على العمل الشخصيّ والجماعيّ. التبشيرُ بالإنجيل المصنوعُ بروحٍ يختلف كليّاً عن مجموع مهامٍّ ووظائفَ تؤمَّن كفرضٍ ثقيلٍ يُضطرُّ المرءُ إلى تحمّله، أو كشيءٍ يُعانى لأنه يناقض الميولَ والرغبات الخاصّة. كم أوّدُّ أن أجد التعابيرَ كي أشجّع فترةً تبشيريّةً بالإنجيل تكون شديدةَ الحرارة، فرِحةً، سخيّةً، جريئةً، مملوءةً حبّاً عميقاً وحياةً مُعدية! لكن أعرف أن لا حافزَ سيكون كافياً إذا لا تلتهب في القلوب نارُ الروح. في النهاية، إن تبشيراً بالإنجيل مصنوعٌ بروحٍ هو تبشيرٌ بالإنجيل مع الروح القدس، لأنه نفسُ الكنيسة المبشِّرة بالإنجيل. قبل أن أعرض بعضَ الحوافز والاقتراحاتِ الروحيّة، أتوسّل مرّةً أخرى إلى الروح القدس، وأطلب إليه أن يأتيَ ويجدّد ويستنهضَ ويدفعَ الكنيسةَ في انطلاقةٍ جريئةٍ خارج ذاتها، كي تبشّر بالإنجيل جميعَ الشعوب.

أولاً: حوافزُ لاندفاع إرساليّ متجدّد

262- مبشّرون بالإنجيل مع روحٍ يعني مبشرين بالإنجيل يصلّون ويعملون. من وُجهةِ نظر التبشير بالإنجيل، لا حاجةَ إلى اقتراحاتٍ صوفيّة بدون التزامٍ اجتماعيّ وإرساليّ شديد، ولا إلى خُطبٍ وعاداتٍ اجتماعيّة وراعويّة، بدون روحانيّة تبدّل القلب. تلك الاقتراحاتُ الجزئيّة المتقطعةُ الأوصال لا تؤثّر إلاّ

في جماعاتٍ مصغَّرة، لا قدرة لها على النفاذ بعيداً لأنها تشوّه الإنجيل. يجب دائماً أن ننمّي فسحةً داخليّة تضفي معنىً مسيحيّاً على الالتزام والنشاط [٢٠٥]. بدون فتراتِ عبادةٍ طويلة، ولقاءٍ ضارع مع الكلمة، وحوارٍ صريح مع الربّ، تفقد المهامُّ معناها بسهولة، وتخورُ قوانا بسبب التعب والصعوبات وينطفىءُ الحماس. لا تستطيع الكنيسة أن تحيا بدون رئة الصلاة، وإني أفرح كثيراً لأنه تتكاثر، في جميع المؤسّسات الكنسيّة، فرقُ الصلواتِ والتضرّعِ وقراءةِ الكلمة المصلّية والسجودِ الدائم أمام الإفخارستيّا. في الوقت عينه، «يجب نبذُ كلِّ روحانيّة حميميّة وانفراديّة، لا تتناغمُ ومتطلّباتِ المحبّة، ولا مع منطق التجسّد»[٢٠٦]. يُخشى أن تتحوّلَ بعضُ فتراتِ الصلاة إلى عذرٍ لعدم الانصراف إلى الرسالة، لأن انفراديّة أسلوب الحياة يمكن أن يحمل المسيحيّين على اللجوء إلى روحانيّات كاذبة.

263– إنه لمن المفيد تذكّرُ المسيحيّين الأولين وهذا الكمِّ من الإخوة، على مدى التاريخ، الذين امتلأوا فرحاً وشجاعةً ولم يعرفوا الكلل في الكرازة، وكانوا قادرين على صمودٍ ناشطٍ عظيم. هناك من يعزُّون أنفسَهم بقولهم إن الأمرَ اليوم أصعبُ؛

[٢٠٥] را **الاقتراح** 36.

[٢٠٦] يوحنا بولس الثاني: الرسالة «**نحو ألفيّة جديدة**» (6 كانون الثاني 2001)، الرقم 52: أ ك ر (*AAS*) 93 (2001)، 304.

إلاّ أنه يجب أن نقرَّ بأن ظروفَ الإمبراطوريّة الرومانيّة لم تكن ملائمةً للكرازة بالإنجيل، ولا للصراع من أجل العدالة، ولا للدفاع عن الكرامة الإنسانيّة. في جميع فترات التاريخ، الهشاشةُ الإنسانيّة حاضرة، وكذلك البحثُ المرَضيُّ عن الذات، والأنانيّةُ المرفّهة، وفي النهاية، الشهوةُ التي تترصّدنا. وهذا ما يحدث دائماً، تحت شكلٍ أو آخر؛ وينجمُ عن الحدود الإنسانيّة أكثر منه عن الظروف. بالتالي، لا نقولنَّ إن الأمرَ اليومَ أصعبُ؛ هذا مختلف. لنتعلّمنَّ بالأحرى من القدّيسين الذين سبقونا وواجهوا الصعوبات الخاصّة بعصرهم. لهذه الغاية، أقترح بأن نتوقّف للبحث عن حوافزَ تساعدنا على الاقتداء بهم اليوم[٢٠٧].

اللقاءُ الشخصيُّ مع حبِّ يسوعَ الذي يخلّصنا

264– الحافزُ الأولُ للتبشير بالإنجيل هو حبُّ يسوعَ الذي نلناه، والاختبارُ بأنه يخلّصُنا الذي يدفعنا على أن نحبّه دائماً أكثر. لكن، ما هو هذا الحبُّ الذي لا يشعر بضرورة التحدّثِ عن المحبوب، وإظهاره والتعريفِ به؟ إذا كنّا لا نشعر بالرغبة العارمة في أن نعرّف به، فمن الضروريّ أن نتفرّغ بعضَ

٢٠٧ Cf. V.M *Fernández, «Espiritualidad para la esperanza activa. Discurso en la apertura del I Congreso Nacional de Doctrina social de la Iglesia* (Rosario 2011)», dans UCActualidald 142 (2011), 16.

الوقت فنطلبَ إليه في الصلاة كي يأتيَ ويستَهويَنا. إنّا بحاجة إلى أن نتوسّلَ كلَّ يوم، أن نستجديَ نعمتَه كي يفتحَ قلبنا البارد ويزعزعَ حياتنا الفاترة والسطحيّة. وإذ نقفُ بحضرته، والقلبُ مفتوحٌ، مستسلمين كي يتأمل فينا، نشعر بتلك النظرة التي اكتشفها نتنائيل، يوم حضر يسوعُ وقال له: «وأنتَ تحتَ التينة رأيتُكَ» (يو 1: 48). ما أعذبَ أن يكون المرءُ أمام مصلوب، أو ساجداً أمام القربان الأقدس، وتحت ناظريه فقط! كم من الخير يعودُ علينا بأن يأتيَ ويلامسَ وجودَنا ويحثّنا على منح حياته الجديدة! بالتالي، ما يحدثُ في النهاية، هو أنّ «ما رأيناه وسمعناه، به نبشّركم» (1 يو 1: 3). أفضلُ حافزٍ كي نصمّمَ على إبلاغ الإنجيل هو أن نتأملَ فيه بحبّ، ونتأخّرَ في صفحاته، وأن يستهويَنا كلَّ مرّة. إذاً، إنه من الملحّ أن نجدَ روحاً تأمليّاً يسمح لنا، كلَّ يوم، بإعادةِ اكتشافِ أنّا مؤتَمنون على خيرٍ يؤنسنُ ويساعدُ على قضاءِ حياةٍ جديدة. لا شيءَ أفضلَ يُنقل إلى الآخرين.

265- حياةُ يسوعَ كلُّها، طريقةُ تصرّفه مع الفقراء، حركاتُه، تناسقُه، سخاؤُه اليوميُّ والبسيط، وأخيراً تفانيه الكامل، كلُّها أشياءُ نفيسة وتُسائل حياتَنا الخاصّة. كلَّ مرّة يأخذ أحدٌ في اكتشافِ يسوعَ يقتنع بأن هذا هو من يحتاجُ إليه الآخرون، مع أنهم لم يتعرّفوا إليه: «هذا الذي تعبدونه وأنتم تجهلونه هو الذي أبشّركم به» (أع 17: 23). أحياناً، نفقد الحماسَ للرسالة، ناسين

أنّ الإنجيل **يلبّي أعمق حاجات** الناس، لأنّا جميعاً خُلقنا لما يقترحُ علينا الإنجيل: الصداقة مع يسوع والمحبّة الأخويّة. عندما سننجح في التعبير بطريقةٍ ملائمةٍ وجميلةٍ عن مضمون الإنجيل الجوهريّ، هذه الرسالةُ ستجيبُ أكيداً عن أعمق طلباتِ القلوب: «المرسلُ مقتنعٌ من أنه يوجد، بفضلِ عملِ الروحِ، أكان عند الأفراد أم عند الشعوب، انتظارٌ، وإن كان غيرَ واعٍ، لمعرفة الحقيقة حول الله والإنسان، وحول الطريق المؤدّي إلى التحرّر من الخطيئة والموت. الحماسُ بإعلان المسيح ينجم عن القناعة بأنّا نلبّي ذاك الانتظار»[٢٠٨]. يرتكز الحماسُ في التبشير بالإنجيل على تلك القناعة. يتوفّر لدينا كنزُ حياةٍ وحبٍّ لا يمكن أن يغُشّ، ألا وهو الرسالة التي لا يمكن أن تبدّل مواقفها ولا أن تخيّبَ الأمل. إنها جوابٌ يتولّد من أعمق الكائن البشريّ فيسندُه ويرفعُه. إنها الحقيقة التي لا تبطُل لأنها قادرةٌ على النفاذ إلى حيث لا شيءَ آخرَ يمكنه أن يصل. لا يمكن أن نعالجَ حزننا اللامتناهي إلاّ بحبٍّ لامتناهٍ.

266– مع ذلك، يسندُ هذا الاقتناعَ اختيارٌ شخصيٌّ، يتجدّد على الدوام، هو تذوّقُ صداقته ورسالته. لا يُمكن أن يثابرَ على التبشير بالإنجيل بحرارةٍ، إذا لم نكن مقتنعين، بموجب اختبارنا

[٢٠٨] يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامة «**رسالة الفادي**» (7 كانون الأول 1990)، الرقم 45: أ ك ر (*AAS*) 183 (1991)، 292.

الشخصيّ، بأنَّ معرفةَ يسوعَ ليست كعدم معرفته، وبأن السَّيرَ معه ليس كالسَّير تلمّساً على غير هدى، وبأن القدرةَ على سماعِه أو تجاهلِ كلمته ليس كالقدرة على التأمل فيه وعبادته والراحة فيه، وبأنّ عدمَ القدرةِ على فعلِ ذلك ليس الشيءَ نفسه. محاولةُ بناءِ العالم بإنجيله ليست كالعمل على بنائه فقط بعقلنا. إنّا نعرف جيّداً أنّ الحياةَ، معه، تصبحُ أكثر امتلاءً، وأنّه لأسهلُ، معه أن نجدَ معنىً لكلّ شيء. لذلك، نحن نبشّر بالإنجيل. المرسلُ الحقيقيّ، الذي يلبثُ دائماً تلميذاً، يعرفُ أن يسوعَ يسير معه. ويتكلّمُ معه، ويتنفّسُ معه، ويعمل معه. إنه يشعر بيسوعَ حيّاً معه، وسط النشاط الإرساليّ. وإذا لم يكتشفِ المرءُ أنَّ يسوعَ حاضرٌ في صميم العمل الإرساليّ، فللحال يفقد الحماس ويشكُّ في ما ينقل، وتخونه القوّة والشغف. والشخصُ غيرُ المقتنعِ والمتحمّسِ والأكيدِ والمحبُّ لا يُقنعُ أحداً.

267- باتحادنا مع يسوع، لنبحثَنَّ عمّا يبحث، ولنُحبَّنَّ ما يحبّ. في النهاية، إنّا نبحث عن مجد الآب، إنّا نحيا ونعمل «لتمجيد نعمته» (أف 1: 6). إذا كنّا نريد أن نبذُلَ ذواتِنا كليّاً وباستمرار، علينا أن نتعدّى أيَّ حافز آخر. إنه السببُ النهائيُّ، الأعمقُ، الأعظمُ، إنه العلّةُ والمعنى الأقصى لكلّ ما تبقّى. ويسوعُ بَحثَ عن مجد الله الآب، على مدى حياته كلّها. إنه هو الابنُ الفرِحُ أزليّاً بكلّ كيانه «الذي هو في حضن الآب» (يو 1: 18). إذا كنّا مرسلين، فذلك أولاً لأنّ يسوعَ قال لنا: «وإذا أتيتُم

بثمرٍ كثيرٍ تمجَّد بذلك أبي» (يو 15: 8). إنّا نبشّر بالإنجيل لمجدِ الله الآبِ الأعظم الذي يحبّنا، غير مكترثين أكان ذلك يلائمنا أم لا، أكان يعجبنا أم لا، أكان ينفعنا أم لا؛ إنّا نبشّر متعدّين حدودَ رغباتنا الضيّقة، وفهمَنا وتبريراتِنا.

اللذة الروحيّة بأن نكون شعباً

268- تدعونا كلمةُ الله أيضاً إلى أن نُقرَّ بأنّا شعبٌ: «أنتم الذين لم يكونوا من قبلُ شعباً، وأمّا الآن فشعبُ الله» (1 بط 2: 10). كي نكون مبشّرين بالإنجيل حقيقيّين، من الجدير أيضاً أن ننمّي المذاقَ الروحيَّ بأن نكون قربَ حياة الناس، حتى نكتشف بأنه مصدرُ فرحٍ سامٍ. الرسالةُ هي شغفٌ بيسوع، لكن، في الوقت عينه، شغفٌ بشعبه. عندما نقف أمام يسوعَ المصلوب، نتعرّف على حبّه كلّه الذي يكرّمنا ويساندنا؛ لكن، في الوقت عينه، إذا لم نكن عمياناً، نأخذ في الشعور بأن نظرَ يسوعَ هذا يتّسع ويتّجه، مملوءًا عطفاً وحرارة، نحو شعبه كلّه. هكذا، نعاود اكتشافَ أنّه يريد استخدامنا كي يصبح دائماً أقربَ إلى شعبه المحبوب. يختارنا من وسط الشعب ويرسلنا إلى شعبه، بحيث إن هويّتنا لا معنى لها بدون هذا الانتماء.

269- يسوعُ نفسُه هو مثالُ هذا الاختبار الإنجيليّ الذي يُدخلنا في قلب الشعب. كم يعودُ ذلك علينا بالخير عند ما نراه قريباً من الجميع! عندما كان يتحدّث مع أحدٍ، كان يُنعم النظرَ إليه،

باهتمامٍ فائقٍ مملوءٍ حبّاً: «فحدّقَ إليه يسوعُ وأحبّه» (مر 10: 21). نراه سهلَ المنال، عندما يقترب من الأعمى عند حافّة الطريق (مر 10: 46–52)، وعندما يأكل ويشرب مع الخطأة (را مر 2: 16)، غير آبهٍ بأن يُعتبرَ أكولاً شرّيباً للخمر (را متى 11: 19). نراه متساهلاً عندما يسمحُ لزانيةٍ بأن تمسح قدميه بالطيب (را لو 7: 36–50) أو عندما يستقبل نيقوديموس ليلاً (را يو 3: 1–15). تقدمةُ يسوع على الصليب ليست سوى قمةِ ذلك الأسلوبِ الذي وسَم حياتَه كلَّها. وإذِ استغوانا هذا المثال، نريد أن نندمج كليّاً في المجتمع، ونتقاسمَ حياة الجميع، ونصغيَ إلى مخاوفهم، ونُسهمَ مادياً وروحيّاً معهم في حاجاتهم، ونفرحَ مع الفرحين، ونبكيَ مع الباكين، وننخرطَ لبناء عالمٍ جديد، جنباً إلى جنبٍ مع الآخرين. إلاّ أنه، لا كفرضٍ، وثقلٍ يُرهقنا، بل كاختيارٍ شخصيّ يملأُنا فرحاً ويولينا هويّة.

270– أحياناً، نحاول أن نكون مسيحيّين يقفون على بُعدٍ آمنٍ من جراحات الربّ. مع أن يسوعَ يريدُ أن نلمسَ الشقاءَ البشريّ، وجسمَ الآخرين المتألّم. ينتظر منا أن نتخلّى عن البحث عن تلك الملاجىء الشخصيّة أو الجماعيّة التي تسمح لنا بالبقاء بعيدين عن قلب المآسي البشريّة. فنقبلَ حقّاً بالاتّصال بوجود الآخرين الحسيّ وبالتعرّف على قوة الحنان. إذا فعلنا ذلك، تصبح حياتُنا رائعةً ونحيا الاختبارَ العظيمَ بأنّا شعبٌ، ونحيا اختبارَ الانتماءِ إلى شعب.

271– من الصحيح أنّا مدعوّون، في علاقتنا مع العالم، إلى أن نشهد لرجائنا، لكن لا كأعداءٍ يشهّرون ويدينون. لقد أُخطِرنا بطريقة واضحةٍ للغاية: «وليكنْ بوداعةٍ واحترام» (1 بط 3: 16)، و«بسلامٍ مع جميع الناسِ إن أمكن، وما استطعتُم إلى ذلك سبيلاً» (رو 12: 18). إنّا مدعوّون أيضاً إلى أن نحاول التغلّب «على الشرّ بالخير» (رو 12: 21)، دون أن نملّ من «عمل الخير» (غل 6: 9)، ودون أن ندّعي التفوّق، لكن بالأحرى معتبرين «أن الآخرين خيرٌ منّا» (في 2: 3). في الواقع، كان رسلُ الربّ «ينعمون بالحظوة عند الشعب كلّه» (أع 2: 47؛ را أع 4: 21، 33؛ 5: 13). من الواضح أن يسوعَ المسيحَ لا يريد أن نكون كأمراء، يتطلّعون بازدراء، بل أن نكون رجالاً ونساءً من الشعب. وهذا ليسَ رأيَ بابا ولا خياراً راعويّاً من بين عدّة إمكاناتٍ؛ إنها تعليماتٌ من كلمة الله واضحةٌ ومباشرةٌ ومسلَّمٌ بها، إلى حدٍّ أنه لا تعوزها تفسيراتٌ تعرّيها من قوّة المساءَلة. لنعِشْها بدون تعليقات. وهكذا نختبرُ الفرحَ الإرساليَّ، فرحَ تقاسمِ الحياة مع شعب الله الأمين، محاولين إشعالَ النارِ في قلب العالم.

272– محبّة الناس قوّةٌ روحانيّة تسمح بلقاءِ الله الكامل، إلى حدّ أنّ الذي لا يحبُّ أخاه «يسلكُ في الظلمة» (1 يو 2: 11)، و«يثبتُ في الموت» (1 يو 3: 14)، و«لم يعرفِ الله» (1 يو 4: 8). قال بندكتوس السادسَ عشرَ إن «غضَّ النظر عن

القريب تعمي أيضاً أمام الله» [٢٠٩]، وإن الحبَّ هو مصدرُ النور **الوحيد** لذي «ينير بدون انقطاعٍ من جديدٍ عالماً غارقاً في الظلمة، والذي يشجّعنا على الحياة والعمل» [٢١٠]. وهكذا، عندما نحيا صوفيّة التقرّب من الآخرين، سعياً لخيرهم، نوسّع كيانَنا الداخليَّ كي نتقبّل أجملَ مواهبِ الربّ. كلَّ مرّة نلتقي كائناً بشريّاً في الحبّ، نتّخذ وضعاً يسمحُ لنا باكتشاف شيءٍ جديدٍ من الله. كلَّ مرّة تتفتّح عيونُنا للتعرّف على القريب يستنيرُ إيمانُنا أكثر للتعرّف على الله. يتبيّن من ذلك أنه إذا أردنا النموَّ في الحياة الروحيّة لا يمكننا التوقّفُ عن أن نكون مرسلين. عملُ التبشير بالإنجيل يغني الروحَ والقلب، ويفتح آفاقاً روحيّة، وينمّي إحساسنا للتعرّف على عمل الروح، ويخرجنا من مخططاتنا الروحيّة المحدودة. في الوقت عينه، يختبر المرسلُ المتفاني للغاية، في عمله، اللّذةَ بأن يكون ينبوعاً يطفح ويرطّب الآخرين. وحدَه الذي يشعر بأنه قادرٌ على السعي لخير القريب ويتمنّى سعادة الآخرين، يستطيع أن يكون مرسلاً. إنفتاحُ القلب هذا هو مصدرُ سعادة، لأنَّ «في العطاءِ غبطةً أكثرَ من الأخذ» (أع 20: 35). لا أحدَ يسعدُ في حياته بالتهرّب من الآخرين،

[٢٠٩] الرسالة العامة«**الله محبّة**» (25 كانون الأول2005)، الرقم 16: أ ك ر (*AAS*) 98 (2006)، 230.

[٢١٠] **المرجع نفسه**، الرقم 39: **المرجع المذكور نفسه**، 250.

بالتخفّي، برفضه المؤاساة والعطاء، بالتقوقع في الرفاهة. فهذا ليس إلاّ انتحاراً بطيئاً.

273- الرسالةُ وسَطَ الشعب ليست جزءًا من حياتي ولا زينةً يمكنني أن أخلعها، ولا زيادةً ولا فترةً من الوجود. إنها شيءٌ لا يمكنني اقتلاعُه من كياني إذا كنتُ لا أريد أن أدمّر ذاتي. **إني رسالةٌ** على هذه الأرض، ولهذا وُجدت في هذا العالم. يجب أن أُقرَّ وكأنّ هذه الرسالة قد وسمتني بالنار كي أنيرَ وأباركَ وأُنعشَ وأُفرّجَ وأشفيَ وأُحرّر. هنا تظهر من هي الممرّضة بكلّ جوارحها، وكذلك الأستاذ والسياسيّ، أولئك الذين قرّروا، كليّاً، بأن يكونوا مع الآخرين ومن أجل الآخرين. إلاّ أنه إذا وضع شخصٌ جانباً واجبَه، وفي الجانب الآخر حياتَه الخاصّة، فكلُّ شيء يصبح حزيناً، ويعيش باحثاً باستمرار عن إكراميّات أو مدافعاً عن مصالحه الخاصّة. إنه يكفُّ عن أن يكون شعباً.

274- لتقاسمِ حياةِ الناس وبذلِ ذواتنا بسخاء، يجب أن نعترف أيضاً أن كلَّ شخص هو أهلٌ لتضحيتنا. وذلك لا لمظهره الطبيعيّ، ولا لقدراته، ولا لحديثه، ولا لذهنيّته، ولا لما يوفّر لنا من رضى، بل لأنه صنعُ الله وخليقته. إنه خلقه على صورته، وهو يعكس شيئاً من مجده. كلُّ كائنٍ بشريّ هو موضوعُ حنانِ الربِّ اللامتناهي، الساكنِ في حياته. أهرق يسوعُ المسيحُ دمَه الغالي على الصليب لأجل هذا الشخص. إذا وضعنا جانباً كلَّ

مظهر، فكلُّ كائنٍ **مقدَّسٌ للغاية ويستحقُّ عطفَنا وتفانيَنا**. لذلك، إذا نجحتُ في مساعدة شخصٍ واحدٍ كي يحيا أفضل، فهذا يبرّرُ عطيّةَ حياتي. إنه لجميلٌ أن نكون شعبَ الله الأمين. ونبلغُ الكمال عندما نهدم الحيطان، كي يمتلئَ قلبنا وجوهاً وأسماءَ!

القائمُ من بين الأموات وروحُه وعملُهما السرّيّ

275- في الفصل الثاني، فكّرنا في ذاك النقصان الحالِّ بالروحانيّة العميقة الذي ينتهي إلى التشاؤم والقدَريّة والريبة. بعضُ الأشخاص لا يتكرّسون للرسالة لاعتقادهم أن لا شيءَ يتبدّل، فمن النافل إذاً، بالنسبة إليهم، بذلُ الجهود. فيفكرون قائلين: «لماذا عليّ أن أُحرَم من رفاهيتي وملذّاتي طالما لا أرى نتيجةً هامّة؟». من الصعب مع هذه الذهنيّة، أن نكون مرسلين. بالتأكيد، هذا الموقفُ يشكّل عذراً شنيعاً للبقاء قابعين في الرفاهة والكسل وحزنِ عدم الرضى والفراغ الأنانيّ. إنه لموقفٌ يدمّر الذات لأنّ «الإنسانَ لا يستطيع أن يعيشَ بدون رجاءٍ: فلسوف يُحكم على حياته بالتفاهة وتصبحُ لا تُطاق» [٢١١]. إذا كنّا نظنّ أن الأشياءَ لن تتبدّل، فلنتذكّرنَّ أن يسوعَ المسيحَ قد قهرَ الخطيئةَ

[٢١١] الجمعيّة الخاصّة الثانية لسينودس الأساقفة من أجل أوروبا: **البيان الختاميّ**، الرقم 1: **الأوسرفاتوري رومانو** (23 تشرين الأول 1999)، العدد 5.

والموتَ وأنه كليُّ القدرة. يسوعُ المسيحُ حيٌّ حقّاً. وإلاّ «**إن كان المسيحُ لم يقمْ فكرازتُنا، إذاً، باطلة**» (1 كو 15: 14). يروي لنا الإنجيل أن التلاميذَ الأولين خرجوا وبشّروا، «والربُّ يعملُ معهم ويؤيّد الكلمة» (مر 16: 20). وهذا يتمّ أيضاً في أيامنا. إنه يدعونا إلى التعرّف إليه، والعيش معه. يسوعُ القائمُ من بين الأموات والممجَّد هو مصدرُ رجائنا العميق، ولن نفتقدَ إلى مساعدته في تتميمنا الرسالة التي عَهدَ بها إلينا.

276– قيامتُه من بين الأموات ليست حدَثاً من الماضي؛ إنها تزخر بقوّةِ حياةٍ اخترقت العالم. حيث كلُّ شيءٍ يبدو ميتاً، تظهر بذارُ القيامة من كلّ الأطراف. إنها قوّةٌ لا تُعادَل. إنه لصحيحٌ أنّه غالباً ما يبدو اللهُ غيرَ موجود: نلاحظ أن الظلمَ والشرَّ واللامبالاةَ والوحشيّة متفشّية. إلاّ أنه من المؤكّد أيضاً أن شيئاً جديداً، في الخفاء، يأخذ دائماً في النموّ وسيُعطي ثمراً، عاجلاً أم آجلاً. في سهلٍ ممهَّد، أخذت الحياةُ تظهر مثابرةً لا تُقهر. استمرارُ الشناعة لن يَمنع الخيرَ عن الازدهار والانتشار الدائم. كلَّ يوم في العالم يولدُ الجمالُ ثانيةً، ويقومُ من الموت وقد حوّلته مآسي التاريخ. والقيَم تحاولُ دائماً الظهورَ تحت أشكالٍ جديدة؛ وفي الواقع، غالباً ما يولد الكائنُ البشريّ ثانيةً من أوضاعٍ تبدو وكأنها لا انعكاسَ فيها. تلك هي قوّةُ القيامة، وكلُّ مبشّرٍ بالإنجيل هو أداةُ تلك الديناميّة.

277- تظهر على الدوام أيضاً صعوباتٌ جديدة: اختبارُ الفشل والدناءاتُ البشريّة التي توجع كثيراً. نعلم جميعاً، من الخبرة، أن المهمّة لا تلبّي أحياناً الرغباتِ المنتظرة، فالثمارُ قليلة والتبدّلاتُ بطيئة والتعبُ يهدّدنا. إلاّ أنه عندما يستسلم أحدٌ موقّتاً، بسبب التعب، فهذا ليس كالاستسلام النهائيّ، وقد غمرتنا خيبةُ أملٍ مزمنة، وكسلٌ يجفّفُ النفس. يحدثُ أن يعيَى القلبُ من الكفاح، لأن الشخصَ يسعى، في النهاية، لما هو لنفسه، من خلال وظيفيّةٍ متعطشةٍ إلى الشكران والتصفيق والمكافآت والوظائف؛ وقتئذٍ لا يستسلم الشخصُ، بل يفقد الوازع؛ تنقصُه القيامة. وهكذا، يبقى الإنجيلُ، أجملُ رسالة موجودةٍ في العالم، مطموراً تحت أعذارٍ عديدة.

278- الإيمانُ يعني أيضاً الثقةَ به، الثقةَ بأنه يحبّنا حقًّا، بأنه حيٌّ وقادرٌ على التدخّل سرًّا، بأنه لا يُهملنا، بأنه يستخرجُ الخيرَ من الشرّ بقدرته وإبداعه اللامتناهي. هو الاعتقادُ بأنه يسير مظفَّراً في التاريخ «مع أخصّائه: المدعوّين والمختارين والمؤمنين» (رؤ 17: 14). نؤمن بالإنجيل القائل إنّ ملكوتَ الله حاضرٌ في العالم، وينمو هنا وهناك، بعدّة طرق: كالبذرة الصغيرة التي يمكن أن تنموَ فتصبحَ شجرةً كبيرة (را متى 13: 31-32)، كحفنةِ خميرةٍ تخمّر كميّةً كبيرةً من الدقيق (را متى 13: 33)، وكالبذار الجيّد الذي ينمو وسط الزوءان (را متى 13: 24-30)، ويمكنه دائماً أن يفاجئَنا بشكلٍ لطيف. إنه

حاضرٌ وسيعود، إنه يكافح ليزهرَ ثانيةً. قيامةُ المسيح تولّد في كل مكانٍ بذارَ هذا العالم الجديد؛ وهي ولئن قُطعت، فستُفرع من جديد، لأن قيامةَ الربّ قد اخترقت لُحمة هذا التاريخ الخفيّة، ولأن يسوع لم يقمْ من بين الأموات عبثاً. فلا نلبثنَّ على قارعة طريق الرجاءِ الحيّ!

279– بما أنّا لا نرى دائماً تلك البراعم، فنحن بحاجةٍ إلى يقينٍ داخليّ، أي إلى الاقتناع بأنّ الله قادرٌ على أن يعمل في كلّ الظروف، حتى وسَط الفشل الظاهر، لأنّا «نحمل هذا الكنزَ في آنيةٍ خزفيّة» (2 كو 4: 7). هذا اليقين يُدعى "معنى السرّ". هو أن نكون على يقينٍ من أنَّ من يبذلُ ذاته ويستسلم لله عن حبّ، سوف يأتي، بالتأكيد، بالثمر الكثير (را يو 15: 5). غالباً ما يكون هذا الخصبُ غيرَ منظور، لا يُلمَس ولا يمكنُ إحصاؤه. والشخصُ يعرف جيّداً أن حياتَه سوف تأتي بثمار، لكن بدون الادّعاء بأنه يعرف كيف، ولا أين، ولا متى. إنه متأكدٌ من أنه لن يضيعَ له عملٌ فعلَه بحبّ، ولا أيٌّ من اهتماماتِه الصادقة بالآخرين، ولا أيٌّ من أعمال محبّة الله، ولا أيُّ تعبٍ سخيّ أو صبرٍ أليم. هذا كلّه يكتسح العالم وكأنه قوّةُ حياة. يبدو لنا، أحياناً، أن جهودَنا لا تأتي بثمر، مع أن الرسالة ليست تجارةً ولا مشروعَ مؤسّسة، كما أنها ليست منظمةً إنسانيّةً أو مشهداً، كي نخبر كم من الأشخاص التزموا بفضل دَعاوتنا؛ إنها شيءٌ أعمقُ بكثير ولا تخضع لأيّ مقياس. لربّما يستخدمُ الربُّ التزامَنا كي

بفيض البركاتِ، في مكان ما، في العالم، في مكان لن نقصدَه أبداً. يعمل الروحُ القدسُ كما يريد، وعندما يريد وحيثما يريد؛ نبذلُ ذواتنا دونَ الترقّب، مع ذلك، بأن نرى نتائجَ منظورة. نعرف فقط أن بذلَ الذات ضروريّ. لنتعلّمنَّ أن نستريحَ في حنان ذراعي الآب، في صميم تفانينا الخلاّق السخيّ. لنتقدَّمنَّ، لنلتزمنَّ كليّاً، لكن لندعْهُ يُخصبُ جهودَنا، كما يطيب له.

280– للحفاظ على الحماسِ الإرساليّ حيّاً، تلزَمُنا ثقةٌ ثابتةٌ في الروح القدس، لأنه هو الذي «يعضدُ ضُعفنا» (رو 8: 26). لكنَّ تلكَ الثقةَ السخيّة، يجب أن تغذَّى، فلذلك علينا الابتهالُ إليه بدون انقطاع. إنه قادرٌ على شفاء كلّ ما يُضعفنا في التزامنا الإرساليّ. من الصحيح أن تلك الثقة باللامنظور يمكن أن تسبّب لنا الدُّوار: وكأنّنا نغطس في بحرٍ لا ندري ما سنلاقي فيه. لقد اختبرتُ ذلك أنا نفسي عدّة مرّات. إلاّ أنه ليس من حريّةٍ أكبرَ من أن ننقادَ للروح، بالتخلّي عن إرادة تقدير كلِّ شيء ومراقبته، وأن نسمحَ له بإنارتنا وإرشادنا وتوجيهنا وقيادتنا إلى حيث يشاء. إنه يعرف جيّداً ما الذي ينفعنا في كلّ عصر وفي كلّ لحظة. هذا ما يسمّى الخصبُ سرّاً!

قوّة الشفاعة الإرساليّة

281– هناك نوعُ صلاةٍ يحثُّنا بالأخص على بذل ذواتنا للتبشير بالإنجيل ويحفّزنا على السعي لخير الآخرين: إنها الشفاعة.

لننظرنّ برهةً إلى الكيان الداخليّ، عند مبشّرٍ بالإنجيل عظيمٍ مثلِ القديس بولس كي نفهم كيف كانت صلاته. كانت صلاتُه مملوءةً أشخاصاً: «إني، على الدوام، **في جميع** صلواتي لأجلكم جميعاً [...] لأني أحملكم في قلبي» (في 1: 4، 7). نكتشف حينئذٍ أن صلاة الشفاعة لا تبعدنا عن التأمل الحقيقيّ، لأن التأمّلَ دونَ الآخرين كذبٌ.

282- ويتحوّل هذا الموقفُ ايضاً إلى شكر لله من أجل الآخرين: «وأبدأُ فأشكر لإلهي يسوع المسيح من أجلكم جميعاً» (رو 1: 8). إنه شكرٌ دائم: «إني أشكر الله، **في كلّ حين**، لأجلكم، على نعمة الله المعطاةِ لكم في المسيحِ يسوع» (1 كو 1: 4): «أشكر إلهي **كلّما** ذكرتُكم» (في 1: 3). فهذا ليس نظرةً عديمةَ الإيمان، سلبيّةً وفاقدةَ الرجاء، بل نظرةٌ روحيّة، عميقةُ الإيمان تعترف بما يفعل اللهُ نفسُه فيهم. في الوقت عينه، إنه عرفانُ الجميل النابعُ من قلبٍ ساهرٍ حقاً على الآخرين. بهذه الطريقة، عندما يخرج مبشّرٌ بالإنجيل من صلاته، يصبح قلبُه أسخى، وقد تحرّر من الانعزال، ويرغب في صنع الخير وتقاسمِ الحياة مع الآخرين.

283- رجالُ الله العظام والنساءُ كانوا شفعاءَ كباراً. الشفاعة هي «كالخميرة» في قلب الثالوث. هي نفاذٌ إلى الآب واكتشافٌ فيه لأبعادٍ جديدة تنير الأوضاعَ الحسيّة وتبدّلها. يمكن القول إن

الشفاعة تحرّك قلب الله، لكن، في الحقيقة، إنه السبّاقُ دائماً، وما يمكن أن نحصل عليه بتشفّعنا هو إظهارُ قدرتِه، بوضوحٍ أكبر، وحبِّه وإخلاصِه وسطَ شعبه.

ثانياً: مريم، أمُّ التبشير بالإنجيل

284– مع الروح القدس، مريمُ حاضرةٌ دائماً وسَط الشعب. كانت مع التلاميذ للتضرّع إليه (را أع 1: 14)، وهكذا مكّنت من حصول التفجّر الإرساليّ يوم العنصرة. إنها أمُّ الكنيسة المبشِّرةِ بالإنجيل، وبدونها لن نتوصّل إلى أن نفهم كليّاً روحَ التبشير الجديد بالإنجيل.

هبةُ يسوعَ لشعبه

285– عندما كان المسيحُ، على الصليب، يتألّم في جسده ويتحمَّلُ اللقاءَ المأساويّ بين خطيئة العالم والرحمة الإلهيّة، استطاع أن يرى عند أقدام الصليب أمَّه وصديقَه المؤاسي. في هذه اللحظة الحاسمة، وقبل أن يُعلن أنْ قد تمَّ العملُ الذي عَهد به إليه الآب، قال يسوعُ لمريم: «يا امرأة، هوذا ابنكِ». ثم قال للصديق الحبيب: «هي ذي أمّك» (يو 19: 26–27). كلماتُ يسوعَ هذه، عند عتبة الموت، لا تعبّر أولاً عن اهتمام إشفاقٍ على أمّه، إنما هي بالأحرى عبارةُ وحيٍ تُعلن سرَّ رسالةٍ خلاصيّة خاصّة. لقد ترك لنا يسوعُ أمَّه، كأمٍّ لنا. فقط بعدما فعل

يسوعُ هذا، شعر بأن «كلَّ شيء قد تمّ» (يو 19: 28). عند أقدام الصليب، في هذه الساعة العظمى من الخليقة الجديدة، يقودُنا المسيحُ إلى مريم. يقودنا إليها، لأنه لا يريد أن نسيرَ بدون أمّ؛ والشعب يقرأ في صورة الأمّ هذه جميعَ أسرار الإنجيل. لا يرضى الربُّ بأن تفتقدَ الكنيسة إيقونة المرأة. هي التي ولدته بكثير من الإيمان، ترافق أيضاً «باقيَ نسلها، الذين يحفظون وصايا الله ويقبلون شهادةَ يسوع» (رؤ 12: 17). الارتباطُ الحميمُ بين مريمَ والكنيسةِ وكلِّ مؤمن الذين، كلٌّ على طريقته، ينجبون المسيح، عبّر عنه، بطريقة جميلة الطوباويّ إسحق دي ليتوال: «في الكتب المقدّسة، الإلهيّةِ الإيحاء، ما نسمعه عموماً عن الكنيسة، العذراءِ والأم، يُسمَع بالأخصّ عن العذراء مريم [...] ويمكن أن نقول بالمثل إنَّ كلَّ نفسٍ مؤمنة هي عروسُ كلمة الله، وأمُّ المسيح، وابنةٌ وأختٌ، وعذراء وأمٌّ ولودٌ [...] مطث المسيح تسعة أشهر في حشا مريم؛ ولسوف يمكث في خباء إيمان الكنيسة حتى آخر الأزمان؛ وفي فكر النفس المؤمنة وحبّها، إلى دهر الداهرين»[٢١٢].

286– مريمُ هي تلك التي تعرف أن تحوّل مغارةً للبهائم إلى بيت يسوع، بواسطة أقماط رثّة وجبلٍ من حنان. إنها أمةُ الآب

[٢١٢] إسحق دي ليتوال: **العظة** 51: **الآباء اللاتين** (PL) 194، 1863، 1865.

الصغيرة التي تتهلّل فَرحاً في الحمد. إنها الصديقةُ الساهرة دائماً كي لا ينقصَ الخمرُ في حياتنا. إنها تلك التي طُعن قلبها بحربة، والتي تفهم كلَّ الهموم. وبصفتها أمّاً للجميع، إنها علامةُ رجاءٍ للشعوب التي تعاني آلامَ المخاض إلى أن تولدَ العدالة. إنها المرسَلة التي تقترب منا لترافقنا في الحياة، فاتحةً قلوبَنا على الإيمان بعطفِ الأمومة. وبصفتِها أمّاً حقيقيّةً، إنها تسيرُ معنا وتكافح معنا وتفيض باستمرار قُربَ حبّ الله. وبواسطة التضرّعات المريميّة المختلفة، المتعلّقة عموماً بالمعابد، إنها تشارك في تاريخ كلّ شعبٍ تقبّل الإنجيل، وأصبحت من ثمّ جزءًا من هويّته التاريخيّة. يطلب العديدُ من الوالدين المسيحيّين معموديّة أولادهم في معبد مريّميّ، معبّرين بذلك عن إيمانهم بأمومة مريم التي تلد أبناءً جدُداً لله. في المعابد، يُدرَك كيف أن مريم تؤلّب حولها أبناءً يسيرون، بجهدٍ كبير، حجّاجاً ليرَوها ولتتأمل هي فيهم. هناك يجدون قوّة الله كي يتحمّلوا أوجاعهم ومتاعبَ الحياة. وكما في مزار القديس خوان دييغو، تمنحهم مريمُ مداعبةَ تعزيتها الوالديّة وتتمتم لهم: «لا يضطربْ قلبك [...] ألستُ هنا، أنا أمّك؟»[٢١٣].

[٢١٣] *Nican Mopohua*، 118-119.

نجمة التبشير الجديد بالإنجيل

287– نسأل أمَّ الإنجيل الحيّ أن تضرعَ كي تتقبّلَ كلُّ الجماعة الكنسيّة هذه الدعوةَ إلى مرحلةٍ جديدة في التبشير بالإنجيل. إنها المرأةُ المؤمنة التي تحيا وتسير في الإيمان»[٢١٤]، و«حجُّها الإيمانيُّ الفريد يمثّل مرجعيّةً ثابتةً للكنيسة[٢١٥]. لقد استسلمت لقيادة الروح، في طريق إيمانٍ، نحو مصير خدمةٍ وخصبٍ. إنّا نثبّت اليوم نظرنا عليها، كي تساعدنا على إعلان رسالة الخلاص للجميع، ويصبحَ التلاميذُ الجدُد دعاةً مبشّرين بالإنجيل[٢١٦]. في حجّ التبشير بالإنجيل هذا، سوف تمرُّ أوقاتٌ قاحلة، وأوقاتُ طمرٍ وحتى تعبٌ، كما عاشتها مريمُ مدّة سنوات الناصرة، فيما كان يسوعُ ينمو: «ذلك هو بدءُ الإنجيل، اي البُشرى الحسنة، البشرى الفرحة. إلاّ أنه ليس من الصعب أن نلاحظ، في هذا البدء، بعضاً من حزنِ قلبٍ، يلتحق بنوعٍ من "ليل الإيمان" – على حدّ تعبير القديس يوحنا الصليب –، كأنه "حجابٌ" علينا من خلاله أن نقترب من اللامنظور ونحيا في إلفة

[٢١٤] را المجمع الفاتيكانيّ الثاني: الدستور العقيديّ الكنيسة «**نور الأمم**»، الفصل 8، الأرقام 52–69.

[٢١٥] يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامة «**أمّ الفادي**» (25 آذار 1987)، الرقم 6: **أ ك ر** (*AAS*) 79 (1987)، 366.

[٢١٦] را **الاقتراح** 58.

السرّ. بهذه الطريقة، في الواقع، لبثت مريم، مدّة عدّة سنوات، في إلفة سرّ ابنها، وتقدّمت في طريق إيمانها»[٢١٧].

288– هناك أسلوبٌ مريميٌّ في نشاطِ تبشيرِ الكنيسة بالإنجيل. لأنّا، كلَّ مرّة نتطلّع إلى مريم، نريد أن نؤمن بقوة الحنان والعطف الثوريّة. فيها، نرى أن التواضع والحنان ليسا فضيلتَي الضعفاء، بل الأقوياء الذين لا يحتاجون إلى سوء معاملة الآخرين كي يشعروا بأهميّتهم. في النظر إليها، نكتشف أن تلك التي عظمت الله لأنه «حطَّ المقتدرين عن عروشهم» و«صرفَ الأغنياءَ فارغين» (لو 1: 52، 53)، هي نفسُها التي تعطينا حرارةَ الأمومة في بحثنا عن العدالة. وهي أيضاً التي «كانت تحفظ تلك الأقوال كلَّها، وتتأمّل فيها في قلبها» (لو 2: 19). مريمُ تتعرّف على بصمات روح الله أكان في الأحداث العظيمة أم في تلك التي تبدو دقيقةً جدًّا. إنها تتأمل في سرّ الله في العالم، في التاريخ وفي الحياة اليوميّة لكلٍّ منّا وللجميع. وهي، في الوقت عينه، المرأة المصلّية والعاملة في الناصرة، كما هي سيّدة السرعة، التي تغادر قريتها كي تساعد الآخرين «بسرعة» (را لو 1: 39–45). ديناميّة العدالة هذه والحنان والتأمل والسَّير نحو الآخرين هي التي تجعل منها مثالاً كنسيّاً للتبشير بالإنجيل.

[٢١٧] يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامّة «**أمُّ الفادي**» (25 آذار 1987)، الرقم17: أ ك ر (*AAS*) 79 (1987)، 381.

إنّا نتوسّل إليها كي تساعدَنا، بصلاتها كأمٍّ، فتصبحَ الكنيسةُ منزلاً لكثيرين، وأمّاً لجميع الشعوب، وتصبحَ ممكنةً ولادةُ عالمٍ جديد. القائمُ من بين الأموات هو الذي يقول لنا بقوّةٍ تغمرنا بثقةٍ عظيمةٍ ورجاءٍ لا يتزعزع: «ها إني أجعلُ الكون جديداً» (رؤ 21: 5). لنتقدّمنّ، مع مريم بثقةٍ نحو هذا الوعد، ولنقل لها:

أيتها العذراءُ والأمُّ مريم،
أنتِ التي، بإيحاءٍ من الروح،
تقبّلتِ كلمةَ الحياة
في أعماق إيمانكِ الوديع،
واستسلمتِ كليّاً للأزليّ،
ساعدينا على أن نقول "نعم"
في الضرورة المُلحّة، أكثر من أيّ وقتٍ مضى،
بأن نردّد صدى بشرى يسوعَ الحسنة.

أنتِ، المملوءة من حضور المسيح،
حملتِ الفرحَ إلى يوحنا المعمدان،
فارتكض في بطن أمّه.
أنتِ، وقد اهتززتِ فرحاً،
أنشدتِ عظائم الربّ.
أنتِ التي صمدتِ بالقرب من الصليب
بإيمانٍ لا يتزعزع

وتقبّلتِ تعزية القيامة السعيدة
جمعتِ التلاميذ، بانتظار الروح
كي تولدَ الكنيسة المبشِّرةُ بالإنجيل.

إحصلي لنا الآن على حماسِ قياميّين جديدٍ
كي نحملَ إلى الجميع إنجيلَ الحياة
الذي يتغلّب على الموت.
أعطنا الجرأةَ المقدّسةَ للبحث عن طريق جديدة،
كي تبلغَ الجميعَ
عطيّةُ الجمالِ الذي لا يذبل.

أنتِ، يا عذراءَ الإصغاءِ والتأمل،
أمَّ الحبّ الجميل، عروسَ العرسِ الأبديّ،
تضرّعي من أجل الكنيسة التي أنتِ إيقونتُها الكليّة الطهارة،
كي لا تنغلقَ على ذاتها أبداً، وأبداً لا تتوقفَ
في شغفها لإحلالِ الملكوت.

يا نجمةَ التبشير الجديد بالإنجيل،
ساعدينا على أن نُشِعَّ بشهادة الشراكة،
والخدمة والإيمان المتّقد السخيّ،
والعدالة وحبّ الفقراء،
كي يبلغَ فرحُ الإنجيل
حتى أقاصي الأرض،

وألاّ تُحرَمَ من نوره أيُّ ضاحية.

يا أمَّ الإنجيل الحيّ،
يا مصدرَ فرحٍ للصغار،
صلّي لأجلنا.
آمين. هللويا!

أُعطي في رومة، بالقرب من القديس بطرس، في ختام سنة الإيمان، في 24 تشرين الثاني 2013، في احتفال عيد ربّنا يسوعَ المسيح، ملكِ الكون، في السنة الأولى لحبريّتي.

البابا فرنسيس